الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

تخصص: ثقافة شعبية: أنثروبولوجيا

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأنثروبولوجيا

أثر الأديان السماوية في بناء شخصية مسلمي أهل الكتاب

-تميم الداري رضي الله عنه نموذجا-

إعداد الطالب:
صالح سعدون

إشراف:
أ.د. شعيب مقنونيف

لجنة المناقشة :

أ.د. عبد الحق زريوح	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. شعيب مقنونيف	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
د. عثمان بلخير	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضوا
د. عبد المجيد عطار	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضوا
د. مختار قوادري	أستاذ محاضر (أ)	جامعة سعيدة	عضوا
د. قويدر قيداري	أستاذ محاضر (أ)	جامعة معسكر	عضوا

السنة الجامعية : 1438-1439هـ/ 2017-2018م

الإهداء

أهدي ثمرة هذا البحث إلى :

إلى رُوحيْ الإمامين : شيخ الإسلام عبد الكريم المغيلي التّلمساني رحمه الله .

وشيخ الإسلام : أبي مدين الغوث ، صاحب الأوقاف العظيمة ببيت المقدس .

وإلى أستاذي المشرف عليّ سعادة الأستاذ الدّكتور شُعيب مقنونيف . حفظه الله تعالى ورعاه على ما أسدانيه من كرم الرّعاية والتّوجيه ، متمنّيًا له التّوفيق والسّداد ،

إلى والديّ الكريمين فاطمة بن منصور ، وعلي ، إلى جدّتي حليمة أطال الله عمرها ، إلى روح جدّي منصور رحمه الله .

إلى عائلتي الصّغيرة .

وإلى المحروسة : جامعة أبي بكر بلقايد .

وإلى كل من ساهم في إتمامه ماديّا أو معنويّا ، وأخصّ بالذّكر الدكتور هشام سوهالي على ما قدّمه لي من عونٍ ونصحٍ وكبير اهتمام .

مقدمة

مقـــدّمـــــة :

إنّ أبرز ما توجّه إليه الباحثون في العقائد والأديان من المستشرقين خاصّةً وغيرهم في دراستهم للفكر الإسلامي والعقائد والثقافة الدّينية لإسلامية، هو تلك المحاولات الحثيثة لتحييد الفكر الإسلامي ونسبة أصوله وإمتداداته إلى العقائد والفلسفات السابقة له ، وهذا قصد جعله ديناً تابعاً وملّةً ممتدة ونابعةً لتلك العقائد والفلسفات القديمة ، فكان أبرز ما ركّزوا عليه في دراستهم للمجتمع المسلم دراسة الحياة الشخصيّة للجيل الأوّل منه ، من خلال الدّراسات التّاريخية الإسلامية ، والسّيرة النّبوية ، والإجتهاد في استنباط أيّ فكرةٍ تخدم موضوعاتهم .

وبناءاً على معرفتهم بتأثير الفلسفات والمعتقدات القديمة كالبابلية والآشورية وغيرها في اليهودية ومنها إلى المسيحية ، والتي نتج عنها تأثيرات هامّة في بناء الشّخصية المسيحية ، طرحت فكرة " أثر تلك الثقافات القديمة في صياغة الشخصيّة الدّينية المسيحيّة ؟ " ، – وقد ألقت مثل هذه الأطروحات الضوء على هذه المسألة – لاسيما وأنّ الثابت تاريخيًا أنّ أفكارًا ومعتقداتٍ تأثّرت بها المسيحية بفعل المدّ الرّوماني ، فتروّمت بذلك المسيحية كما قال القاضي عبد الجبار المعتزلي ، وخاصّةً بعد دخول المسيحية إلى أوروبا برعاية رومانية ، حيث تداخلت معها الثقافات الوثنيّة وشكّلت خليطاً ثقافياً ، ومن ثمّ نسأل : هل ساهم هذا الخليط الثقافي في بناء الشخصيّة المسيحية ؟ ، أم أنّ هذه الشّخصية قد حافظت على مقوّماتها التّي نشأت عليها .

وبما أنّ أوروبا قد اتّخذت المسيحية ديناً للدّولة لما احتاجت إليها للحفاظ على حكوماتها من الإنهيار وقمع حركات التمرّد و الصراع ، وكذا كسب وُدّ الكنيسة ،كان بادياً حينذاك أن تطوّر الدّولة كان يحتاج دعمًا دينيًا ، فنتج عن ذلك تبنّي مشروع حضاري ديني مزدوج " وثني مسيحي".

و كان من بين ادّعاءات المستشرقين وبعض المستغربين أنّ محمّدا صلّى الله عليه وسلّم قد جاء بدينٍ أتت به اليهود والنّصارى، وبالتّالي فهو امتدادٌ لهما غيرُ مصحّحٍ وناسخٍ لكثيرٍ من

أحكامهما، فتعاملوا بذلك مع الإسلام في " حوار الحضارات " بناءًا على هذه الفكرة ، فكانت أولى بوادر فشله – فيما أراه متواضعًا – .

ومن خلال ذلك كلّه : أضع أسئلةْ مُحاولاْ الإجابة عنها ، أهمّها : ما هي أهم الأوجه التّي خالف أو وافق فيها الإسلام تلك الأوجه ؟ ، وهل للأديان السّماوية أثرٌ واضحٌ في بناء شخصيّة من أسلم من أهل الكتاب – اليهود والنّصارى – الذين كان لهم باعٌ في العلم بأسرار اليهودية والمسيحيّة ، واِطّلاعٌ على كتبها المقدّسة ونسخها الأصيلة كتميمٍ الدّاري ، وعبد الله بن سلاّم وكعب الأحبار ؟ وقد وضعت لذلك فصلاْ نظريًّا كاملاْ عرضت فيه كرونولوجيا حول الأديان الوضعية والأديان السّماوية ، وتأثُّر و تأثير بعضها ببعض ، وللإجابة على هذه التساؤلات ، أقترح عنواناً لإجراء هذه الدّراسة و هي :

" **أثر الأديان السّماوية في بناء شخصيّة مسلمي أهل الكتاب**"، ومقترحاً لذلك أنموذجاً لمعرفة هذا الأثر من خلاله وهو : "**تميم الدّاري رضي الله عنه نموذجاً**" .

والسبب في اختيار هذا النموذج هو أنّ تميمًا الدّاري مثالٌ ناجحٌ لإجراء الدّراسة ، لأنه أحد أبرز مسلمي أهل الكتاب ، والعالمين بأسرار الدّين النّصراني ، وهو الذي أسلم عام الوفود ، وكان لإسلامه كبيرُ الأثر في نفوس المسلمين ، وذلك بعدما اِستبشر به النّبي – صلّى الله عليه وسلّم –، وروايته عنه القصّة المشهورة بالجسّاسة .

الخطّة المقترحة للبحث :

الفصل التمهيدي : الأسس المنهجية للدّراسة .

ويتضمّن العناصر التالية :

المقدّمـــة .

أوّلاً : إشكالية الدراسة .

ثانياً : أهمية الدّراسة . وفيه : الأهميّة العلميّة والعمليّة .

ثالثاً : أهداف الدراسة .

رابعاً : الدّراسات السابقة .

خامساً : أسباب اختيار الموضوع .

سادساً : المنهج المستخدم .

المنهج الإِستقرائيُّ .

سابعاً : تحديد المفاهيم الواردة في البحث .

الفصل الثاني : نشأة الأديان السابقة للدّيانات السّماوية .

الفصل الثالث : نشأة الأديان السّماويّة .

المبحث الأول : نشأة اليهوديّة .

المبحث الثاني : نشأة المسيحيّة .

المبحث الثالث : نشأة الإسلام .

الفصل الرّابع : القسم التطبيقي .

وفيه ثلاثة أفرُعٍ .

الفرعُ الأوّل : في مفهوم الشّخصيّة .

الفرعُ الثاني : في شخصيّة تميم .

الفرعُ الثّالثُ : في قصّة الجسّاسة .

الخاتمة .

قائمة المصادر والمراجع .

ملخّصات بالعربية و الإنجليزية و الفرنسية .

فهرست الموضوعات .

الملحقات .

وأودُّ أن أشير أنّني محظوظٌ بتوفر مصادر حول الدّيانات السّماويّة خاصّةً اليهوديّة والمسيحيّة ، وأغلب هذه المصادر كتبت بأقلام غربية ، أغلبهم من معتنقي هذه الدّيانات ، ولم أرجع في هذا المبحث إلى صاحب ديانةٍ داعيةٍ إليها حتّى لا أُتّهم بالنقل غير العلميّ عنها ، أو التأثّر المباشر بها ، فغايتي نقل المعلومة الواحدة من أكثر من مصدر ، كما أعرضها على ما كتبه علماء الدّيّانات المسلمين القُدامى كالشّعراني في أصل الدّيانة والسّموأل المغربي في بذل المجهود في إفحام اليهود ، والبغدادي في الفرق ، وابن قيّم الجوزية في الجواب الصّرح على من بدّل دين المسيح وابن تيمية في غير ما مؤلّف ، وعبد الكريم المغيلي التّلمساني في رسالة الأغلاف وغيرها من الرّدود على اليهود الّذين تمّ إجلاؤهم إلى إفريقيّة ، فكان أكثر ردّه عليهم فيما يتعلّق بفساد أخلاقهم وسوء جيرتهم وليس على أصول عقائدهم .

وهؤلاء لم يؤلّفو في أصل الديّانة أو فروعها كما كتب أصحاب هذه الدّيانات أنفسهم ، بل كتبوا في فنّ الرّدود على أهل الكتاب ، وعرضوا آراء أهل الكتاب المعاصرين لهم خاصّةً ، كما ناقشوا أمّهات المسائل العقدية التّي أجازها أو أبطلها علماء الإسلام من خلال ما وصلهم من عقائد أصحابها المؤمنين بها ، سواءٌ من مصادر مكتوبة ومُتَرجمة أو من مصادر شفوية ، وكذلك فعلوا مع أديان الهند وغيرها من الملل التّي وصلتهم أخبارها، وقد ورد بعض آراء ملل الهند وآسيا إلى العالم الإسلامي من خلال نصوص مُتَرجمة أو روايات نقلها هل التجارة المتردّدين على بلاد الهند، وفي الأدب الهندي المترجم إلى اللّغة العربية الكثير من الآراء العقدية بعضها في أدب البخلاء والبيان والحيوان للجاحظ .

كما أودّ أن أشير إلى أنّني حاولت قد المستطاع أن أعرض كل ديانة وكل طائفة منها باعتبارها عقيدةً وممارسةً دينيّة ، و عرضها كأسلوب يؤثّر على الحياة ، وليس باعتباره تجربة حياة، أي محاولة فهمه وعرضه كممارسة دينّة وليس كسلوكٍ اجتماعيٍّ قد يجرّب لعقدٍ أو قرنٍ من الزّمن ثمّ يُلجأُ إلى غيره من العقائد والدّيّانات .

وأمّا عدم إكثاري من الحديث في مبحث الإسلام فليس لأنّ كاتب هذا البحث على ملّة الإسلام ، بل لسبب أنّ عقائد الإسلام لم تكن بذلك التّعقيد الّذي عُرفت به اليهودية والبوذيّة مثلاً ، بل لبساطته و تأكيده على بعض أصول العقائد التّي سبق ذكرها في اليهوديّة والمسيحيّة ، كتحريم الخمر والرذائل ، وتحريم قتل النّفس ، و الحثّ على الطهارة ومحاسن الأخلاق ، وأهمّ من ذلك التّوحيد الّذي هو أصل الدّيانات الإبراهيميّة ، إضافةً إلى العامل الزّماني ، فالإسلام أحدثُ هذه الدّيانات زمنًا ، وتشعّب طوائفه لم يكن بسبب النّظر في الأصول ، بل أكثر فرقه كان اختلافها فقهيًا أو فلسفيًا وبعضها خلافٌ سياسيٌّ ولم يكن في النّظر إلى أصل الدّيانة .

صالح سعدون : باتنة في : أفريل 2017.

الفصل الأول

الأسس المنهجيّة للدّراسة

أوّلا : إشكالية الدّراسة :

أعرضُ في هذا البحث تساؤلاتٍ عدّة أهمّها :

1 – كيف شعر تميمٌ الدّاري رضي الله عنه بميله إلى أن يكون مُسْلمًا – سببُ إسلامه – ، رغم أنّه كان مُرتاحًا في منصبِهِ كحبرٍ أعظم في المسيحيّة ، و في الخليل مدينة النبيّ إبراهيم عليه السّلام؟ .

2- وهل العقيدة المسيحيّة التّي كان يعتنقها نابعةٌ من معين النبوّة الأولى ؟ ، أم أنّها من العقائد المسيحيّة المرَوْمَنَة بفعل الأحداث الكبرى التي عاشتها فلسطين بعد تبنّي روما البيزنطية للمسيحيّة ، وما تلاها من بعدُ من تصحيحاتِ وارتداداتِ في المسيحيّة ؟ .

3 – كيف يُمكنُ للرُّؤية الميثولوجيّة للحبر الأعظم تميمٌ الدّاري رضي الله عنه – أقصد الميثولوجيا بمفهومها الواسع وليس المعنى الضيّقِ لها " أي الأسطورة " ، باعتبار أنّ حادثة الجسّاسة وقصّة الدجّال وهما سببان في التّسريع في عمليّة الانتقال من المسيحية إلى الإسلام ، وقد كانتا من الأساطير القديمة المشتركة ، والتي تناولتها الكثير من كتب التّاريخ والأديان السّابقة للمسيحيّة مثلها مثل قصّة أصحاب الكهف – أن تُسهم في تحوُّله الكبير والمصيري من دينٍ وعقيدة توحيدٍ إلى دينِ و عقيدةِ مثلها ؟ .

4 – هل كان الدّينُ عمومًا من المظاهر الضّرورية في حياة تميمٍ الدّاري ؟ ، وهو الذّي لم تخْلُ حياته من مظاهر التعبُّد والنّظر في آيات الله وأخبار الأنبياء ونصوص الوحي مسيحيًّا لما كان ، ومُسْلمًا لما صار .

5- كيف تمّ انتقال وتحوُّل تميم الدّاري من ثقافة وديانة سابقتين إلى دينِ جديدٍ يشترك مع مسيحيّته في فكرة التّوحيد الّتي دعا لها الأنبياء والرّسل من قبلُ ، وذلك بعيدًا عن عقائد التثليث المحرّفة ؟ ، وكيف تصرّف إزاء عالمه المتعدّد دينيًّا وإثنيًا .

6 – وهل ما يُشاع عن تأثيرٍ لليهوديّة والمسيحيّة حقيقيٌّ في الإسلام ؟ ، – مع العلم أنّ هذا البحث قد ورد فيه ما يشيرُ إلى العكس تمامًا – ، وما هي حدودُ هذا التأثير إن كان قد وقع حقًّا؟، أم أنّها أديانُ الله ومن مشكاةٍ واحدة تؤكّد على أشياء كالتّوحيد مثلاً ولا ضير في ذلك التّأثير دينيًا و ثقافيًا ؟ ، أم أنّ هذا التّأثير قد تجاوز مُسلّمات الأديان السّماوية إلى موضوعاتِ أخرى كالمعركة الكونيّة بين الخير والشرّ التّي ستؤدّي إلى نهاية العالم وبداية القيامة الكبرى ؟ والتّي نسمّيها نحن " الملحمة الكبرى " ، ويسمّيها اليهود والنّصارى " أرمجدون " ، أو أحاديث خلق الكون وخلق الإنسان وغيرها من الموضوعات المشتركة بين الأديان السّماوية والمبثوثة في الفلكلور الدّيني الإنساني ؟ .

7 – هل يمكن من خلال دراسة شخصيّة تميم النّموذجيّة أن تتشكّل لدينا الصّورة الكليّة للمقارنة والمضاهاة بين الأديان السّماوية التي سنوردها، وهل يمكنُ إيجاد حلقة الوصل والتكافؤ بينها وذلك من خلال تحليل شخصيّة تميم الدّاري ، أم أنّ ذلك من أسرار الخلق ومن مغاليق العلوم ؟ .

ثانيًا : أهميّة الدّراسة :

تُشكّل دراسة الموضوع أحد أهمّ حقول البحث في علم الإنسان الثقافي ، والأنثروبولوجية الدّينيّة والتي تفتقر إليها مكتبتنا الجامعيّة اليوم ، وهو يُعالج أحد أهمّ موضوعات علم مقارنة الأديان ، مركّزًا على الأديان السّماويّة ، و الإشكالات التّي تدور حول الألوهيّة و النبوّة والرّسالة ، كما أولى البحث الكثير من الاهتمام على اليهودية والمسيحيّة كونهما ساهمتا في تشكيل شخصيّة دينيّة مميّزة لمن اعتنقهما ثمّ أسلم بعد ذلك ، وقد شهدت هذه الدّيانات حوادث مهمّة في الفترة الممتدّة بين نبوّة المسيح ومحمّد عليهما الصّلاة والسّلام ، مثل الارتداد عن عقيدة التّوحيد ، وهي العقيدة المشتركة بين الدّيانات السّماوية إلى عقائد الانحراف والتثليث (المعروف بالثّالوث الأقدس)، والتي كانت فيها بيئة الحبر الأعظم تميم الدّاري ضمن دائرة الأحداث التّي أثّرت وتأثّرت بما حدث في أوروبا المسيحية والأناضول ، وشمال أفريقيا ، وشبه الجزيرة العربية من قمعٍ للموّحدين الأرْيّسيّين (الآريّن) ، وحركاتٍ تصحيحيّة مسّت المسيحيّة ، وكانت لبيئة المسيح التّي نشأ فيها تميم الدّاري دورًا مهمّا في مجريات الأحداث ، ممّا مهّد لولادة فكرة وحدة الأديان والاشتراك في فكرة ولادة نبوّة خاتمة جامعة ومؤكّدة لفكرة التوحيد التي دعا إليها كلٌّ من المسيح ومحمّد وقبلهم موسى وإبراهيم عليهم السّلام .

وقد تزامن ظهور أنثروبولوجيا الأديان مع الثورة الصّناعيّة في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التّاسع عشر كما يبدو ، ولكنّه لم يكن علمًا مستقّلاً بل كان يدرس ضمن تاريخ الأديان ، حيث كتب الرّحالة وكُتّاب البعثات إلى المستعمرات الأوروبيّة عن عقائد وممارسات شعوب الجزر البريطانية في المحيط الهادي وبولينيزيا والهند وأقصى الشّرق ، مع عدم إغفال ذكر التطوّر التّاريخي لهذه العقائد والممارسات الدّينيّة ، كما فعل ماكس ويبر في دراسته لأشكال التّنظيم الدّيني في بعض المجتمعات البدائية وحتى الحضرية ، وذلك في دراسته للأديان السّماوية.

ثالثاً : أهداف الدّراسة :

1- المساهمة في إثراء المكتبة الجامعية لاسيما في فروع علم الإنسان الثقافي و " الدّيني " .

2- خدمة علم مقارنة الأديان المعاصر ، و التركيز على معالجة واحدة من أهمّ وأعقد أطروحاتها وهي : دراسة فكرة وحدة الأديان من زاوية نظر الأديان نفسها ، ودراسة ما إذا كانت الأديان السّماوية وحدةٌ متكاملةٌ كما يراها المستشرقون ، أم هي وحدةٌ – وحدة الدّين – كما يراها الإسلام كثقافةٍ ودين- الأديان الإبراهيميّة – .

3- هل سينجح مشروع حوار الحضارات كما خطّط له أصحاب هذا الطّرح من مسلمين وغير مسلمين ، ومن دينيّين ولادينيّين ، أم أنّه سيُقضى عليه ويُحكم عليه بالفشل ، وذلك كما نظّر له كلٌّ من :

صمويل هنتنغتون : في مقالته المشهورة التّي نشرتها عام 1993 مجلّة Foreign Affairs والذّي يرى اِنقسام العالم إلى ثلاث حضارات : غربية وإسلاميّة وكونفوشيوسيّة .

و فرنسيس فوكوياما : في كتاب : " The End of History and the last man ، المثير للجدل والذّي يرى أنّ : " التّاريخ قد وصل سلفًا إلى نهايته مع انتصار الدّيمقراطيات الغربية اللّيبراليّة على غيرها من الإيديولوجيّات الشّيوعيّة والإسلاميّة " ، والذّي طبعته دار هاميلتون بالمملكة المتّحدة عام 1992 ، وكذلك أطروحة المحافظين الجُدُد التّي تقوّت بفعل أحداث سبتمبر 2001 وقبلها أحداث " أوكلاهوما سيتي " ؟ .

4- و هل يمكنُ أن يكون لثقافة الأديان السّماوية أثرٌ حقيقيٌّ في بناء شخصية من أسلم من أهل الكتاب ؟ ، كما حدث مع تميم الدّاري ، أم أنّ ذلك غير ممكن ومتعذّرٌ ، و إذا كان ذلك كذلك فإلى أيّ مدىً يمكن أن تؤثّر تلك الثقافات في الشّخص الذّي جرّب تلك الثقافات ثمّ أسلم ؟ .

5 – هل يمكن للصّراع الحضاري أن يكون ذا نمطٍ سياسيٍّ واقتصاديٍّ – أي : حول توزيعٍ غير عادلٍ للثّروة والقوّة العالميّة – أم أنّه صراعٌ بنحوٍ كبيرٍ حول يسوع أو كونفوشيوس أو النبيّ محمّد عليه السّلام كما كتب (غراهام فولر) في ربيع سنة 1995 م ، في مقال " الإيديولوجية القادمة" بمجلّة : Foreign Pollicy ، ص150 ، وذلك باستخدام تأمين الحقول النّفطيّة كغطاء لحرب الإيديولوجيا .

رابعًا : الدّراسات السّابقة :

لست أبالغ إن قلت أنّني لم أجد عنوانًا في موضوع البحث يعينني مباشرةً فيه ، خلا رسالة علمية بعنوان : مسلمو أهل الكتاب و أثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية ، رسالة دكتوراه ، للدكتور : محمد بن عبد الله السحيم ، طبعت سنة 1417هـ-1997م ، دار الفرقان، الرياض، السعودية، وموضوعها تناول دفاع أهل الكتاب المعاصرين لفترة النبوّة عن بعض المسائل المشتركة بين القرآن الكريم والعهدين القديم والجديد ، كالخلق واليوم الآخر وغيرهما.

وكلّ ما اعتمدت عليه في البحث مصادر متفرقة في تخصّصات شتى ككتب مقارنة الأديان القديمة والمعاصرة ، وكتب علم الإنسان الثقافي ، وموسوعات الأديان وغيرها .

خامسًا : أسباب اختيار الموضوع :

إنّ أهمّ سببٍ دعاني لاختار هذا الموضوع هو :

خلوُّ السّاحة العلميّة فيما أعلم من مثل هذه البحوث رغم خطورتها وحساسيّتها ، وضرورتها الملّحة ، مع الحاجة الماسّة إليها ، ومثلُها يخدم حوار الحضارات بشكله الحقيقي العلمي واللازم أيضاً ، كما تشكِّل لبنةً جدّاً مهمّة في بناء صرح الأنثروبولوجية الدّينية ، التي يمكن أن تضاف إلى فروع علم الإنسان الثقافي ، والتي ستلقي مزيدًا من الضّوء على ما يسمّى بوحدة الدّين ، التّي خلقت شرخًا واسعًا بين دعاته والرّافضين له .كما ستلقي بضلالها على حقيقة التبادل الثقافي بين الأديان السّماوية وما يمكن أن تحدثه من أثرٍ في الإنسان .

والنموذج الذي اقترحته كعنوانٍ للبحث كما ذكرتُ آنفاً للإجابة على كل هذه التساؤلات هو/

" أثرُ الأديان السّماوية في بناء شخصيّة مُسلمي أهل الكتاب – تميم الداري نموذجاً – دراسةٌ أنثروبولوجية " .

سادسًا : المنهج المستخدم .

لابدّ من الإقرار بأن ادّعاء اعتماد منهجٍ دون آخر أمرٌ من الصعوبة بمكان ، ولذلك فإنني سأحاول جاهداً أن أعتمد مبدإيّاً على :

-المنهج الإِستقرائيُّ :

والمنهجُ الإِستقرائيُّ يظهرُ في تتبُّع النّصوص التّاريخيّة ، ونصوص الحديث الكثيرة في الأطروحة ، وسبرِ أغوارها باستخراج النّصوص والشّواهدِ المحتاجِ إليها في البحث ، وفي التّنصيص على كلّ فكرةٍ ومسْألةٍ في محلّها المشار إليهِ .

كما اعتمدتُ في التهميش على ذكر المرجع ، ثمّ مؤلّفه ، ثمّ الجزء والصفحة ، وبعدها دار النشر، وسنة النشر، وأخيرًا رقم الطبعة ، إلاّ أنّني عدلت عن ذكر دار وسنة النّشر ورقم الطبعة وٱسمِ المحقّق في هامش النّص المحال عليه ، وذلك بسبب أخْذِهِ حيّزًا كبيرًا في الهامش ممّا جعلني أطبع ثلاث طبعات كاملة بسبب عدم تطابق النّص المقروء مع المطبوع على الورق ، وتركت بيانات المصادر والمراجع في آخر البحث ضمن قائمة المصادر والمراجع ، فهي مذكورةٌ فيها بشكلٍ مفصّل ، وسببُ ذلك أنّ المرجع إذا كانت بياناته البيبليوغرافية طويلة أخذت حيِّزًا كبيرًا في الهامش ممّا يُضيّقُ على مساحة النّص ويؤثّر ذلك سلبًا في إخراج الرّسالة الفنّيّ ، كما لا يفوتني أن أذكر أنّ في قائمة المصادر والمراجع حوالي سبع عشرة عنوانًا مكرّرًا ، والصّافي منها مائةٌ واثنان وعشرون مرجعًا غير مكرّرٍ.

أضعُ كلّ عنوانٍ في نوع من المصادر وأُعيد ذكره في نوعٍ آخر ، وسببُ ذلك أنّ هذه العناوين تميلُ بقوّة إلى أكثر من نوعٍ من العلوم ، و قد اعتمدتُ على المنهج المعروف في حالة الاعتماد على نفس المرجع بقولي : " المرجع نفسه "، أو: " المرجع السابق" ، أو" المرجع نفسه والصفحة نفسها "كما هو معروف .

وأستعملُ عبارات : " بتصرّف " إذا حرّكتُ المباني وأبقيت على المعاني ، وذلك بسبب خلل في أسلوب صاحب الكتاب ، أو تطْويعًا للمعنى المطابق للمعنى الذّي أوردتُه في محتوى النصّ من بحثي .

وعبارة : " بتصرّف يسير " إذا غيّرتُ أسلوب صاحب الأصل المحالِ عليه في كلمتين أو ثلاث حتّى جملة ، محافظًا على المعنى الذّي أراده صاحب الكتاب المحال عليه .

وأستعملُ عبارة : " بتصرّفٍ يسيرٍ جدًّا " وذلك إذا تصرّفت في أضيق نطاق ،كتحريك مفردة وتقديمها أو تأخيرها ، أو تبديل حركة إعرابيّةٍ بمثيلَتِها ، أو كلمةٍ بمُرادفةٍ لها .

وفي كلّ الحالات أنْسِبُ النصّ إلى صاحب الأصل المحالِ عليه كما هو معمولٌ به .

ولقد وضعتُ قائمة المصادر و المراجع كلٌّ حسْبَ نوع التخصّص ، جعلتُ المصادر الأولى منها : القرآن الكريم ، والكتاب المقدّس .

كما أنّني اعتمدت على أكثر من نسخة في المرجعٍ الواحد في بعض الحالات ، لكنني تغاظيتُ عن ذكره خشية الإطالة إلاّ في موضعٍ واحد ، وبعضُ المراجع الّتي استوحيتُ منها فكرةً أو فكرتين ، أذكرها أو أُحيلُ عليها ، أو الّتي لا تعطيني سوى " كلمة واحدة " أو "كلمتين اثنتين" أضطرُّ إلى عدم ذكرها ، ولم ألجأ إلى ذلك إلاّ في موضعٍ واحدٍ أو اثنين .

وفي الأخير أذكر أنّي اتّصلتُ بعائلة الصّحابي الجليل تميم بن أوس الدّاري بالأراضي المحتلّة، وذلك عبر الوسائط الاجتماعية قصد الحصول على نسخة من كتاب الإنطاء النّبوي ، إلاّ أنّهم بخلوا عليّ بصورة منسوخة ، واكتفوا بتصوير لوحة رخاميّة منصوبة بالخليل المحتلّ فيها نصُّ الإنطاء، وأرسلوها لي عبر صفحة عشيرة آل تميم بالفايسبوك ، وهو ما منعني من وضعها ضمن ملحقٍ في آخر الرّسالة .

سابعًا : تحديد المفاهيم الواردة في البحث .

1-الأثر:

قال الفيروز آبادي في القاموس المحيط : ([1]) " الأثر محرّكةً بقية الشّيء ، جمع آثار وأثور ، والخبر، وخرج في إثره وأثره بعده ، وائتثره ، وتأثّره تبع أثره ، وأثّر فيه تأثيرًا ترك فيه أثراً ، والآثار الأعلام ، والأثرُ فرِنْدُ السيف ، ويكسر كالأثير (جمع) أُثُورٌ ، ونقل الحديث وروايته كالإثارة والأثْرةِ بالضمِّ، يأثره ويأثُرُهُ، وبالضمّ أثرُ الجراح يبقى بعد البُرء – وماء الوجه رونقه ... – و يضمُّ وكعجزٍ وكتفِ رجلٌ يستأثرُ على أصحابه أي يختار لنفسه أشياء حسنةً ، والاسم الأثرةُ مُحرّكةً ، والأُثْرةُ بالضمّ وبالكسر .

والأثْرةُ بالضمّ المكرُمةُ المتوارثةُ كالمأثرَةِ والمأثُرَةِ ، والبقية من العلم تُأثرُ ، كالأثرَةِ والإثارة والأثارةِ والجدبُ والحالُ غيرُ المرضية .

وآثرهُ أكرمهُ ، والأثيرةُ الدّابّةُ العظيمة الأثر في الأرض بحافرها ...، وآثر ذات يدين وذي يدين أي أوّلّ كلِّ شيءٍ . وسيفٌ مأثورٌ في متنه أثرٌ أو متنه حديدٌ أنيثٌ وشفرتهُ حديدٌ ذكرٌ ، أو هو الذي يعمله الجنُّ . وأثرَ يفعلُ كذا كفرِحَ طفِقَ وعلى الأمرِ عزم وله تفرّغ ، وآثرَ اختار وكذا بكذا أتبعهُ إيّاهُ والتُأثورُ حديدةٌ يُسّحى بها باطنُ خُفِّ البعير ليقتصَّ أثرهُ كالمئثرة والجُلواز ، واستأثر بالشيء استبدَّ به وخصَّ به نفسه ، والله تعالى بفلانٍ إذا مات وزُجِيَ له الغفران ، وذو الأثار الأسود النهشليُ لأنه إذا هجى قوماً ترك فيهم آثاراً . أو شعره في الأشعار كآثار الأسد في آثار السباعِ ، وفلانٌ أثيري أي من خُلصاء ..." .

1) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، ج1، ص362 ، فصل الهمزة ، باب الرّاء .

وقال الزَبيدي في تاج العروس : ([1]) " الأثرُ مُحرّكةً بقيّةُ الشيء ج آثار وأُثورٍ ، وقال بعضهم : الأثر ما بقي من رسم الشيء والأثر الخبر وجمعه آثار وقد فرّق بينهما أئمة الحديث فقالوا : الأثر ما كان عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم والأثر ما يُروى عن الصحابة وهو الذي نقله ابن الصلاح وغيره من فقهاء خُراسان .

وقال ابن فارس اللّغوي في مُجمل اللُّغة : ([2]) " الأثرُ ما بقي من رسم الشيء ، وسُنن النبي صلّى الله عليه وسلّم آثاره ، ويقال لضربة السيف أثرةُ ، قال حسّان :

أُداعيك ما مستصحباتٌ مع السّرى حِسانٌ وما آثارها بحسانٍ

وخرجتُ على إثرِهِ وأثَرِهِ ، وأثرُ السيف : فِرِنْدُ ديباجته على وزن أمر، ويقال أُثْرٌ أيضاً،قال في الأثر:

ترى أثْرهُ في صفحتيه كأنّه مدارجُ سبثانٍ لهنّ هَميمُ .

وحُجّةُ الأُثْرِ قوله :

كأنّهم أسْيُفٌ بيضٌ يمانيةٌ بيضٌ مضاربها باقٍ بها الأُثُرُ.

على فُعْلٍ ، والمأثُرةُ والمأثَرَةُ هي المكرُمة ،لأنها تؤثر، أي تُذكر، وآثرتُ الرجل أي قدّمتُهُ ، وأثرتُ الحديث أي ذكرته عن غيرك ،..قال الأعشى :

بيّن للسّامع الأثر، وسمنتِ الناقةُ على أثارةٍ أي بقية شحمٍ ...، وأمّا السيف المأثور فقيل سُمّيّ بذلك لأنّ له أثراً.....

أمّا اصطلاحًا فلم أجد له أثرًا في كتب المصطلحات اللّغوية ككتاب التعريفات للعُكْبري.

[1]) مادّة : ' أثر' تاج العروس من جواهر القاموس ، دار العلم للجميع ، بيروت ،ج3 ، ص4 .

[2]) مجمل اللّغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللّغوي ،ج1 ، ص86 .

2-الدّين :

بالرّجوع إلى معاجم اللّغة لا يتّضح معنى كلمة : " الدّين " جليًّا ، فهي كلمةٌ ذات معانٍ و دلالات مختلفة ، فيقال : " الدّين" ما يُدان به ، ويقال : إن الدّين هو الملّة ، فإذا رجعنا إلى كلمة الملّة في بابها قيل لنا إنّ الملّة هي الدّين[1] ، فالذّي يرجع إلى القاموس المحيط ، أو إلى لسان العرب، أو غيرهما لا يخرج منها بمفهوم واضح لهذه المفردة، فالدين في أمّهات كتب اللغة بمعنى الملك، والخدمة، والعزّ، والذلّ، والإكراه، والإحسان، والعادة، والعبادة، والقهر والسّلطان، وهو التذلّل والخضوع، والطّاعة، والمعصيّة، هو الإسلام والتّوحيد، وهو اسمٌ لكلّ ما يُعتقد..[2] .

وكلمة : " الدّين " تؤخذ تارةً من فعل متعدٍّ بنفسه : (دانه يدينه) ، وتارةً من فعل متعدٍّ باللاّم : (دان له) ؛ وتارةً من فعل متعدٍّ بالباء (دان به) ، وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة [3] .

فكلمة الدّين ليست كلمة واحدةّ ، بل ثلاث كلمات تتضمن ثلاث أفعال بالتناوب .

والدّين عند العرب كلمةٌ تشير – كما يرى الدكتور محمد عبد الله دراز– إلى علاقة بين طرفين يعظّم أحدهم الآخر ويخضع له ، فإذا وُصف بها الطرف الأوّل كانت خضوعًا وانقيادًا ، وإذا وُصف بها الطرف الثاني كان أمرًا وسلطانًا ، وإذا قصد بها بالرّباط الجامع بين الطّرفين كانت هي الدّستور المنظّم لتلك العلاقة بينهما أو المظهر الذّي يعبّر عنها [4] .

---

[1]) الدّين : د. محمد عبد الله دراز، ص29 ، دار القلم .الكويت ، الطبعة الأولى . 1400هـ ، بتصرّف يسير .

[2]) المرجع نفسه، ص30 ، بتصرّف .

[3]) الدين والبناء الاجتماعي للسّمالوطي ،ج2، ص17، ط1 ، دار الشروق .جدّة.1981، بتصرّف يسير .

[4]) المرجع نفسه ، ص 31 ، بتصرّف يسير جدّا .

ومادّة الدّين كلّها تدور على معنى لزوم اِلانقياد ، ففي الاستعمال الأوّل : هو إلزام الانقياد ، وفي الاستعمال الثاني : هو التزام الانقياد ، وفي الاستعمال الثالث : هو المبدأ الذي يُلتزم للانقياد له[1] .

وقد عرّفه الناسك الرّوحي الدكتور : " هيوستن سميث " في موسوعته العملاقة ([2]) " أديان العالم" بقوله :

(إذا أُخذ الدّين بمعناه الأوسع كمنهج حياةٍ تتمّ صياغته حول الاهتمامات النّهائية لشعب ما ...، ولو أُخذ الدّين بمعناه الأضيّق ، أي كاهتمامِ بوضع الإنسانية على أرضيّة التعالي على الوجود المادّي) .

وقال الفيلسوف والمفكّر الدّيني الفرنسي " جورج باتاي " في كتابه : (نظرية الدّين رؤية فلسفيّة) في الفقرة الخامسة ، تحت عنوان : " المقدّس " . ([3]) : (لا شكّ أنّ جميع الشعوب قد تصوّرت هذا " الكائن الأسمى " – أي : المعبودُ – ويبدو أنّ العمليّة قد تكلّلت بالفشل في كلّ مكان ، لم يكن " الكائن الأسمى " عند البدائيّين يتمتّع بحظوة مساويّة لتلك التي حصل عليها إله اليهود ذات يوم ، ثمّ إله المسيحيّين فيما بعد ، كأنّ العمليّة قد حدثت في زمن كان فيه الإحساس بالاستمراريّة قويًّا جدّا .

وقال في الفقرة السّادسة ، وتحت عنوان : " الأرواح والآلهة " : (..إنّ البشر و " الكائن الأسمى"، فضلاً عن الحيوان والنبات والنيازك في التصوّرات البدائيّة الأولى هم أرواح ، وثمّة انزلاقٌ في مُعطى هذا الوضع ، " فالكائن الأسمى " هو بمعنى من المعاني روحٌ محض ، كذلك لا تخضع روح إنسان ميّت إلى واقع ماديٍّ واضح مثل واقع الإنسان الحيّ ، ...وليس" الكائن الأسمى "

[1]) جاء في القاموس المحيط أنّ الأصمعي نقل عن بعض العرب فرقًا طريفًا...، القاموس المحيط ،مادّة : دين .

[2]) أديان العالم ، هيوستن سميث ، ص 282 . والدّين والبناء الاجتماعي، السمالوطي ، ج2 ، ص19 .

[3]) ص 16 و17 ، نسخة إلكترونيّة ، ترجمة : محمّد علي اليوسفي ، بتصرّف يسيرٍ جدّا .

ربّ الأرباب ، إله السّماء بصورة عامّة ، سوى إله أقوى وأقدر لكنّه من طبيعة مجانسة للآلهة الأخرى) .

وكلمة الدّين المستعملة في تاريخ الأديان والتّي تدرس في العلوم الاجتماعية تُطلقُ عادةً على[1] .

أوّلاً / الحالة النّفسية التي نسمّيها التديّن [2] وهي حالة ذاتية Subjective داخلية يستشعرها المتديّن، يُطلق عليها حالة الانقياد و الإذعان للمعبود [3] .

ثانيًا / والحقيقة الخارجية التّي يمكن الرجوع إليها في العادات الخارجية أو الآثار الخالدة أو الرّوايات المأثورة [4]. وهي جانبٌ موضوعيٌّ ، أو واقعةٌ خارجةٌ Objective évent يمكن دراستها دراسة شيئية من خلال منهج علم الاجتماع ، ويتضمّنُ هذا الجانبُ العادات والشعائر والمباني ، المعابد والرّوايات المأثورة ، والمعتقدات والمبادئ التّي تَدينُ بها الأمّة أو الشّعب [5] Doctrine religieuse .

وتشير دراسات علم الاجتماع إلى أنّ الدّين كمنهج لا بدّ منه لحياة الفرد والجماعة ، كما تشير دراسات النُّظم الاجتماعية داخل المجتمعات المختلفة ، وإلى هذا ذهب ماكس فيبر ، فإنّ هناك تفاعلاً متبادلاً بين جميع النّظم ، ذلك التفاعل يبرز أهميّة النّظام الدّيني وأثره على بقية النُّظم الاجتماعية الأخرى [6] .

---

[1]) الدّين : عبد الله دراز ، ص32.

[2]) الدّين والبناء الاجتماعي ، ج2 ، ص19 .

[3]) المرجع نفسه ، ج2 ، ص 32 ، بتصرّف يسير جدّا .

[4]) المرجع نفسه ، ج2 ، ص 19 .

[5]) السمالوطي ، ج2 ، ص20 ، بتصرّف يسير جدّا .

[6]) المرجع نفسه، ج2 ، ص23 .

ولأنّ موضوع الدّين اهتمّت به كثيرٌ من العلوم ، فإنّ علم الأنثروبولوجيا قد أولاهُ عنايةً خاصّة، إذ ركّزت حتّى على المجتمعات الطوطميّة البدائيّة محدودة الثقافة، البائدة منها والحيّة، والتّي تمازجت فيها عادات القبيلة والدّين .

كما أنّ أنثروبولوجيا الدّين ([1]) لم تقتصر على تفنيد ووصف وتصنيف الأمور الدّينيّة وحسب، بل رأت أنّ الدّين جزءٌ من الثقافة ، ويبحث عن أوجه الشبه والإختلاف بين المظاهر الدّينيّة في مختلف المجتمعات ، كما لم يكتف بدراسة العهود القديمة – توراة وإنجيل مثلاً- بل اهتمّت بالطقوس النيبالية و أساطير أفريقيا في غينيا مثلاً والشامانية السّيبيرية وسحرة بريطانيا .

وأمّا الدّين في أشهر التعاريف الإسلامية فهو وضعٌ إلهيٌّ سائغ لذوي العقول السّليمة باختيارهم إلى الصّلاح في الحال والفلاح في المآل .

ولقد تأثّر العلماء الاجتماعيين بشكل واضح في تحديدهم مفهوم الدّين باتّجاهاتهم الدّينية الخاصّة، حيث لا تنطبق تعريفاتهم إلاّ على الدّيانات السّماوية فقط أو البوذية و الكونفوشية.

و للوصول إلى تعريف شامل و عامّ تجب الإستعانة ببعض نتائج أبحاث الأنثروبولوجيين :

- فقد ذهب " دولا جرسي" [(2)] إلى أنّ الدّين هو ارتباط جماعة إنسانية بإله أو بآلهة وكل ديانة تجمع بين معتنقي الدّيانة – الأحياء والأموات – وآلهتهم في مجتمع واحد يعدُّ جزء لا ينفصل عن الكون الطبيعي وبالبشر، ويتجلّى ذلك في أساطير الرومان و اليونان كما تصوّره الإلياذة و الأودسة عن الآلهة والأبطال ، وهذا النّمط بالذّات هو الذّي تهتم به الميثولوجيا ، ومن غير الممكن الحكم بأن الرابط بين الآلهة والإنسان يتخذ صورة الأسطورة بالنّسبة لكلّ الدّيانات ، وعليه فلا يمكن تعميم هذا التعريف .

[1])الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة للأديان ، كلود ريفيير، ت :أسامة نبيل ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ص 20، بتصرّف.
[2]) الدّين ، عبد الله دراز ، ص23 – 24 .

- وهناك اتجاه آخر يمثّله : (روجيه باستيدا) R. Bastide و "جيفونز" Jevons إلى أنّ كلمة Religion ترجع إلى الفعل اللاّتيني Regeler الذي يعني العبادة القائمة على الخشوع والرهبة والاحترام [1] ، غير أن هذا التصور الديني يقتصر فقط على الأديان السماوية ، وللدّراسات الأنثربولوجية في الشعوب البدائية رأي آخر ، فهي تطلّعنا على أنماط من الدّين والعبادة تخلو من الخشوع والخوف ، بل بالعكس من ذلك فقد يصل بالوثنيّ إلى حدّ تحطيم إلهه أو أكله إذا اقتضت الحاجة كما في أصنام العرب المشكّلة من التّمر.
- وهناك اتجاه آخر يمثّله : (روجيه باستيدا) R. Bastide و "جيفونز" Jevons إلى أنّ كلمة Religion ترجع إلى الفعل اللاّتيني Regeler الذي يعني العبادة القائمة على الخشوع والرهبة والاحترام[2] ، غير أن هذا التصور الديني يقتصر فقط على الأديان السماوية ، وللدراسات الأنثربولوجية في الشعوب البدائية رأي آخر ، فهي تطلّعنا على أنماط من الدّين والعبادة تخلو من الخشوع والخوف ، بل بالعكس من ذلك فقد يصل بالوثنيّ إلى حدّ تحطيم إلهه أو أكله إذا اقتضت الحاجة كما في أصنام العرب المشكّلة من التّمر.

نحو الخالق واجبات الإنسان نحو الله ، وواجباته نحو الجماعة، و واجباته نحو نفسه) .([3])

*وعرّفه (روبرت سبنسر) في خاتمة كتاب : (المبادئ الأوليّة) فقال : " الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانيّة ولا المكانية ، هو العنصر الرئيسي في الدّين " . [4]

*وعرّفه (ماكس ميلر) في كتابه : (نشأة الدّين ونموّه) : " الدّين هو محاولة تصور ما لا يمكن تصوره، والتعبير عمّا لا يمكن التعبير عنه ، هو التطلّع إلى اللاّنهائي ، هو حبّ الله " [5].

---

[1]) الدّين ، عبد الله دراز ، المرجع السابق، ص 24 .

[2]) المرجع نفسه، ص 24 .

[3]) المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

[4]) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها ، نقلاً عن المؤلف ، وكذلك الهوامش 3و4.

*وعرّفه (إميل برنوف) في كتابه : (علم الدّيانات) فقال : " الدّين هو العبادة ، والعبادة عمل مزدوج: فهي عمل عقليٌّ به يعترف الإنسان بقوّة ساميّة ، وعملٌ قلبيٌّ أو انعطاف محبّة ، يتوجّه به إلى رحمة تلك القوّة ".

و قال (ريفيل) في : (مقامة تاريخ الأديان) : " الدّين هو توجيه الإنسان سلوكه ، وفقا لشعوره بصلة بين روحه وبين روح خفية يعترف لها بالسلطان عليه وعلى سائر العالم ، ويطيب له أن يشعر باتّصاله بها " .[1]

ومن الملاحظ من خلال عرض هذه التعريفات أنّ الغالبية منها قد جاوزت الحدّ في التحديد (أي تحديد مسمّى الدّين) ، إذ حصرت مسمّى الدّين في نطاق الأديان الصحيحة المستندة إلى الوحي السماوي ، والتّي تتّخذ معبودًا واحدًا ، فالدّيانة الخرافية التّي تستند على الخيالات ومحض الأوهام، والدّيانات القائمة على عبادة التماثيل ، الحيوان ، النبات ، الكواكب أو الجنّ والملائكة ، تخرج بمقتضى هذه التعريفات عن كونها دينًا ، مع العلم أنّ القرآن الكريم قد سمّاها ديناً ، ففي التنزيل الحكيم : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا ﴾آل عمران /85، وكذلك: ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ الكافرون/ 06.

ثمّ إنّ بعض الباحثين قد وصلوا في تحديد معنى الدين بأرقى صورة عرفتها الفلسفة ، وهي الفكرة التي عبّر عنها سبنسر بقوله : (إنّ العنصر الأصيل في الدّين هو الإيمان بقوّةٍ لا يمكن تصوّر نهايتها الزّمانيّة ولا المكانيّة ...) .

و الحاصل أنّ الذّي أجمع عليه مؤرخو الأديان هو أنّه ليست هناك جماعة إنسانية ظهرت وعاشت ثم مضت دون أن تفكّر في مبدأ الإنسان و مصيره ، وفي تعليل أحداث الكون وظواهره، والأديان السّماوية الثلاث لم تستند عن هذه القاعدة .

[1]) المرجع السابق ، ص24.

إذن : الدّين ظاهرةٌ تتّصل عضويًّا بالقلب والرّوح والعقل والجسد ، وهو ظاهرةٌ مركّبة متنوّعة الأبعاد والتعبيرات ، أيُّ فهمٍ يختزلُ الدّين ببعدٍ واحدٍ هو تبسيطيٌّ ساذج ، الكائن البشريّ كينونته متعدّدة الأبعاد ، وتبعًا لذلك تتعدّد أبعاد دين هذا الكائن بتعدّد أبعاد كينونته .

فالدّين من جهة هو فهمٌ لما هو الإله ، ومحاولة تفسير وتأويل لحقيقة الإلهي ، وما يتّصف به من صفات لا تكرّر ما هو بشري ....، وحضور المطلق الكامل الغني الذّي لا يحدُّه شيء ولا يشبهُهُ شيْء ، ولا ينقصُه شيء ، ولا يفتقر لشيء – في وجود وحياة الكائن البشري ، هذا الكائن الفقير المحدود غير الكامل بطبيعته .

والدّين من جهة أخرى تفسيرٌ لحقيقة الإِنسان ، وماهيّته ، وحدوده ، ومتطلّبات حياته ([1]).

وعلى الرّغم من توافر كلّ أنواع الدّراسات الوصفيّة والتقسيمات والتحديدات والتعريفات ، فإنّه لا توجد حتّى الآن أيّ طريقة للتحدُّث عن الظّاهرة الدّينيّة ، بمعنى أنّه لا توجد أي طريقة قادرة على تحقيق إجماعٍ عقليٍّ يتجاوز كلّ الإيديولوجيّات والصّراعات التّأويليّة أو التّفسيريّة بين الأديان والمذاهب المختلفة (هذا هو المفهوم الأنثروبولوجي الواسع ، لا الخُصوصيِّ الضيّق). ([2])

هذا وقد تساءل " ماكس مولر "([3])_ توفّي سنة 1856 م _ في كتابه (علم الأسطورة المقارن) عن أصل الدّين بناءًا على افتراضات لغويّة وليست تاريخيّة – باعتباره عالم لغويات وليس عالم أديان – ، و أوضح النّظرية الّتي تقول : أنّ الآلهة ليسوا إلاّ تجسيدًا لظواهر طبيعيّة .

[1]) الدّين والظّمأ الأنطولوجي، عبد الجبّار الرّفاعي ، ص 289 بتصرّف يسير، .

[2]) العلمنة و الدّين ، محمّد أركون ، ص 12و 13 بتصرفٍ يسير.

[3]) الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان ،كلود ريفيير ، ص 71 ، بتصّرف .

3-الشخصيّة :

هي مجموعة دلالات متغيرة ومتطورة باعتبارها نتاج اجتماعي وتاريخي، ومن المجتمع والتاريخ تنبع المصادر الحضارية و الثقافية لمكوّنات الشخصية..، والشخصية نتاج التعلّم [1].

وقد عرّفها كلود ريفيير ([2]) بقوله : وقلّما يتمُّ تخيُّل الشّخص ك : برسونا (per-sona) بمعنى القناع مثلما ذكره : موس" mauss " ، في علم الاشتقاق ، ولكنّه بالأحرى يُمثّل قُطبًا داخل منظومةٍ من العلاقات ، و أوضح ليفي بروهل (levy – bruhl) بتفسيره لقانون المشاركة ، ارتباطات الفرد الذي لم يتصّورهُ معزولاً على الإطلاق عن إطاره الاجتماعي وبيئته الطّبيعيّة وازدواجيّته و القوى الخفيّة ، ...وقد شدّد ماير فورتس (mayer fortes) على أنّ حالة الإنسان – أو الشّخصيّة – لا تُكتسبُ إلاّ تدريجيًا وبشكلٍ مُتتالٍ (الولادةُ ، و الفَطْنُ ، ثمّ الزواج ، وتحمُّلُ العبء الأُسري .

والشخصيّة الإنسانية عند علماء الأنثربولوجية الثقافية هي صفحةٌ بيضاء تنطبع عليها كل سمات الثقافة التي تفرض على الشخصية مجموع الملامح والخصائص .

و قد قامت جدليّة اصطلاحيّة في تحديد مفهوم الشخصيّة تُعرف بمشكلة الثنائيّة ، وهي : [3] إمّا أن تدرس الثّقافة في الشّخصيّة ، أو أن تعالج الشّخصيّة في الثّقافة ؟ فتضطرب بذلك فروض الباحث .

وقد ذهب كلوكهون إلى أنّ التعرّف على الثّقافة هو السّبيل الحاسم لفهم الشّخصية ، إذ أنّها بُعدٌ رئيسيٌّ من أبعاد الشّخصية .

---

[1]) الأنثروبولوجية العامّة ، ص 131.

[2]) الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان ، ص 139 ، بتصرّف يسير .

[3]) المرجع نفسه، ص 511 .

ولمعرفة سمات وملامح الشخصيّة عند إجراء التجارب يقترح العلماء الأنثروبولوجيون منهج الإسقاط، بمعنى عزل الشروط والمواقف التجريبية المتوصّل إليها بتطبيق منهج الإسقاط ، حتى تتكشّف معالم الشخصيّة في ضوء المواقف والدّوافع ، وظروف الحاجة ،كمعطيات ضرورية لتفسير الشخصيّة [1].

ويدرس (بوكوك) المشكلة حينما يعرف الناس أنهم تغيّروا ويواصلون مع ذلك العيش في عالم تعتمد قيّمه على الثبات : " يتعيّن هنا علينا أن نختار إمّا أن نعزو إلى هؤلاء النّاس طاقة هائلة على خداع الذّات ، وهي القدرة على العيش في تعارض مستمر مع تجربتهم ، وإمّا أن نعيد بحث الافتراضات التي تشكّل هذه الحقائق في ضوئها مشكلة ما " لكن القضيّة الحاسمة هي: الإستعمال الأنثروبولوجي للزّمن، وقد انتقد فابيان الاستعمال الأيديولوجي للزّمن في الأنثروبولوجية الإجتماعية([2]) .

وفي تقديمٍ جميلٍ للغاية كتب كلود ريفيير في فصل (مفاهيم الإنسان) ، في فرع "الشّخص" قائلاً : " نظرًا لأنّ علم الكون يحمل في طيّاته على الأنثروبولوجيا ، فإنّ أنثروبولوجيا الدّين تحتوي إلى الأنثروبوس (anthropos) أي : الدراسة الدّينيّة للإنسان في ماهيّتها الذّاتيّة وعلاقاتها المتبادَلة . ([3])

وموضوع الشّخصية يُعتبر من مباحث علم الإنسان الثّقافي ، ومن السّمات التّي لها وزنها في دراسات علم الإنسان أنّ فيها شيء من طبيعة السيّر الذّاتية. [4]

[1]) الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان ، المرجع السابق، ص 512 ، بتصرّف يسيرٍ جدّا .

[2]) إختلاق إسرائيل القديمة ، ص333.

[3]) الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة للأديان ، ص 139 .

[4]) الدّين والبناء الاجتماعي ،ج 2 ، ص 44.

4-الديّانات السماوية :

المقصود بالدّيانات السّماوية غير الأديان الوضعية أو البدائية، والّتي من أشهرها : الدّيانات المندثرة ([1]) ،كالمصريّة القديمة ، والعراقية القديمة، واليونانية القديمة، والرّومانية القديمة([2]) ، وبعض الدّيانات الحيّة و الموجودة في عالم اليوم كالبوذية، والصّابئة، والإيزيديّة وغيرها .

و بناءاً على ما جاء في الموسوعات العامّة ، ومعاجم الأديان السماوية و الوضعية فالأديان السّماويّة هي : اليهودية ، والمسيحيّة ، و الإسلام . ([3])

ولم تأت ديّانات التّوحيد اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام – حسب كلود ريفيير – من أجل تخفيض عدد الآلهة ، لكن من فكرة إله غيور على خلقه ، الإله الأوحد هو إله القانون والرّحمة ، القادر على كلّ شيءٍ والرّحيم ، و يُحاسبُ وفقًا لتقوى الشّخص . ([4])

وأمّا الأديان الأفريقيّة فالمعرفةُ بها أقلّ من سابقاتها ، لأنّها بزعم علماء مقارنة الأديان ذات أصل وثني و ملتصقة بالعقليّة البدائيّة وبالتّالي فهي من اختصاص علم ((العِرَاقة)). أي : علم خصائص الشّعوب ولغاتها وعاداتها الاجتماعيّة ...، وهذا العلم عُرْضةٌ للجدل والأخذ والرّد ، كما أنّه ، كما أنّه ذو حضور ضعيف في المعاهد والجامعات أيضًا . والشيءُ نفسه يُقال تقريبًا عن الأديان الآسيويّة كالزرادشتيّة و البوذيّة و الهندوسيّة و المانويّة ، فلا يُعرف عنها الكثير بشكلٍ جِدّيٍّ . وربما لا شيء في أوساط الجمهور المثقّف . ([5])

---

[1]) العبادات في الأديان السّماوية ، ص21.

[2]) المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، جفري بارندر ، ص 69.

[3]) معجم ديانات وأساطير العالم ،ج 1 ، المقدمة .

[4]) الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان ، ص 135 ، بتصرّفِ يسير .

[5]) الدّين و العلمنة ، محمّد أركون ، ص14 ، بتصرّفِ يسيرٍ جدّا .

وأمّا الأديان السّماوية فإنّه وباستثناء بعض الإختلافات البارزة ، فإنّ هناك تطابقًا بين المفاهيم الأساسيّة اللّاهوتية الإسلامية مع المفاهيم اللّاهوتية لليهودية والمسيحية ، وهذه المفاهيم اللّاهوتية العقائدية هي الأهم في الدّيانات السّماوية الثلاث ، و هي:

1 – " الله " .

2 – " عالم الخليقة " .

3 – " النّفسُ الإنسانية " .

4 – " يوم الحساب " . ([1])

وقد عُلّمت اليهودية " الشيما " الخاصّة بها ، ومحتوى الشيما هو: ((اِسمع يا إسرائيل ، الربُّ إلهنا ربٌّ واحدٌ)) ، لكنّ هذه التعاليم اِنْحصرت في شعب إسرائيل فقط ، أمّا المسيحيون من جهتهم فقد ساوموا في توحيدهم بتأليه المسيح ، و أمّا الإسلام فقد شرّف السيّد المسيح كنبيٍّ ، وقبِلَ ولادته البَتولية ((من غير أبٍ)) ، ويَعتبرُ رُوحي آدم والمسيح الوحيدتين اللّتين خلقهما الله مباشرةً : ﴿ إنّ مَثَلَ عيسى عند الله كمثلِ آدمَ خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون ﴾ آل عمران /59 ، إلاّ أنّ القرآن ينتقد عقيدتي التجسُّد والتثليث ، مُعتبرًا إيّاهما بِدْعًا مُخْتَرَعَةً تُشوّه التمايُز بين الإله والإنسان ([2]) .

وبحسب القرآن : ﴿ وقالوا اتّخذ الرّحمان ولدًا . لقد جئتم شيئًا إدًّا . تكاد السّماوات يتفطّرن منه وتنشّقُّ الأرضُ . وتخرُّ الجبال هدًّا . أن دعوْا للرّحمان ولدًا . وما ينبغي

[1]) أديان العالم ،ص 484،تأليف : البروفيسور والناسك الروحي د . هوستن سميث ، دكتور الفلسفة وعلم الأديان في عدة جامعات بالولايات المتحدة الأمريكية ، ترجمة : سعد رستم ، الطبعة الثالثة ، دار الجسور الثقافية ،حلب، 1428 هـ/ 2007م . و قد ذكر بعض هذه المفاهيم كلود ريفيير في : الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة للأديان ، ص 135 .

[2]) المرجع نفسه ، ص 485 ، بتصرّف يسيرٍ.

للرّحمان أن يتّخذ ولدًا . إن كلّ من في السّماوات والأرض إلاّ آتي الرّحمان عبدًا ﴾ مريم / 88 – 93 .

فالمسلمون ليسوا مُولَعين بالتّصوير الأبويّ لله ، حتى عندما يُستخدم هذا التصوير اِستخدامًا مجازيًّا، لأنّهم يرون أنّه عندما يُوصف البشر بأنّهم أطفال الله ، فإنّ هذا يضع الله في نمطٍ إنسانيٍّ جدًّا ، وهو تجسيمٌ وتجسيدٌ للذّات الإلهية . ([1])

5–أهل الكتاب :

يواصل القرآن الكريم رسالة العهدين القديم والجديد ، اللّذين يمثّلان الوحيين السابقين للّه، ويقدّ القرآن نفسه كذروة واكتمالٍ لذيْنك الوحيين ، ففي سورة المائدة آية 68 :﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شيءٍ حتّى تقيموا التّوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ﴾ .

وهذا خوّل اليهود والمسيحيّين أن يدخلوا مع المسلمين تحت عنوان : " أهل الكتاب " .

هذا ولما كان سياق الوحي القرآني في الشرق الأوسط ([2]) ، فإنّ أديان البلدان الأخرى لم تذكر ، ولكن هناك إشارة لوجودها وإلى اعتبارها صحيحة من حيث المبدأ ، كما تشير إليه تلك الآية : ﴿ ولكلّ أمّة رسول ﴾ يونس /47 ، أو :﴿ ورسُلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك ﴾ النّساء /168. ولكن مع ذلك يرى المسلمون أنّ العهد القديم والعهد الجديد يشتركان في عيوب يخلو منها القرآن . أوّلاً إنّهم يقولون إنه لأسباب ظرفية فإنّ

[1]) المرجع السابق ،ص486 ، بتصرّف يسيرٍ جدًّا .

[2]) أديان العالم ، ص 480 – 481 .

ذينك العهدين إنّما يعرضان أو يقدّمان جزءا من الحقيقة . وثانيًا لقد حرّفت التوراة والإنجيل بشكل جزئي أثناء تناقلهما وهذا الأمر حقيقة واقعة تفسّر التناقضات و التعارضات التي تظهر بين روايات العهدين و بين الرّوايات الموازية لها في القرآن . و لما كان القرآن مصونًا و منزّهًا من ذيْنك العيبين ، فإنّه يمثّل الوحي النّهائي والمعصوم لكلام الله ولإرادته . هذا ما ذكرته الآية من السّورة الثانية في القرآن التّي تقول : ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتّقين** ﴾ . البقرة/02.

والمقصود بأهل الكتاب هم أولئك المتديّنون من اليهود أو النصارى الذين كانوا علماء في الدّين اليهودي أو المسيحي أو كلاهما ، وهذا ينطبق على من يسمّى بالمهتدين قديماً ، أو اللّذين كانوا يهودًا أو مسيحيين ثمّ تحوّلوا إلى الإسلام ، وأنبّه إلى أنّني لم أعثر على تعريفٍ علميٍّ لمصطلح أهل الكتاب، ومصطلح أهل الكتاب يطلق على الّذين أسلموا في عهد النبوّة ، العارفين بالكتب المقدّسة، كتميم الدّاري و كعب الأحبار .

ومن يهود العصر الوسيط الأندلسيين والبغداديين : السّموءل المغربي صاحب كتاب "إفحام اليهود " ، وقد كتب عليه شموائيل بن يهوذا كتاباًا عنوانه : " منامات السّموؤل ويليه بذل المجهود في إفحام اليهود " الذّي طبُع سنة 2014 بدمشق ولكن دون تحقيق، وسعدية كاؤون (882- 942هـ) أو سعديا الفيّومي ، مؤلّف كتاب " تفسير التوراة بالعربية "، وكتاب: "الأمانات والاعتقادات " الذّي طُبع ب لانداور ، ليدن ، هولندا سنة 1880 للميلاد ، وهو من يهود بغداد ، ولد بالفيّوم وعاش بالأندلس ([1]) .

[1]) يهود الأندلس والمغرب ، حاييم الزّعفراني ، ج1، ص54 ، ت : أحمد شحلان ، الناشر : مرسم ، الرّباط سنة 2000.

ومنهم أيضًا الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون القرطبي الذّي يعتبره اليهود في مقام النبيّ موسى كما ذكر حاييم الزّعفراني في كتابه : " يهود الأندلس والمغرب " ([1]) و هو الفيلسوف والفقيه والطّبيب في البَلاط القرطبي صاحب المدوّنة الشهيرة في الفقه اليهودي المسمّى: "دلالة الحائرين"، وقد طُبع باستانبول بتحقيق حسين أتاي ، الأستاذ بكليّة الإلهيات ، وكذلك اِبنُه إبراهيم بن ميمون ، وقد كان موسى بن ميمون من أكثر الفقهاء والفلاسفة اليهود المتاثّرين بالطريقة الأشعرية في الفكر الإسلامي ، وله كتاب مهمٌّ آخر وهو " تثنية التوراة " طبع آخر مرّة ببغداد سنة 2016 ، و إسرائيل بن شموئيل ، مؤلّف كتاب : " الرّسالة السّبعية في إبطال الديانة اليهوديّة " ، وحيث إنّ اليهود والنصارى لا يزالون يحتفظون بكتب دينيّة منسوبة إلى الأنبياء عليهم السّلام ، فكان إسلام العالم منهم في فجر الرّسالة يعدُّ تحوّلاً إيجابيًا يُحسب في صالح الإسلام .

ولما لهذا التحوّل من ثمارٍ ملموسةٍ في مجال المقارنة والمجادلة فقد خصّصت هذه الدّراسة المتواضعة لدراسة أحد هؤلاء " المهتدين " ، وهو الحبرُ الأعظم والصّحابيُّ المتقدّم تميم الدّاري .

كما أنّه يندرجُ تحت هذا المسمّى جمٌّ غفيرٌ من هؤلاء المهتدين ، وليس في الإمكان الإحاطة بهم جميعًا ، فرأيت أن أقتصر منهم على مجموعة مشتهرة تمثّل هذه الطائفة المهتدية في الماضي والحاضر ، ولعلّ أسباب اقتصاري على هؤلاء تنحصر في :

1- المهتدون الذّين ذكرتهم آنفًا كانوا هم الرّواد الأُوّل في هذا المنهج ، بل هم طلائع التصنيف والتأليف في هذا الباب ، أعني باب الرّد على أهل الكتاب من قِبل أهل الكتاب أنفسهم .

2- مؤلّفات المهتدين الرّواد استغرقت قضايا النزاع بين المسلمين و أهل الكتاب .

وعليه : إنّ مسلمي أهل الكتاب بحسب ما ظهر لي هم : " الذّين كانوا عالمين بدينهم قبل إسلامهم"، وهذا الشّرط متوفّرٌ في تميمٍ الدّاري الشّخصيّة موضوع الدّراسة ، أمّا الشّرط الثاني

[1]) المرجع السابق،ج1 ص55 .

فلا يمكن تحصيله والحديث عنه هنا ، لأنّنا نتكلّم في هذه الأطروحة عن تميمٍ كنموذجٍ ، وهو وأمثاله مصادرُ أصيلة لا يمكن الاشتراط فيهم أن يُؤلّفوا ، لأنّ التّدوين والكتابة لم يكن على عهدهم ، ثمّ إنّهم كانوا الرّعيل الأوّل من المهتدين ، ولم يكن على عهدهم هذا النّوع من الرّدود والمساجلات ، بل صادف أنّهم كانوا أحبارًا وأصحاب أدْيرة ، ورؤساء في دينهم ، ثّم إنّهم كانوا معاصرين لظهور الإسلام ، فلا يمكن لعاقل أن يطالب بَحيرة الرّاهب أو كعب الأحبار بتدوين مشاهداتهم في كتبهم المقدّسة ، اللّهم إلاّ الروايات التي يروونها شفوياً و المتوارثة في ثقافتهم الشّعبيّة.

وقد أطلق أيضًا على أهل الكتاب مصطلح " **الحُنفاء** " ، وهي النّفوس السّامية ذات الإحساس الرّفيع ، والّتي تحرّكت في اِتّجاه التّوحيد قبل محمّد عليه الصّلاة والسّلام ([1]) .

وممّا تجدرُ الإشارة إليه أنّ بعض المؤلّفين في هذا الشّأن قد أطلقوا على أهل الكتاب اِسم : " أهل الذّمة " ([2]) .

وممّا يجب ذكرهُ كذلك : أنّ القاسم المشترك بين ما يسمّى: "بأهل الكتاب" هو: أنّهم جميعاً يشتركون في عقيدة: "وجود الإله الواحد للكون وعبادته"، أي عنصر التوحيد "الوُحْدانيّة"، monotheism ، وسيأتي بيان ذلك في ثنايا هذه الأطروحة .

[1]) أديان العالم ، ص485 ، بتصرف .

[2]) منهاج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب ،لمؤلف مغربي مجهول في القرن الحادي عشر الهجري ،تحقيق : داود علي الفاضل ،ص 7،و12،و64، دار الغرب الإسلامي ،بيروت،1982م،1402 هـ.

الفصل الثاني

نشأة الأديان السّابقة للأديان السّماويّة

من الجدير بالذّكر في هذا المقام أنّ الذّي أجمع عليه مؤرّخو الأديان إلى أنّه ما من جماعة إنسانيّة أو أمّة كبيرة ظهرت وعاشت ، ثم مضت دون أن تفكّر في مبدأ الخلق ومصير الإنسان ، وكذا تعليل ظواهر الكون ، ولكن دون أن تتخذ موقفا في ذلك كلّه ، أو رأيًا تُصوّرُ به القوى التي تخضع لها وتُسبّبُ قمّة الظواهر، وكذلك مصير الكائنات بعد فنائها ، ففي النّظرية الهندية القديمة مثلا لم تغفل تلك النظرية في الحياة وآلامها ، وفي أنّ التعلُّق بملاذ الحياة ومُتعتها هو السبب في عودة الرّوح إلى الجسد بعد الموت في صورة شيءٍ ما ، وأنّ الرّاحة الكاملة لا تكون إلاّ بالزّهد التّام في الحياة ليموت الإنسان بلا رجعة ، فلا يعود إلى آلام الحياة كرَّةً أخرى [1] .

وقد يَشْكُل أنّ مؤرّخي البوذيّة يقولون إنّ الآلهة الهندية التّي جرى الاِعتقاد بها من البوذيّة القديمة لم يكن لها في نظر البوذيين سلطانٌ إلاّ على العالم الماديِّ الّذي يريد البوذي أن يتخلّص منه ، فهو لذلك لا يعبدها ولا يرجو خيرها ، بل يريد أن يهرب من سلطانها بالموت الأبدي [2] .

وعليه فلا سبيل إلى القول بأنّ البوذية القديمة مثلاً لا تعرف آلهةً البتّة ، أو إنّها تعترف بآلهة لا تُعبد ، فالنّتيجة واحدة ، وهي أن تكون هناك ديانات خالية من فكرة العبادة ، وذلك إمّا لخلّوها من كلّ عنصر نظريٍّ اعتقاديّ في مصدر الكائنات ، وإمّا لأنّها مركّبة تركيب ضمٍّ فيه امتزاجٌ من عنصرين متدابريْن لا يلوي بعضهما على بعض بحيث يُكوّن شطرها النّظري مُثبتًا لقوى عظيمة ذات سلطان على الوجود ولكن لا شأن لها بأعمال البشر، وشطرها العمليِّ مبيّنًا لطريق السّلوك الذي يخلّص النّفس من آلامها [3].

ومع ذلك فإنّ في تسميّة هكذا مذاهب أديانًا لا مانع فيه ، الجانب الاصطلاحي خارج عن المعهود مُجافيًا لذوق اللّغات .

---

[1]) الدّين ، عبد الله دراز ، ص 38 ، و39 .

[2]) المرجع نفسه ، ص 39 ، بتصرّف بسير .

[3]) المرجع نفسه ، ص 39 ، بتصرّف يسير .

ولقد درج اليهود على السُّخريّة من آلهة بابل و مصر و باقي الآلهة التي تَدينُ لوجودها وبقائها إلى : " يَهوه " ، ولكنّها تختلف معه في أنّها فانيّةٌ ، فالله الإسرائيلي يختلف تمامًا عن الآلهة الأخرى ، وهذا لا ينفي الزّعم بأنّ الإسهام الأساسي لليهوديّة في الفكر الدّيني في الشّرق الأوسط كان في إرساء " عقيدة التّوحيد " ، قال (هيوستن سميث) ([1]) : " بالنّسبة للمصريّين و البابليّين والسوريّين ، كانت كلّ واحدةٍ من قوى الطّبيعة الكبيرة و العظيمة تمثّلُ ربوبيّةً أو إلهًا متميِّزاً ، فالعاصفة كانت إله العاصفة ، والشّمس إله الشّمس ، والمطر كان إله المطر ، أمّا عندما ننتقل إلى التوراة العبرية فإنّنا نجد أنفسنا في جوٍّ مختلفٍ تمامًا ، إذ نجدُ أنّ الطبيعة هنا ما هي إلاّ تعبيرٌ عن ربٍّ واحدٍ فردٍ لكلّ الكون .

و لقد كتب (هنري فرانكفورت) وهو أحد العلماء المحتجّ بهم في معرفة ديانة تعدّد الآلهة في الشرق الأوسط القديم : " عندما نقرأ في المزمور التّاسع عشر من سِفْر المزامير (السّماوات تُحدّث بمجد الله ، والفَلَكُ يُخبر بعمل يديه) فإنّنا نسمع صوتًا يسخرُ من اعتقادات المصريين والبابليين ، السّماوات التي كانت بالنّسبة لقارئ المزامير آيةٌ تشهدُ على عظمة الله ، كانت بالنّسبة لأهالي ما بين النّهرين (السّومريين) تمثّل الألوهيّة ذاتها ([2]) ، كانت هي الحاكم الأعلى " **آنو** " أو " الحاكم الأسمى " وابنه مردوخ ([3]) ، وبالنّسبة للمصريّين كانت السّماوات تمثّل سرّ الأمّ الإلهة ، التّي من خلالها وُلد الإنسان . في مصر وبلاد ما بين النّهرين ، – إينانا عند السّومريين هي نفسها عشتار لدى البابليّين ، وإنْكي هو إله العالم السّفلي في مجمّع الآلهة الثّلاثي إضافةً إلى إينانا ومردوخ – كانت الأُلوهيّة تُفهم على أنّها حالّةٌ في الطبيعة : الآلهة هي مكوّنات الطّبيعة نفسها ."

[1]) أديان العالم ، ص 338 .

[2]) المعتقدات الدّينيّة لدى الشعوب ، د. جفري باردنر ، ص 13 .

[3]) المرجع نفسه ، ص 14 .

وبعد سرده لرؤية المصريّين لمعبودهم في الشّمس ، ولسكّان مابين النّهرين لمعبودهم " شماش " ضامن العدالة قال عقبها : " لم يكن إله ناظم المزامير والأنبياء حالاً في الطبيعة ، وإنّما كان ساميًا فوق الطّبيعة ، ..يبدو أنّ العبرانيّين لم يكونوا أقلّ من اليونانيين في تخاصمهم مع نمط التّخمين الّذي ساد عصرهم " ([1]) .

ومع الرّجوع إلى الأديان السّابقة لليهوديّة كالبوذيّة التي ترى في بوذا إلهًا مُلهِمًا ، فمنها من ترى عبادة النّار نجاةً لها ومنها من تنتحل عبادة الظواهر الطبيعية كالنّور والظلمة ومنها من تؤلّه الشّخص المسمّاة عليه الملّة "كالبوذية " و "المانوية" وغيرها ، وهي أشبه بفلسفات ، ولم تدخل مرحلة أن تكون دينًا إلاّ عندما دخلتها فكرة التأليه [(2)].

والواقع أنّني لم أشأ في هذا الفصل أن أتعرّض لكلّ ملّة من هذه الملل السابقة عن اليهودية بالشرح والتفصيل وذلك خشية الخروج بالبحث عن مساره المرسوم له والخوض في غمار الأديان الوضعية التي لا يمكن حصر معالمها وأسباب نشأتها بدقة ، وبوفرة في المادة العلمية التاريخية لذلك.

وعليه فإنّ التطرّق إلى الحديث عن هذه الأديان قد يكون أسهل من الناحية العملية إذا ذُكرت العصور الزّمنية التي نشأت فيها فكرة الأديان التأليهيّة ، ومن هذه العصور على سبيل الإجمال لا التفصيل .

[1]) أديان العالم ، ص 338 ، بتصرُّف .

[2]) الدّين ، عبد الله دراز ، ص 40 .

العصر الفرعوني :

لم يترك قدماء المصريّين سجّلاً جامعًا يدوّنون فيه تعاليم عقائدهم ، لكن الأبحاث الآثاريّة ، والدّراسات الأنثروبولوجية والأحفوريّة أثبتت أنّ المصريين ومنذ عشرات القرون قد سجّلوا عقائدهم في قراطيس البَرْدِي ، مثل تعاليم عنغ شاشنقي الأخلاقيّة ، والتّي دوّنت بالخطّ الدّيموطيقي ، وهي برديّةٌ محفوظةٌ ضمن الآثار المصريّة السّوريّة في المتحف البريطاني ([1]) ، وهذه العقائد منقوشةٌ على جدران المقابر والمعابد بطيبة ووادي الملوك ، وتركوا للإنسانية إرثاً هائلا من التماثيل المنحوتة وأجساد محنّطة لملوكهم و رؤسائهم و معبوداتهم من الطيور كالنعام والصقور والحيوانات الضارية ، وكذلك فعلوا في البلاد التي غزوها كبلاد النوبة وآشور وبلاد ما بين النّهرين واليمن ، وقد تركوا لكلّ بلد دخلوه الحريّة في الإعتقاد ، واتّخاذ ما شاء من الرّموز الموضعية [(2)] .

ولم يَشُذّ عن هذا الوضع إلى عصور قليلة اتّسمت بالانتصار إلى عقائد معينة ، كما فعلت مدرسة " عين شمس" التي ألغت كل عبادة إلاّ عبادة إله الشمس ، وما فعله الملك (أمنحوتب الرابع) الملقب بأخناتون ، حين ثار ضدّ كل الوثنيات ، فمحا الصور وأزال التماثيل من المعابد ، وأمر بعبادة إلهٍ ([3]) واحد ذي مظهرين : الشّمس في السّماء ، والمِلِكُ على وجه الأرض ، لكن هذه التغيرات لم تدم طويلا إذ تدل أوراق البردي المحفوظة في برلين ولندن على أنّ المصريين القدامى كانوا يعرفون الإله الأحد[(4)] ، الغيبيّ الأزلي ، الذّي لا تصوّره الرسوم ، ولا تحصره الحدود وهو ما ذهبت إليه :

---

[1]) القيم الأخلاقيّة والسّلوكيّة بين تعاليم عنغ شاشنقي في مصر وزرادشت في بابل ، سوزان عبد اللّطيف ، ص16 .

[2]) المرجع نفسه ، ص 9 ، بتصرّف يسير .

[3]) المعتقدات الدّينية لدى الشعوب ، ص 31 .

[4]) الدين ، ص 10 ، هامش رقم (1) .

" موسوعة التاريخ العام للدّيانات لمجموعة من المؤلّفين الفرنسيين ، لاسيّما في الجزء الأوّل ، الصّفحات 251-252 " [1] . غير أنّ تلك العقيدة الرّوحية كانت مشوبةٌ عند العامة بفكرة أن الإله يتجسّد ويحل سره في بعض الكائنات الممتازة : كالإنسان والحيوان الضارّ ، وحتّى الجماد ، فكانوا يعتقدون أنّ قوّة التدبير في الملوك و قوّة الإخصاب النّباتي في النّيل ، وقوّة العلاج الحيواني في عجل أبيس، مستمدّةً من السّماء بتلقيح شعاع الشمس ، وهذه الكائنات الخاصّة أهل للتّقديس والعبادة بفضل تلك الصّلة بالإله الأعلى .

واتّسمت مظاهر العبادة عند المصريين القدامى بعبادة مظاهر الطبيعة المتجليّة بوضوحٍ في قرص الشّمس الذي عدّوه صديقاً لشعب مصر ([2]) وجعلوا لها إلهًا سمّوه (رع) ، ونظرا لانتشار التصورات حول ماهية الآلهة وطريقة عبادتها وما أحاط بها من نسيج خيال الكهنة ، وتنبؤات العرّافين ، الذين حاولوا أن يسبغوا على طقوسهم التعبُّديّة الطلاسم والرموز المبهمة ، خاصّة السحرية منها ، كلُّ ذلك أثّر في عقيدتهم ، فالشّعور الغريزّي بالخوف والفزع من المظاهر الكونية ، ومن الحيوان ، ومن كل ما هو مجهول أسبابٌ جعلتهم يحترمونها ويقدّسونها، فأمست معتقداتهم منتشرة بصورة واسعة .

ولم يكن للمصريّين (دينُ كتابٍ) كما هو الحال في الأديان السّماوية ، بل لم يكن لهم كتابٌ مقدّس، إذ يعتقدُ العلماء أنّ الكتاب الذّي تداوله المصريّون القدامى هو كتاب (الموتى) ، وكانت لهم كتابة مقدّسة تحفظ في (بيت الكتابات المقدّسة) ويدور محور عبادتهم حول الآلهة وطقوسها، وما يقام لها من احتفالات ، ومن تقديم القرابين والنّذور .

ولعلّ أهم ما يميّزها هو "أنّ فكرة تعدد الآلهة ظلّت مسيطرة عليهم عدا فترة حكم الفرعون "أخناتون" ثمّ عاد بعدها المصريّون إلى التعدّد، ولكنّهم في جميع عهودهم لم ينسوا عقيدة الإله

[1]) المرجع السابق ، ص 11 ، الهامش .

[2]) العبادات في الأديان السماوية ، عبد الرزاق الموحي ،ص 21 ، دار الأوائل ، دمشق ، ط1 ، 2001 .

الأعظم ، أو الإله الأكبر ، وحاول المصريّون القدامى الوصول إلى فكرة المعبود الواحد ، تلك القوّة القادرة على فعل ما تريد ولكنها لم تكن دعوة نبُوّة ولا رسالة ولعلها جاءت في زمنٍ لم تتهيأ النفوس للوحدانية ونبذ الشرك ، وتعدّد الأرباب فهي دعوة كهانة وهم الذين يسترون ما يعلمون ولا يبوحون للناس بأسرار الدّيانة إلاّ بمقدار ([1]) .

وقد اتّخذ المصريون معظم آلهتهم بأشكال حيوانية ، بعضها كان في شكل حيوانٍ كامل مثل : (عجل آبيس) والبعض الآخر كان له جسم إنسان ورأس حيوان (أنوبيس) رأس ابن آوى ، وكذلك كان الصقر(حورس)، والكبش (أخنوم) أو أكوش عند اللّيبيّين و النوميديّن .

وأوّل الأمر كانت المعبودات المصريّة متفرّقة في الأقاليم المصريّة ، (حين كانت مصر مقسّمة إلى مقاطعات وأقاليم) فكان لكلّ إقليمٍ معبوداتُه الخاصّة تقوم حول حيوانٍ أو صنمٍ ما ، يمثّل شيئاً في الطبيعة ، وأحياناً تقترب معبوداتهم بعضاً من بعض وتندمج و يجعلون لها البنين والبنات ، خافوا بعضها فقدّسوه ، وأحبُّوا بعضها الآخر فقدّسوه كذلك ، ومن أجل ذلك عبدوا العجل لأنه مصدرٌ من مصادر الخصب والحياة ، حتى إنّ النيل مثّلوه كذكرٍ يخصب الأرض بفيضانه السنوي ، وقدّسوا كلّ مظاهر الحياة وصورها : فالسبع في الدلتا ، والكلب في وسط مصر ، وكذلك القطّ والتمساح وابن آوى والكبش والعنزة والأفعى والبقرة ،كذلك عبد المصريون ملوكهم بصفتهم تجسيداً للآلهة وأكثر ما ظهرت هذه الصورة من العبادة كان عبادة الإسكندر وبعد سلالة بطليموس الذي سُميّ بالإله المنقذ (سوتير) وهي تقليدٌ لعادةٍ يونانيّةٍ قديمة ممّا تضفي قداسةً على أرواح الرّجال العظام بعد موتهم ، وقبل ذلك كان الفراعنة يعتبرون أنفسهم أبناء الآلهة (تارةً أبناءُ شمسٍ ، وتارةً أبناء القمر ، وتارةً معبودات أخرى كبرى) . ([2])

[1]) المرجع السابق، ص22 ، نقلا عن استيندروف في كتاب : " ديانة قدماء المصريين " .

[2]) موسوعة الأديان السماوية و الوضعية ،ج 1، ص96 .

وأمّا دعوة "أخناتون" للتّوحيد فليست الأولى ، بل إنّ التّاريخ يذكر أنّ دعوة إبراهيم عليه السّلام إلى الحنيفيّة كان قبل ذلك بستّمائة عام .

ويرى المؤرّخون أنّ عقيدة التّوحيد وصلت إلى " أخناتون" عن طريق قبائل الهكسوس التّي حكمت مصر زهاء قرنين من الزّمان قبل عهد أخناتون ، والهكسوس على اتّصالٍ بالمديانيّين الذّين كانوا يدينون بالإله الواحد " يَهْوَه " . ([1])

ويرى آخرون أنّ لدعوة إدريس ويوسف عليهما السلام أثرًا كبيرًا في نفس " أخناتون" إذا علمنا أنّ النبيّين كليهما عاشا في مصر، وقد أخبر القرآن الكريم عن حوار دار بين يوسف عليه السلام ورفاقه في السجن حول الوحدانية بقوله تعالى: ﴿ ياصاحبي السّجن أأربابٌ متفرّقون خيرٌ أم الله الواحدُ القهّار ﴾ . ([2])

ولقد كانت آلهة المصريّين القدامى تتداعى حين يبزغ نجم آلهة ثانوية كانت أو غريبة ، وكانت الحالة السياسيّة للبلاد هي التّي تؤثّر على هذا التداعي ، وجرت عادة المصريّين أن يقيموا طقوسهم التعبديّة كل صباح ، ضمن حركاتٍ وسجداتٍ ، تتخلّلها أناشيد دينية و إحراقٌ للبخور، وتقديم القرابين ، وكذلك يقوم الكاهن بفتح الحجرة الإلهيّة التي تضمُّ الإله للتبرُّك وتقديم النّذور من الأطعمة و الأشربة ثمّ يقفلها مساءًا . ([3])

وكثرت المعبودات المصريّة حتّى تجاوزت الألفي معبود ومعبودة بما فيها المعبودات الأجنبية ، حيث كان لكل مدينة أو قريةٍ إلهها الخاصّ بها كما كان لكل عائلة ذات شأن إلهها ، وكانت

[1]) العبادات في الأديان السماوية ، ص22 .
[2]) سورة يوسف ، آية 39 .
[3]) المرجع السّابق ، ص 23 .

هزيمة العائلة أو المدينة هو هزيمة للإله ،كما كان انتصار المدينة في حربٍ ما يعتبر انتصاراً وتكريماً وتعظيماً لإلهها و إعلاءاً لشأنه . ([1])

وتدلّ الآثار التّاريخية من صور ومنحوتات أنّ عبادتهم لقرص الشّمس فيه إيحاءٌ ومقابلةٌ بين ضوئه وظلمة اللّيل ، وكذلك مقابلة بين الموت والحياة ([2]) ، وقد ساعد خيال الكهنة والملوك على رسم مراسيم تعبُّديّة معيّنة تُعمّق فيهم روح الإيمان والانقياد لآلهتهم ، مستمدّةً من الأساطير التّي توارثوها عن أسلافهم ، وأنّ كافّة الطقوس الدّينية تجري وتُنفذّ باسم الملك وتصبح أكثر قدسيّةً وتبجيلاً عند حجرة قدس الأقداس حيث مركز الإله .

ولقد تصوّر المصريون آلهتهم على شاكلتهم فهم يفرحون ويتألّمون ولهم غرائزهم وشهواتهم ، كما آمنوا بالبعث والحساب بعد الموت ، ومن أجل ذلك غالوا في تحنيط الجثّة اعتقاداً منهم أنّ الميّت في قبره يأكل ويشرب .

كما دفنوا معه طعامه وشرابه ممّا يعينه على الحياة الثانية ،كما زوّدوه بالتعاويذ والترانيم وتماثيل جنائزية ، واعتقدوا بأنّ أعمال الإنسان في الحياة الدنيا ستخضع لتحليلٍ وتدقيقٍ من جانب الآلهة بعد الموت ، وبناءاً على ذلك تذهب الرّوح إلى ملكوت " أوزيريس " أو يُقضى عليها فوراً.

ومن عادات دفن الميّت وضعه على جنبه الأيسر و الأطراف منحنية ، الرّكبتان على الصدر واليدان قُبالة الوجه و الرّأس باتجاه الجنوب ، كما تُلفُّ الجثّة بجلد غزالٍ أو تُسجّى بعشبٍ وذلك تبعاً لحالة الميّت الاجتماعية . ([3]) أمّا تفسير وضع الميّت على جنبه الأيسر واليدان والرّجلان مضمومتان إلى الصّدر فهو تمثيلٌ لوضع الجنين في بطن أمّه ممّا يدلُّ على ولادةٍ ثانيةٍ للإنسان بعد الموت ، وأمّا حرق الجثّة أحياناً فهو يدلُّ على أنّ الإنسان سوف يعود للحياة ثانيةً ولكن بجثّةٍ

[1]) ميثولوجية وأساطير الشعوب القديمة ، الجزء الأول من موسوعة الأديان السماوية والوضعية ، ص96 .
[2]) المرجع نفسه، ص 23 .
[3]) نفسه، ص 67 و68 ، بتصرّف يسير .

جديدة . ولا يفوتني في هذا المقام أن أذكر أنّ هذه الطقوس الجنائزيّة قد رأيناها عدّة مرّات في مقابر الملوك النّوميديّين عندنا في الجزائر ، وهي شائعة في كامل الشّمال الأفريقي والصّحراء الكبرى ومما فهمناه من كلام كثيرٍ من أساتذة علم الآثار وتاريخ ما قبل التّاريخ أنّها أقدم عمرًا من التّي في مصر أو النوبة السّفلى ، وذلك بحساب الكربون المشّع .

ومن أهمِّ مظاهر المعتقدات المصريّة " الإيمان بعودة الرّوح" ومن أجل ذلك بنيت الأهرامات تعبيراً عن خلود الأموات ، فالمنزل مكان مؤقتٌ للحياة أمّا القبر والمعبد فهو مكانٌ للحياة الأبدية الخالدة .

وبذلك يعتبرُ المصريون القدامى أوّل من قال بخلود الأرواح بعد الموت ، وأوّل من حذّرَ من ارتكاب المعاصي التي تسبِّب الفناء حتى بعد الموت أو دخول الجحيم ، كما أنّهم أوّل من تخيّل محكمةً للموتى يُحاسبُ فيها الإنسان على أعماله التّي قام بها يتقرّرُ البقاءُ الأبدي في السّماء للطيّبين الأخيار.

ومن عقائدهم كذلك ولادةُ كائنٍ آخر مع كلَّ مولودٍ يأتي إلى الحياة وهو" إلكا " وهو صورةٌ على الإنسان يقوم على حمايته(وهو ما يُسمّى اليوم بالقرينة) فإذا مات الإنسان صحبته " إلكا" إلى القبر حيث سيكون لها عملٌ آخر هناك ،كما سمُّوا الرّوح "با"وهي أثيريةٌ من حيثُ طبيعتها وجوهرها ولها القدرة على مغادرة الجسد كما لها القدرة على العودة إليه في القبر ([1]).

ومن أهمّ ما تميّزت به الدّيانة المصريّة أيضًا محاكمةُ الموتى ، التّي ظهرت تفاصيلها في أوراق البردي ، وهي من أقدم ما دُوّن من أيّام حكم منقرع ، أي حوالي 2600 .ق.م . ([2])

[1]) المرجع السابق ، ص 68 .

[2]) الدّيانة الفرعونيّة ، واليس بيدج ، ص 124 .

وخلاصة القول :

أنّ ديانة المصريين القدامى كانت تتأثّرُ بالأحداث السياسية في البلاد ، وإنّ وُحدانية " أخناتون " لم تصل إلى التجريد المطلق الذي هو طابع الدّيانات السّماوية ، وإنّ فكرة تعدد الآلهة ظلّت مسيطرة عليهم ، ومن المحتمل أنّ عقيدة التّوحيد عندهم قد ارتكزت أو استُمدّت من وحيٍّ إلهيٍّ بصورةٍ غير مباشرة وذلك لما يأتي :

أ ــ اِحتلال المصريّين الكثير من أقطار آسيا ، واتّصالُهُم بها قد أطلعهم على ما فيها من آثار النبييّن من شرائع وعقائد ، فربّما نالت هذه الآثار من نفوس المصريين شيئاً وانتقلت مع العائدين منهم إلى مصر.

ب ــ أنّ نبيَّ الله إدريس عليه السّلام الذّي عرِفه المصريون باسم "حورس" أو" هورس" هاجر و أتباعه من بابل إلى مصر سنة (4500ق.م) إذ كانت دعوته التّوحيد وكان صدِّيقاً نبيًّا ، فيحتمل أن يكون لدعوته أثرٌ لاحقٌ على عبادة المصريين .

وكذلك الحال في هجرة خليل الرّحمان " إبراهيم عليه السلام" إلى مصر ، ويوسف عليه السلام الذّي عاش في مصر مدّةً طويلةً من الزّمن ([1]) .

[1]) الدين : عبد الله دراز ، ص 11 ، نقلا عن بيناردي لابولي ، في دراسته المقارنة للديانات .

العصر الإغريقي :

إنّ القدامى من علماء اليونان وفلاسفتها تخرّجوا من مدرسة الحضارات الشرقية ، والمصرية بشكل خاصّ ، فقد وجدوا المادة الخام في أديان الشرق واقتبسوا منها كثيرا ، وقد اعترف القدماء من اليونان أنّ عظمائهم من أمثال " فيثاغورث وأفلاطون " مدينون بأرقى نظرياتهم إلى المدرسة المصرية .[1]

وأقدم الآثار الأدبيّة التي سجّلها التاريخ عن العصر الإغريقي (ق 10 قبل الميلاد) في " الإلياذة و الأوديسا " المنسوبتان لهوميروس ، فهما سلسلتان من القصص الشّعري عند اليونان القدامى[2] ، يذكرون فيهما أمجادهم ، وأسفارهم ، وبلادهم في الحروب ، وما يحلّ بهم من عجيب النوازل ، ولا يخلو ذلك من ذكر أسماء آلهتهم ، وذكر ما جرى بين آلهة السماء حين تتشاور فيما بينها- في زعمهم- وحين تتنازع وتنقسم آراؤها إلى الانتصار لفريق دون آخر ، ومن مميّزات هذا العصر ضيق رقعة البلاد التي يتناولها الوصف ، فالحديث عن المعبودات اليونانية ظهر بعد هذا العصر، إذ كان أوّل ظهور له في القرن الثامن قبل الميلاد في قصيدة أنساب الآلهة La Théogonie التي يضيفونها إلى هيزيود أو إلى أحد تلاميذه [3] ، وكذلك اتّسم هذا العصر بأنّ قضايا الأديان تُساق عرضًا في ثنايا شؤون الحياة غير الأساسية ، وعلى هذا النحو سار هيرودوت المتوفى في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد ، إذ لم يفرد للأديان تأليفا مستقّلا ، إلا أن مجال بحثه كان أوسع ، إذ يشمل ديانات آسيا الصغرى ، ومصر ، وبابل وفارس ، كما تميز بالمقارنة بين معبودات الإغريق و معبودات غيرهم .

[1]) المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ص 49 .

[2]) الدّين : ص11 .

[3]) المرجع نفسه ، ص12 .

ولقد كانت فتوح الإسكندر المقدوني (ق 4 ق.م) سببًا في معرفة الأديان الشرقيّة ، إذ وصلت جيوشه إلى أقاصي الهند ، حيث كانت نهاية حياته المليئة بالأحداث .

وهم من الشعوب الهندو أوروبية ، ارتحلوا باتجاه حوض الدّانوب الأسفل واتجهت مجموعاتٌ منهم نحو بلاد اليونان (الآخيين والدوريين) حوالي العام 2000ق.م.

ثمّ ما لبثوا أن سيطروا على كافّة البلاد اليونانية إضافةً إلى الشاطئ الغربي لآسيا الصغرى (وقد خلّد هوميروس وقائع وملاحم التوسُّع اليوناني بإلياذته الشهيرة) . أمّا المنطقة الوسطى من غربيِّ آسيا الصغرى فقد سيطرت عليها قبائل يونانية أخرى هي الأيونيّين الذّين لعبوا دوراً مهمًّا في تاريخ البلاد اليونانيّة ([1]) .

ومع مرور الزمن بدأت القبائل اليونانية هذه تتخلّى عن همجيتها وشرعوا في طريق الاستقرار من زراعةٍ وبناء القرى وأقاموا لأنفسهم سلطة ترعى شؤؤنهم ، كما سنُّوا القوانين والأنظمة والشّرائع ثمّ أنشأوا المدن التّي عرفت كلّ مدينة منها استقلالا ضمن دويلةٍ لها جيشها ونظامها الخاصّ بها، كما لها آلهتها الخاصّة بها كذلك ، وكان المواطن يدين بولائه لمدينته "الدويلة"، ويرأس كل مدينةٍ ملكٌ يحكمها ويحميها ويحمي آلهتها ، وأهم هذه المدن الدّويلات كانت: (أثينا، أسبرطة، طيبة) .

[1]) ميثولوجية وأساطير الشعوب القديمة ، ص 100 .

الدّيانة اليونانيّة القديمة :

تبلورت العبادات اليونانية القديمة عبر مراحل متلاحقة ،مكوّنةً خلالها جملة طقوس وشعائر تعبُّديّة مستوحاة من خيال وأساطير تجمّعت بداخلها أفكار بشرية وإن طغت عليها المسحة الفلسفية على حساب المعتقد..([1])

وتعرف الديانة اليونانية :بأنّها مجموعة شعائر تعبُّدية من مزيج من فلسفة الأساطير القديمة ونتاجات الفكر البشري الآني ، المفعمة بالسّحر والشعوذة .

كما تعتبر الميثولوجيا اليونانية غنيّةً بالأساطير التي تعبِّر عن تصورات اليونانيين الدّينية ([2]) ، وتميّزت عباداتهم بتأثرها بمظاهر الطبيعة والخوف والرهبة منها ، بل أنهم عبدوا الجماد ومزجوا عبادته بطلاسم السّحر والتخريف([3]) ، فقد عظّموا الأرباب عبر الجبال والمغاور والأشجار والأعمدة والشّمس والقمر والماعز واليمام والثيران . وكان لكلّ مظهر أو صفةٍ أو قوّةٍ أو حرفةٍ أو مهنةٍ إله خاصٌّ بها أو حارسٌ لها كما رأوا الكون مملوءًا بالأرواح الطيّب منها والخبيث ،فقد عظّموا الثور لما فيه من قوّةٍ حيويةٍ منتجة وكذلك الأفعى، وجسّدوا هذه الآلهة ، ومن كلّ ذلك لديهم حشدٌ كبيرٌ من الآلهة، إضافةً إلى اعتقادهم بوجود شياطين ونساء مجنّحاتٍ وجنٍّ وأشباح بشعة وحسناواتٍ جميلات في البحار والغابات، كما كان لكلّ إلهٍ من الآلهة أسطورةً تفسَّر سبب وجوده وتفسّرُ طقوس عبادته وتكريمه، ومجموعة كلّ هذه الأساطير كوّنت عقيدة اليوناني وفلسفته وأدبه وتاريخه([4]) .

[1]) العبادات في الأديان السماوية ، ص29 .

[2]) ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ، ص 101 .

[3]) المرجع نفسه، ص29 .

[4]) نفسه، ص 101 .

ونظرًا لدخول الفلسفة في تفسير مظاهرهم الدّينية لم تبرز بوضوحٍ طرق عباداتهم ، ويدلّل على ذلك المكتشفات الأثرية في جزيرة "كريت" للحضارتين الميتيّة و المسيتيّة ([1]) .

و الحضارة الميتيّة أنشأها سكان جزيرة "كريت " والجزر المجاورة لها مابين سنة (2700_1100ق.م) ، وأمّا الحضارة المسّيتيّة فتنسب لأقوام شبه جزيرة اليونان وجزر بحر إيجه في الفترة مابين عام (1600_1100 ق.م) .

ومن مظاهر الشّرك عند اليونان : عبادتهم لآلهةً متعدّدة في فترات زمنية متعدّدة متفرّقة ، قال العلاّمة : (وول دورانت) في كتابه العظيم "قصّة الحضارة ": (وتنوّعت أماكن العبادة لديهم بين موقد الدار أو موقد البلدية القائم في قاعة المدينة العامّة، أو في شقٍّ في الأرض يسكنه إلهٌ أرضي). ([2])

وتصنّف آلهة اليونان إلى ثلاثة فئات و هي : ([3])

أوّلاً : آلهةٌ كبار : وهم الآلهة الأولمب ، وكانوا يتقبلون صلوات المتعبدين وهي مستوية على عروشها في أعلى الجبل ، سيّد هذه الآلهة وكبيرها هو " زيوس" ربُّ الأرباب ورأس النّظام الإلهي اقتسم هو وإخوته العالم فيما بينهم عن طريق القرعة فكانت السماء من نصيبه ، وكان زيوس مُحبًّا للنّساء ، ومن الآلهة الكبار " آلهة الأولمب" (أثينا) ، (أرتيميس) ، (أبولو) ، (هفستس) ، (آريس) ، (هرمس) ، (أفروديت) ، (هيرا) ، (بوسيدون) ، (ديونيسوس) .

[1]) العبادات في الأديان السماوية ، ص29 .

[2]) قصّة الحضارة ، ول. دورانت ، ج1 ، ص349 ، ترجمة : محمد بدران ، لجنة التأليف والنشر ، مصر .

[3]) ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ، ص 101،102 .

ثانيًا : آلهةٌ صغار : وهم آلهة الأرض وآلهة حيوانية ما تحت الأرض وآلهة الأسلاف الأبطال، وعبادة هذه الفئة من الآلهة كانت منتشرة بين الفقراء عادةً وكانت طقوسها حزينةً عكس طقوس الآلهة الكبار.

ثالثًا : آلهةٌ صوفية : وهذه الآلهة بُعثت بعد الموت ، حيث تطورت المفاهيم الدينية لدى اليونانيين وظهرت لديهم العبادة الصوفية وهي المرحلة الثالثة من الديانة اليونانية وقد انتشرت عبادة هذه الآلهة بين الطبقات الوسطى من اليونانيين ، وعُرفت هذه العبادة بعد عصر هوميروس.ومن طقوس العبادة الصوفية :

- الطقوس الإيليوسية السريّة .
- الطقوس الأورفية السريّة .

وظلّت صفة الإشراك ملازمةً لديانتهم ،فاختلفت نظرتهم للمعبود وتباينت ، وهي نتيجةٌ منطقية ، لبعدهم عن منطق الوحي وهم بذلك لم يضيفوا إلى تراث البشرية الدّيني شيئا، وإنّما أخذوا كلّ شيءٍ عن الديانات الشرقية عن طريق الفينيقيّين والكريتيّين . ([1])

وقد عمد الإغريق لاسترضاء آلهتهم عن طريق القيام بطقوسٍ من الصلوات والتضحيات والرموز و الاحتفالات ، تقيمها عدةً كاهنات من النّساء و أحياناً موظّفون من رجال الدّولة ، وكانت الموسيقى عنصراً أساسياً لا غنى عنه في الاحتفالات الدّينية وكانت القرابين تقدّمُ من (تماثيل ، آنيّة ، أثاث ، ثياب ، ثمار الحقول والكروم والأشجار) كما كانت تقدّمُ تضحيات وأحيانًا كانت من الآدميين ، وقد بقيت تقدّم لـ :" زيوس" الأضاحي البشرية حتى القرن الثاني الميلادي .

[1]) العبادات في الأديان السماوية ، ص 30 .

كما كان السّكان في جزيرة كريت يقيمون مذبح الآلهة أو الإله في بهو القصر أو في المغارات، أو على قمم الجبال ويزيّنُ هذه الأماكن بأن يوضع فيها مناضد لكي يُصبَّ عليها السوائل قرباناً للآلهة . ([1])

وصوّروا آلهتهم على شكل تماثيل في أوّل الأمر ، ثمّ ظهرت في مرحلةٍ لاحقة العبادة الطوطمية التي تتجسّدُ فيها المعبودات الماديّة التي يحترمها البدائيون لاعتقادهم بوجود علاقةٍ خاصّة بتلك الماديّات تمنحهم منافع متبادلة ومن هنا جاءت عبادتهم للأشجار والأفاعي فنقشوا صُوّرها على قرْنَيْ ثور الذّي كان أحد الرّموز للآلهة .

وأبرز آلهتهم المعبودة هي الآلهة الأنثى لأنّها تمثّل في نظرهم رمزاً للإخصاب والعطاء ، كما عبدوا (الربّة الحيّة) ربّةُ المنزل الحسّاسة ، وأشهر آلهتهم (زوس) الذي قدّموا له القرابين والنذور وأدّوا له الصّلوات المصحوبة بأصوات النّاي والقيثارة والطبلة .

واليوناني المتعبّد يشعرُ باتّحاده مع الإله عند تأديّته للطقوس ، مثل المشي على القدمين مسافةً طويلة في مواكب جماهيرية ، وكذلك الصّوم والتطهُّر وحمل المشاعل والرّقص وشرب الخمرة .([2])

وكان الكهنة في الميثولوجيا اليونانية خاضعين للدّولة بعكس ما كان كهنة الشرق الذين كانوا يسيطرون على الدّولة ، ولم يكن الكهنة اليونانيين سوى موظّفين صغار في الهيكل ، كما كانت أملاك الكهنة يدير شؤونها موظّفون من قِبَلِ الدّولة ولم يكن في اليونان طبقة كُهّان خاصّة كما لم يكن للدّولة دينٌ رسميٌّ يستمسك به جميع أفراد الدّولة وكان بوسع أيّ إنسانٍ أن يؤمن بما يشاء به من العقائد على شرط أن لا يكفر بآلهة المدينة أو يسُبّها ، وأمّا حرمُ الهيكل حيث يسكنُ الإله فكان مقدّساً يجتمع فيه المتعبّدون حول تمثالِ الإله ويوقدُ أمامه ضوءاً لا ينطفئ أبداً كما كان الإله يؤنّبُ أحياناً إذا أهمل أمر مُتعبّديه ([3]) .

---

[1]) ميثولوجيا و أساطير الشعوب القديمة ، ج1 ، ص103 .

[2]) العبادات في الأديان السّماويّة ، ص 30 .

[3]) المرجع السّابق ، ج1 ، ص 104 .

ومن الرّموز التي آمن بها اليونانيون وقدّموها قرابين للآلهة هي القرون ، والتي كانت ترمز إلى الثور المقدّس ، والدّرع الذي يرمز إلى الآلهة في صورتها الحربية ، والصّليب الذي كان يحفر على جبهة ثور أو على فخذ إله أو يُنقش على الخواتم .

الموسيقى عنصراً أساسيًا لا غنًى عنه في الاحتفالات الدّينية وكانت القرابين تقدّمُ من (تماثيل، آنيّة ، أثاث ، ثياب ، ثمار الحقول والكروم والأشجار) كما كانت تقدّمُ تضحيات وأحيانًا كانت من الآدميين ، وقد بقيت تقدّم لـ : " زيوس" الأضاحي البشرية حتّى القرن الثاني الميلادي .

كما كان السّكان في جزيرة كريت يقيمون مذبح الآلهة أو الإله في بهو القصر أو في المغارات، أو على قمم الجبال ويزيّنُ هذه الأماكن بأن يوضع فيها مناضد لكي يُصبَّ عليها السوائل قرباناً للآلهة ([1]) .

وصوّروا آلهتهم على شكل تماثيل في أوّل الأمر ، ثمّ ظهرت في مرحلةٍ لاحقة العبادة الطوطمية التي تتجسّدُ فيها المعبودات الماديّة التي يحترمها البدائيون لاعتقادهم بوجود علاقةٍ خاصّة بتلك الماديّات تمنحهم منافع متبادلة ومن هنا جاءت عبادتهم للأشجار والأفاعي فنقشوا صُوّرها على قرني ثور الذّي كان أحد الرموز للآلهة .

وأبرز آلهتهم المعبودة هي الآلهة الأنثى لأنّها تمثّل في نظرهم رمزاً للإخصاب والعطاء ، كما عبدوا (الربّة الحيّة) ربّةُ المنزل الحسّاسة ، وأشهر آلهتهم (زوس) الذي قدّموا له القرابين والنّذور وأدّوا له الصّلوات المصحوبة بأصوات النّاي والقيثارة والطبلة .

واليوناني المتعبّد يشعرُ باتحاده مع الإله عند تأديّته للطقوس ، مثل المشي على القدمين مسافةً طويلة في مواكب جماهيرية ، وكذلك الصوم والتطهُّر وحمل المشاعل والرّقص وشرب الخمرة .([2])

وكان الكهنة في الميثولوجيا اليونانية خاضعين للدّولة بعكس ما كان كهنة الشّرق الذين كانوا يسيطرون على الدّولة ، ولم يكن الكهنة اليونانيين سوى موظّفين صغار في الهيكل ، كما كانت

[1]) ميثولوجيا و أساطير الشعوب القديمة ، ج1 ، ص 103 .

[2]) العبادات في الأديان السماوية ، ص 30 .

أملاك الكهنة يدير شؤونها موظّفون من قِبَلِ الدّولة ولم يكن في اليونان طبقة كُهّان خاصّة كما لم يكن للدّولة دينٌ رسميٌّ يستمسك به جميع أفراد الدّولة وكان بوسع أيّ إنسانٍ أن يؤمن بما يشاء به من العقائد على شرط أن لا يكفر بآلهة المدينة أو يسُبّها ، وأمّا حرمُ الهيكل حيث يسكنُ الإله فكان مقدّساً يجتمع فيه المتعبّدون حول تمثالِ الإله ويوقدُ أمامه ضوءاً لا ينطفئ أبداً كما كان الإله يؤنّبُ أحياناً إذا أهمل أمر مُتعبّديه ([1]) .

ومن الرّموز التي آمن بها اليونانيون وقدّموها قرابين للآلهة هي القرون ، و التّي كانت ترمز إلى الثور المقدّس ، والدّرع الذّي يرمز إلى الآلهة في صورتها الحربيّة ، والصّليب الذّي كان يحفر على جبهة ثور أو على فخذ إلهٍ أو يُنقش على الخواتم .

[1]) ميثولوجيا و أساطير الشعوب القديمة ، ج1، ص 104 .

العصر الرّوماني :

قبل أن تصبح روما عاصمة للإمبراطورية الرومانية ، وقبل أن تصبح إيطاليا وحدةً سياسية ، كان في إيطاليا (الأوتروسك) ، وهم من الأترورييّن الذّين طردوا الأخمينييّن واحتلّوا جنوب شرقي أوروبا في مطلع الألف الثاني ق.م ، وقد ترك الأوتروسك ما يُعرِّفُ بمعتقداتهم الدّينية ومن ذلك :

_ قدّموا القرابين لآلهتهم من الأضاحي .

_ آمنوا بالخلود بعد الموت : خلود النفس" .

_ اعتقدوا بالتعاويذ لردّ شوائب القدر .

_ اعتقدوا بوجود عقولٍ روحيّة تحرس الرّجال .

_ آمنوا بالروحانيات .

وقد قسّم العلماء المعبودات الأتروسكية إلى :

* آلهة أصليّة ومنها (تينيا ، نوريتا ، فوفلون) .

* آلهة دخيلة من اليونان (إيتا ، أبوللو ،....).

وقد أقام الأتروسك معابدهم على قمم الجبال وفي الغابات والكهوف ، وقد لفّت عبادتهم السِّريَّة، ومع اتّساع الإمبراطورية الرّومانية ، تعدّدت الآلهة وكان لكلّ شيءٍ إلهاً يديره ويسهرُ عليه حتى باب البيت الخاصّ به، يحرسه ويمنع الأشرار من دخوله، وكان لمخزن الحبوب إلهٌ يرعاه ويباركه، وللموقد إلهٌ يحفظُ ناره ويبقيها متقّدة وحامية، وكذلك كان آلهةٌ للصّحة والشباب والعفاف، والحظّ والذاكرة والنّصر، وللماء والغابات وفصول السّنة، ويتّضح من كلّ ذلك أنّ للرّومان آلهة متعدّدة ، منها من كان ذا طبيعةٍ محدودة ومنها آلهةٌ أبطال (أي أبطالٌ نصفُ آلهة لا يظفرون بالخلود) . ومن الآلهة والمعبودات ما هو أصيلٌ لدى الرّومان ومنها ما هو دخيلٌ على البلاد جاء من شتّى المناطق مثل : ليبيا ، اليونان ، مصر ، فارس ، الهند ، فينيقية . ([1]) .

[1]) ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ،ج1 ، ص79-80 ، بتصرفٍ يسير .

وقد قيل إنّ الرّوماني " يبتهلُ في دعاءٍ واحدٍ إلى آلهةٍ كثيرة بل لم يعد في وُسع الرّومانيين التمييّز بين تمثال الأرباب و تمثال قيصر " . ([1])

ومن جملة المعتقدات الرّومانية كانت عبادة عناصر الطبيعة وعبادة الحيوان ــ الطوطمية ــ، واعتقدوا بالسّحر والمعجزات والرّقى والخرافات والمحرّمات. كما قدّسوا الكثير من الأماكن والأشياء وحرّموا لمسها أو تدنيسها ، والمثالُ على ذلك: " يمنع لمس المرأة وقت الحيض والطفل عند الولادة "كما اعتقدوا بالسّحر والسحرة ، وبأنّ السّاحرات يأكلن الأفاعي ويطرن في الهواء ليلاً و يعصرن السمّ من أعشابٍ لا يعرفها أحدٌ سواهنّ ويقتلن الأطفال و يحيين الموتى ،كما آمنوا بالمعجزات و بالفأل والتطيُّر ، وبأنّ الآلهة تشارك الإنسان في حروبه ، فهي تنزل من جبل الأولمب وتحارب معهم . واعتبروا الأيّام المفردة والأعداد المفرَدة أفضل من المزدوجة المنحوسة ([2]) .

وأشهر آلهتهم المعبودة " ميثرا " التي وفدت إليهم من إيران في النّصف الثاني من القرن الأوّل الميلادي ، والإله "جوبيتير" إله السّماء الصّامتة، والإله " فستا " إلهة المدفن والبيت ، والإله " جينوس" الذّي يرعى الإنسان من ولادته حتّى وفاته، والإله " نبتس " المسؤول عن حفظ الأطعمة ومخزن البيت ([3]) .

وقد عبد الرّومان الملوك والأمراء و الأبطال ، واتّخذوهم جميعاً آلهة ، ومن ضمنها جميع أفراد العائلة الإمبراطورية .

كما كانت الآلهات في روما أقلّ شأناً من الآلهة الذكور ، رغم كونهنّ أقرب إلى قلوب الشّعب، وكانت روما ربّما غلبت بلدًا أو شعباً جاءت بآلهته و أدخلتها إلى مُجمّع الآلهة الرّوماني دليلاً على غلبتها وضماناً لهذه الغلبة ، هذا إضافةً إلى أنّ السكّان المهاجرين إلى روما كانوا

[1]) العبادات في الأديان السماوية ،ص33 ، نقلاً عن " بيري.أ " في كتاب : مدخل إلى تاريخ الرومان وآدابهم وآثارهم .

[2]) ميثولوجية و أساطير الشعوب القديمة ، ج 1 ، ص 80 ، بتصرّف يسير جدا .

[3]) العبادات في الأديان السماوية ، ص33 .

يُحضِرون معهم آلهتهم ، كما رحّب الرومان بآلهة اليونان وأقاموا لها الهياكل ومزجوا بعضها مع آلهتهم الوطنية المماثلة لها . ([1])

وقد اضطرّت الحكومة الرّومانيّة على عهد الإمبراطور " قسطنطين" ([2]) أن يسمح بفتح روما للمبشِّرين المسيحيين ، والإِعتراف رسميًّا بالمسيحيّة دينًا تجوز ممارسته ، وأُعتُبر هذا الإِعتراف بمثابة فوز للدّيموقراطيّة على الارستقراطيّة الرّومانيّة ([3]) ، واهتمّت الحكومة الرّومانية بالدّين كركيزةٍ للإستقرار السياسي والإِجتماعي في جميع الولايات الرّومانيّة في أروبا وأفريقيا ، وفي آسيا وشبه جزيرة العرب .

كما كان الرّومان يعرفون طقوس الغيب ، حيث كانوا يمارسون بعض الشعائر والأعمال الخاصّة مثل اتّجاه الطير في طيرانه أو السبيل الذي يسلكه الحيوان المعيّن في سيره والشّكل الذي تبدو فيه أمعاء الحيوان بعد ذبحه ، كلُّ هذه كانت دلائل تكشف عن أسرار الغيب لمن يعرفها .

هذا وقد سبقت الإشارة إلى غزو المعتقدات الفارسية بلاد الرومان وأُدخلت عبادة الإله " مترا " الفارسي والذي استمرّت عبادته في روما حتى القرن الثالث م. وفي عهد الإمبراطور "سبتيموس سفيروس" أُدخلت عبادة الإله الحمصي " هيلوس" إله الشمس إلى روما ونوديَ به الإله الأوّل في روما ([4]) .

كما أنّهم تأثّروا بالمعتقدات الهندية التي ترى في الحرمان المتواصل والجوع المتعمّد خيرُ وسيلةٍ للصفاء الروحي والقرب من الإله المعبود . وهذا ما عمد إليه عباقرتهم أمثال " ليكوزموس" مشرِّع أسبرطة و "فيثاغورث" العالم الرياضي ([5]) .

---

[1]) ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ، ج1 ، ص 80 .

[2]) قسطنطين الأوّل أو الكبير (274-337) نقل عاصمة الإمبراطوريّة من روما إلى بيزطة ، فسمّيت القسطنطينيّة .

[3]) مقالات في التّاريخ القديم ، عبد العيز الثّعالبي ، ص 42 ، و 43 .

[4]) ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ، ج1 ، ص81 ، بتصرّف .

[5]) العبادات في الأديان السماوية ، ص34 .

العصر البابلي :

لا بُدّ من الإشارة أنّه كان من الواجب من الناحية المنهجية أن أضع العصر البابلي أو العراقي القديم في أوّل العصور ، ولكنّني أرجأتُ ذلك لسببين هما :

أوّلاً / أنّ الدّيانة البابليّة هي مُلهمةُ كلّ الدّيانات السابق ذكرها ، منها أخذت _ تقريباً_ أفكارها ومعتقداتها وفلسفاتها .

ثانيًا / أنّ مبحث اليهودية يلي مبحث الأديان السابقة لليهودية ، لأنّ المبدأَ بها ، كونها أُولى الأديان السّماوية ، ثمّ إنّ أهمّ ما استعارته اليهودية من الأديان الوضعية كان من البابلية كما سيأتي لاحقاً ، وكون أوّل خروج لليهود كان من بابل ، أيّام السّبي قبل موسى و العصر الفرعوني .

الدّيانة في بابل :

كان محور الفكر الدّيني البابلي أنّ الإنسان إنّما خُلق لخدمة الآلهة ، تلك الآلهة المحبّة للأكل والشرب والرّقص وسماع الموسيقى ، كما أنّهم كانوا يستنشقون العطور إذ في وُجد في معابدهم الكثيؤدر من المباخر لحرق البخور. أمّا طعام الآلهة فكان من خبزٍ و لحم ، ومن أجل أن تبقى الآلهة في مزاج جيّد تقدّم لها القرابين طلباً لرضاها وتجنُّباً لسخطها . ([1])

وقد عبد العراقيون القدامى آلهة كثيرة ، وأعطوها صفات المقدّس الإلهي وهي" الشعور العميق بشخصيته وبأنّ له القوّة الخارقة والسيطرة الأبدية "..([2]) .

إلاّ أنّهم لم يعرفوا التّوحيد المطلق للإله ، ولكنّهم نعتوا كبيرهم ب" ربُّ الأرباب" أو الإله الأعظم ، وهو ما يُعرفُ (بالتّفريد) .

[1]) ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ، ج1 ، ص76 بتصرّفٍ يسيرٍ جدّا .

[2]) المرجع السابق ، ص26 ، نقلاً عن "بوتير جان" الدّيانة عند البابليين ، ص 12 .

ويدور محور عباداتهم حول الآلهة المعبودة التّي مرّت بمراحل الحيوية والطوطميّة قبل تكاملها([1])، والحيوية هي الاعتقاد بوجود قوىً أو أرواح كامنة في مظاهر الطبيعة وتجسيدها بهيئة الإله، والطوطمية تجسيد الأرواح في النباتات و الأصنام .

واعتبروا آلهتهم كائناتٍ سماوية تتسيّدُ القوى في الكون ، إلاّ أنّهم اعتقدوا بأنّهم قادرون على التأثير على مظاهر الطبيعة ــ وهي من أصول عباداتهم ــ وتسخيرها بالسّحر القائم على مبدأ التشبيه وهو الاعتقاد بإمكان استحداث الشّيء بتقليد عمليّة حدوثه ([2]) .

وبلغ عدد الآلهة البابلية رقماً كبيرًا وقد ذكر أنّه كان لديهم ما يقرُب 65000 إله أُحصيت في القرن التاسع ق.م. ، وكان لكلّ مدينة إله يحميها وكان لكلّ مقاطعةٍ مجموعة آلهة ، ولكلّ أسرةٍ إلهتها المنزلية حيث تقام لها الصلاة وتُصبُّ لها الخمور كل صباح ومساء ، بل كان لكلّ فردٍ ربٌّ يحميه ، وفيما بعد أخذ عدد الآلهة البابلية يقلُّ ، حيث اعتبرت الآلهة الصغار وصفة من الآلهة الكبار ومن هنا أصبح " مردوخ" إله بابل الأوّل ، وكبير الآلهة البابلية ، ولقّب ب(بل مردوخ) أو مردوخ الإله ، وإليه كانت توجّه أحرُّ الصلوات وأبلغ الدّعاء ، وقد ألّف الملك حمورابي كتابًا جعله دستورًا ثمّ أمر بنقشه على عمود حجري نُصب في بابل في هيكل الإله مردوخ ، وهو أقدم أثرٍ للشّرائع الأمميّة ، وقد عُثر على العمود في خرابات بابل عام 1901 ، وهو منحوتٌ من حجر الديوريت ، منقوشةٌ في 3600 سطر ، وبأعلاه مشهد يُمثّل الملك حمورابي ــ ملكي صادق كما في التّسميّة العبرانية أو ملك البِّر ــ ([3]) واقفًا بين يدي إله الشّمس مردوخ يتناول معه الشّريعة وهو جالسٌ فوق العرش . ([4])

---

[1]) المرجع السابق، ص26، نقلاً عن " تاريخ العراق القديم " لمجموعة من المؤلفين .

[2]) المرجع نفسه ، ص26 ، هامش رقم (3) .

[3]) الملك السادس للأموريّن و هو إمام المشترعين عند الأمم القديمة ، نعتته التّوراة بالملك الصّادق .

[4]) مقالات في التّاريخ ، عبد العزيز الثّعالبي ، ص 80 ، بتصرّف .

ولقد نسج البابليّون حول آلهتهم أساطير ، حفظتها لحدّ اليوم التعاليم اليهودية وأضحت جزءاً من القصص الدّينية المسيحية واليهودية ([1]) .

ولقد ورد في الميثولوجيا البابليّة أنّ الأرباب كانوا يعقدون اجتماعاتهم في قاعة كبيرة تسمّى : (أوبشوكينا) ويقيمون فيها احتفالاً ، وكان أهمُّ احتفال يعقدونه يسمّى (زغموك) يقام في الأول من كلّ عامٍ وفيه يضعون أقدار البشر .

وجوهر عباداتهم مستمدٌّ من فكرهم الدّيني ، الذّي يستتبع ما يشعرون به ، ويعتقدونه ديناً في صورته البدائية ، المستوحى من محيطهم ، وما رافقه من متغيّرات طبيعية وبشرية ، فألزموا أنفسهم بطقوسٍ آمنوا أنّ في أدائها جلباً للخير والعطاء ودفعاً للمكروه .

وعبادتهم مقسّمة إلى صنفين الأول عامٌّ ، إذ يقوم به الفرد لتحقيق غاية الخلق من وجوده ، والثّاني خاصٌّ لدفع المكاره ، فتارةً يستعينون بالكاهن في ذبح القرابين ، وما تبع ذلك من صلواتٍ وحرقٍ للبخور ، وأخرى طقوسٌ يقوم بها المتعبّد نفسه بدون وساطة من الكاهن كالدّعاء وصلاة التوبة والاستغفار ، وأبرز آلهتهم المعبودة (أنو) آلهة السّماء ، و (أنليل) سيّد الرّيح العاصفة ، و(أيا) سيّد الأرض ([2]) .

ولقد شغل بال البابليّن والأشوريّن فكرة الحياة بعد الموت ، واشتهروا بتقدُّمهم في الطبّ والفلك والأرصاد والعِرافة والزجر – أي التكهُّن – ، والسّحر وتفسير الرّموز الخفيّة والإخبار بالمغيّبات والتّنجيم وأخذت ذلك منهم الأمم جميعًا ([3]) ، كما تصوّروا حصول معارك طاحنة بين الآلهة (آلهة الخير وآلهة الشرّ) ودائماً كان الانتصار فيها لآلهة الخير ، وهذا كان يبعث الارتياح في نفوس البابليين ويجعلهم يبتعدون عن المخاوف ، وكانت بيوت العبادة في بابل كما في (أور) بالغة الفخامة ، أقيمت على مساحةٍ واسعةٍ من الأرض، ويسكن المعبد الكهّان والكاهنات ويضمُّ المعبد

[1]) ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ،ج1 ، ص76 ، بتصرّف .

[2]) العبادات في الأديان السّماوية ، ص27 .

[3]) مقالات في التّاريخ القديم ، ص 81 .

غرفاً عديدة للدّرس ومكاتب وغرف للعبادة ولخدمة الإله ، وكلُّ مدينةٍ تضمُّ عدداً من المعابد ، ففي بابل وحدها كان يوجد 53 معبداً ، ممّا يدلُّ على مكانة الكهّان في حياة المدن الكبرى.([1])

أمّا أكبر المعابد البابلية أكثرها روعةً وفخامةً هو معبد الإله مردوخ إله بابلٍ الرّئيس ، وكان يُعرف باسم (أساجيلا) ومعناه (البيت المرفوع الرّأس) تحيطُ به جدرانٌ عالية ذات أبراج صغيرة، وفي شمال باحته الواسعة تقوم زقورة ، وهي ما يُعرفُ في التّاريخ باسم برج بابل ، و الزّقورة عبارةٌ عن برجٍ مستطيل الشكل كلّما ارتفع ضاقت أدواره حتّى يصل إلى القمّة التّي يقوم عليها المصلّى حيث كان يقام فيه الاحتفال بالزّواج المقدّس وكان البابليون يعتبرون الزّقورة صلة وصلٍ بين السّماء والأرض .

كما كان في في معبد "أساجيلا" مُصلّياتٍ لزوجة مردوخ الإلهة "زرفانيت" ولابنيه: نَبُو وليَا إله الحكمة، ونَسْكُو إله النّار، و"تشيميتو" وبقيّة الآلهة المذكّر منها والمؤنّث . وكان تمثال مردوخ مع قاعدته وكرسيّه وموْطِئ قدميه كلُّها مصنوعةٌ من الذّهب ، أمّا معبد الإله "نينورتا" فقد جيء بالذّهب والمرمر والرّخام واللازورد و الأخشاب النادرة من بلاد عيلام . ([2])

وأمّا عن الاحتفالات الدّينية فأهمُّها احتفال رأس السّنة الجديدة في أوّل نيسان من كلّ عام وتجري الاحتفالات فيه طيلة إحدى عشر يوماً ، تتلى فيه ملحمة التكوين البابلية مرّتين خلال المهرجان بشكل تمثيليّةٍ درامية ، وفي اليوم الخامس يقوم الملك في بابل بدورٍ رئيسيٍّ حيث يأتي ويجلس أمام تمثال مردوخ ويُجرّدُ من شارته ويُصفعُ صفعةً قويّةً على يد كاهن المعبد ، ويُشدُّ من أُذنيهِ ثمّ يركع أمام تمثال مردوخ حتّى نهاية الفصل . ومن الطقوس في هذا الاحتفال " الزواج المقدّس " والذي يُعتقد أنّه كان يجري في أعلى الزّقّورة ، أمّا في في آشور فقد كان يحلُّ الإله " أشور" مكان الإله " مردوخ " ، ومثل هذه الاحتفالات التي تجري في بابل نجد ما يُماثلها لدى المصريّن والحثّيّن والكنعانيين (أوغاريت) .

---

[1]) ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ،ج1 ، ص 77 ، بتصرف .

[2]) خرج العيلاميون من فارس وغزو مدن سومر الجنوبيّة فتصدّى لهم حمورابي في حربٍ دامت 30 عامًا .

واعتقد البابليون بوجود عفاريت تنسبُ إليها الأمراض ، والتي تحصلُ بسبب حقد الأرواح الشّرّيرة ، ومن أجل ذلك لجأ البابلي إلى تقديم الرُّقى والتعاويذ لدفع الأذى والشِّفاء من الأمراض ، كما كان أيُّ حادثٍ يحصلُ للإنسان يُفسّرُ تفسيراً دينياً ، وكانت قراءةُ الطالعِ أمرًا شائعًا . ([1])

وقبل نهاية هذا المبحث أودُّ أن أشير بشكل مقتضب إلى أنّ الأديان السابقة لليهودية ، أو ما يُسمّى بالأديان الحيّة ، وهي : الهندوسية والبوذية ، و الصّينيّة ، و اليابانية ، و الزرادشتية والمانوية، وأقسّمها إلى ثلاثة أقسامٍ كبرى هي : أديان الهند الكبرى ، وأديان الشّرق الأقصى الكبرى، وأديان فارس الكبرى .

وفي ختام هذا المبحث ، وتمهيدًا لمبحث الأديان السّماويّة ، أودُّ أن أذكر أنّ أسئلةً كثيرةً ظلّت دون إجابةٍ وتؤرّق أنثروبولوجيا الأديان ، ([2]) وذلك إلى غاية صدور العديد من الدّراسات التّجريبيّة بعد اندلا ع الحرب العالمية الثانيّة عام 1945 ميلادي ، ومن أهمّ هذه الأسئلة :

ما هي الدّيانة الأكثر بساطة ؟ .

هل الأصل ديانة التّوحيد أم تعدُّد الآلهة ؟ .

هل يوجد تصوّر متطوّر يتجاوز فكرة الدّين ويكون على المستوى العالمي ؟ .

هل ترتبط المشاعر دائمًا بالشعيرة ؟ .

هل المجهول الغامض سابقٌ على فكرة الإله ؟ .

هل توجد ديانةٌ غير تلك التّي تستند إلى تقاليد ؟ .

هل تُعتبرُ الأديان السّماويّة أرقى من الدّيّانات الأخرى ؟ .

[1]) ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ، ج 1، ص78 ، بتصرّف .

[2]) أنثروبولوجيا الأديان ، ص 33 ، بتصرّف يسير .

ولستُ أذكر هذه التساؤلات قصد المقارنة أو المفاضلة، كما أنّني لم أوردها من باب فضل الكلام، وإنّما ذكرتها لأنّ أنثروبولوجيا الأديان خصّصت مساحةً لا بأس بها للبحث عن اليقين، وهذا يدلُّ على تأثّر أصحاب الكتابات الأولى بدياناتهم الأصليّة، و بحدسهم النّابع من كينوناتهم البشريّة الباحثة دومًا عن حقيقة الله والكون والخلق والشّعائر ومعانيها وحتى المغزى منها ، وأنا كمسلم تصعبُ عليّ المقارنة أو حتى المكقاربة في مثل هذه التساؤلات ، لأنّني بلا شكٍّ سأجيبُ عنها دونما عناء ، وذلك بناءًا على قناعات توّلدت لديّ إمّا بالفطرة والوراثة ، أو بالاكتساب والمعرفة، ولاشكّ أنيّ سأنتهي إلى تفضيل الأديان الإبراهيميّة على غيرها لاشتمالها على الفضائل والتّوحيد، وغيرها من المميّزات ، كما أنّني سأختار الإسلام أفضلها ليس من باب أنّه ديني الّذي أعتنقه، وإنّما لإيماني بأنّه مصدّقٌ ومكمّلٌ للدّيانات الإبراهيميّة الّتي كان هدفها الأسمى توحيد الألوهية، كما أنّ الإسلام لم يُشر في نصوصه الرّسميّة إلى عدم الاعتراف بنبوّة موسى وعيسى وباقي أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام ، وإنّما أشار في أكثر من موضع من القرآن الكريم والسنّة النّبوية أنّ التّوراة والإنجيل قد اعتراهما التّبديلُ والتّحريف، وأنّ الأنبياء قد تعرّضوا للتّعنيف والخيانة من أممهم، وليس محمّدٌ عليه الصّلاة والسّلام بناجٍ من التّكذيب والأذيّة والإهانة ، إلاّ أنّ رعاية الله قد شملته، وشملت الوحي بالحفظ، كما أنّ نصوص العهد القديم والجديد مازالت في بعض نصوصها تشير إلى ربوبيّة ووُحدانيّة الله، وتحرّم قتل النّفس وهتك الأعراض و تحريم الخمر ، ممّا يوضّح اعتراف القرآن بها وتصديق ما جاء فيها مع الإشارة إلى امتداد يد التّحريف والتّضليل إليها.

الفصل الثالث

نشأة الأديان السّماوية

﴿ في القرن السّابع عشر الميلادي ، ولكي نبيّن علُوّ شأن الوحي تمّ إبراز التعارض بين الدّين السّماوي والدّين الطّبيعي ، ذلك الدّين الذّي يُقرُّ عبادة الكائن الأسمى والإيمان بخلود النفس والأمل في الخلاص ﴾ .

كلود ريفيير : الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة للأديان ص 32 .

لقد تعرّضت في الفصل الثّاني إلى الحديث عن الدّيانات الشرقيّة السّابقة لليهودية ، ولم أذكر (الصّابئة الماندائيّة) خشية التّطويل ، ولأنّه موضوعٌ متشعّبٌ يجعل من الفصل أكبر من حجمه اللّازم ، وأعرض في هذا الفصل الدّيانات السّماويّة الثلاث ، مقسّمًا إيّاه إلى ثلاثة مباحث ، كلُّ مبحثٍ حول ديانةٍ سماويةٍ مستقلّة بذاتها ، وأوّل هذه الدّيانات السّامية هي اليهوديّة .

المبحث الأوّل : نشأة اليهوديّة .

اليهوديّة ديانةٌ غنيّةٌ بالتّعاليم ، مع تنوُّعاتٍ عظيمة في التّرجمة – تراجم مختلفة – لنصوص هذه التّعاليم ، عبر متغيّرات و قراءات مختلفة لها ، ممّا أوجد تسميّات لهذه المدارس : (أرثوذوكسيّة معاصرة ، أرثوذوكسيّة عُليا – أو قديمة – ، إصلاحيّة ، مُحافظة ، و بنّائيّة) ([1]) .

ومن جذور تعاليمهم : السّبت (sabath) ، والتّقويم السّنوي المعتمد على رؤية القمر، والحجّ في الثّامن عشر من نيسان ([2]) .

إنّ أمل اليهود في انتظار مخلّصٍ لهم من الضياع والتيه والمعاناة قد تحقّق بعد طول صبر ، وقد وجد استجابةً في قلوبهم وتحوّل إلى شيء محسوس ، وتشخّص هذا الأمل في خروج " مِسِيَّا " أو المسيح المنتظر، فهو الممسوح بالزّيت والمختار من الكهنة ، وهو من كانوا ينتظرونه ويأملونه مخلّصًا لهم منذ النّفي والأسر البابلي، يجمعهم ويعيدهم لوطنهم الأصليّ ، واستخدم بعدها " مَشِيَحْ " بعد الدّمار الثاني للهيكل في أورشليم "القدس" عام 70 ميلاديّة للإشارة إلى شخصٍ سيعيد جمع شتاتهم مرّة أخرى .

و رغم ذلك لم تبق الأمور بهذه البساطة بل مع مرور الوقت أصبحت الفكرة المسيحانيّة فكرة معقّدة ، كان عنصرها المحيي والمنعش هو الأمل الدّائم .

وقد بقيت هذه السّمات الثلاث للفكرة المسيحانية : الأمل ، العودة الوطنيّة ، وترقيّة العالم ثابتةً ، إلاّ أنّه ضمن هذا الإطار الثّابت ، تمّ تبنّي سيناريوهات مختلفة ، أحد هذه الإختلافات المهمّة يتعلّق بالطريقة التّي سيأتي بها هذا العصر المسيحاني ، توقّع البعض ظهور مسيحٍ فعليٍّ – كاهنٍ كان أو ملك يكون نائبًا عن الله يقوم بتطبيق هذا النّظام العالمي الجديد، في حين كان في الجانب الآخر أُناسٌ اعتقدوا أنّ الله يستغني عن الوكيل الإنساني وسيتدخّل مباشرةً، سميّت وجهة

[1]) Encyclopidia of religious rites . rituales . and festivals . P : 203 .

[2]) IBID . P : 204 .

النّظر الأخيرة هذه بشكل صحيح: "التوقّع المسيحاني" ..، ولكن بإضافة شخصيّة الإنسان الرّوحي: شخصيّة روحيّة عالية وسامية لرجلٍ سياسي، سيأتي لتهيئة العالم لمملكة الله . ([1])

ومن الجدير بالذّكر قبل الحديث عن النّصوص الرّسميّة لليهوديّة _ التّي هي : (التّوراة torah) كمصدر أوّل متّفق عليه بين الطّوائف ([2]) _ أن أتحدّث عن فِرق اليهوديّة الكبرى دون الخوض في تفاصيل معتقد كلّ فرقةٍ على حدى، وذلك أنّ الأمر قد استقرّ لصالح فرقةٍ دون أخرى وهي فرقة الرّبّانييّن، التّي يرى بعض الباحثين في اليهود واليهوديّة من أمثال عبد الوهّاب المسيري من أنّها هي نفسها اليهوديّة الرّسميّة وعليها سوادُ اليهود قديمًا وحديثًا . ([3])

وأمّا اليهوديّة الرّبّانيّة فقد اعتمدت التّلمود نصًّا رسميًّا بعد التّوراة وبقيّة النّصوص التّي سيأتي بيانها في هذا المبحث، بينما لم يعتمد القرّاؤون التّلمود ككتاب من كتب اليهوديّة المعتمدة، واعتباره كتابًا مبنيًّا على اجتهادات بشريّة غير ملزمة لهم ([4]) ، وهو ماجعلها حركة فكريّةً خطيرة ومناهضة للطائفة الرّبّانيّة المهيمنة والطاغيّة على فكر عموم الشّعب اليهودي ، ومن أسباب رفض فكر الطائفة الرّبّانيّة عدم اعتمادها على التّقويم الفلكي الرّسمي في الأعياد والمناسبات الدّينيّة ، هذا التّقويم المبني على الرّؤية المباشرة لهلال الشّهر، وليس على الحسابات الفلكيّة المحدّدة لأوّائل أيّام الشّهور، وأوائل أيّام المناسبات والأعياد الدّينية، إضافة إلى حداثة نشوء الطائفة القرّائيّة والتّي ظهرت أيّام الدّولة العبّاسيّة و تأثّرها بالفكر المعتزلي الإسلامي ، ممّا جعلها محلّ تشكيكٍ وتُهمة .

وأمّا النّصوص اليهوديّة الرّسميّة والمعتمدة دينيًّا فهي العهد القديم ، وبيانُ ذلك كالآتي :

---

[1]) أديان العالم ، ص 370 ، و371 ، بتصرّف يسير .

[2]) OP . CIT. P : 203 .

[3]) اليهود القرّاؤون وتأثُّرهم بالفكر الإسلامي، رابح بوترفاس،جامعة تلمسان، ص136، نسخة إلكترونيّة ،بتصرّف.

[4]) المرجع نفسه ، ص 127 ، بتصرُّف .

العهد القديم :

لعلّ بولس الرّسول هو أوّل من أطلق في رسالته التاليّة إلى أهل كورنثوس [1] عبارة : " العهد القديم " على المجموعة التّي تتكون منها أسفار الشريعة والأنبياء وسائر الكتابات المقدّسة والتّي هي الوثائق الأولى لليهوديّة والمسيحيّة ، وهي النّص الأساسي الذّي يقوم عليه دين اليهود ، يحتوي على ثلاثة أقسام : التّوراة ، و الأنبياء ، والكتب أو أسفار الحكمة [2] .

أمّا التّوراة و الأنبياء [3] فإنّهما يسيران في نسق تاريخي متّصل ، ويحكيان قصّة حياة العبريين منذ البداية إلى عودتهم من السّبي البابلي في القرنين الخامس والرّابع قبل الميلاد ، وأمّا القسم الثالث والأخير وهو الكتب ، فإنّه تراثٌ أدبيٌّ يكثر فيه الشّعر والأمثال والقصص ، ويُعتبر غذاءاً روحيًّا يحكي عن الأحداث التّاريخيّة للأمّة .

وللتّوراة ترجمة كاثوليكيّة وأخرى بروتستانتيّة ([4]) هي الأهمّ على الإطلاق ، لأنّها لا تعترف بالتّرجمة اللّاتينيّة ، وبالتّالي هي الأقرب إلى التّوراة العبريّة .

---

[1]) المرجع السابق ، ص 14 .

[2]) التوراة الهيروغليفية ، ص 39 .

[3]) معجم ديانات العالم ، ج3 ، ص 57 .

[4]) بذل المجهود في إفحام اليهود ، للحكيم السّموؤل المغربي ، ص 11 ، ط1 ،1989، دار القلم ، بيروت .

أقسام العهد القديم :

والعهد القديم ثلاثة أقسام هي : التوراة والأنبياء والكتب .

أ / التّوراة :

وتتألف من خمسة أسفار أو كتب ، تنسب إلى موسى عليه السلام ، وقد نزلت في طور سيناء ، وتحكي هذه الأسفار الخمسة أحداث التاريخ بدءًا من بدء الخلق ، وانتهاءًا بوفاة موسى عليه السلام على جبل" نبو" في شرق الأردن حوالي 1300 ق.م. [1]

إلاّ أنّ اليهود والمسيحيّن درجوا على تسميتها بأسماء خاصّة فهي التّوراة ، أو الشريعة ، أو النّاموس[2] .

وقد جاء ذكرها صراحةً في إنجيل لوقا إصحاح (10/ 26) : " فقال له ما هو مكتوب في التّوراة..." [3] .

والتّوراة منظّمةٌ بأسفارها الخمسة كالتّالي :

أوّلاً / سفر التّكوين : [4] [5] وهو خمسون فصلاً ، أو إصحاحًا ، تحكي عموما عن قصّة آدم ونوح والطوفان ، وما كان من أبنائه بعد الطوفان : سام ، حام ، و يافث ، إلى أن تصل إلى الجدّ الأعلى الذي ينتمي إليه اليهود وهو إبراهيم ، مركّزة في الحديث عن سلالته عن ابنه إسحاق ثم يعقوب المسمّى إسرائيل ، ثم تنتهي بقصّة يوسف عليه السلام .

[1]) معجم ديانات العالم ، ج1 ، ص 201 ، و202 .
[2]) التوراة الهيروغليفية ، ص 39 .
[3]) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
[4]) معجم ديانات وأساطير العالم ، ج1 ، ص 201 .
[5]) بذل المجهود ، ص11 .

ثانيًا / سفر الخروج : [1]

و يقع في أربعين إصحاحًا تحدّثت عن اضطهاد المصريين لبني إسرائيل ، بعد عهد يوسف ، ثم يحكي هذا السّفر مولد موسى ونشأته ، وتنقُّله إلى سيناء وأرض شعيب عليه السّلام بمدين ، ثم نزول الوحي عليه بالطّور ، وعبور البحر ببني إسرائيل ثم شقّهم بسيناء (الإصحاح الخامس عشر)، ثم تلقّيه الوصايا العشر التي ذكرت في الإصحاح العشرون (الآيات1-17) ، وصدور القوانين والشّرائع المعروفة (بقانون العهد) إلى غاية عبادة بني إسرائيل العجل .

ثالثًا / سِفْرُ اللاّويين : [2]

و هو سِفْرُ الأحبار ، لأنّ الشرائع والطقوس الكهنوتية تشغل فيه المكان الأوّل [3] ، وقد كانت الكهانة موكلة إلى سبط (لاوي) ابن يعقوب ، وهي البطن الذّي ينتمي إليه موسى وهارون عليهما السّلام ، والكهانة موكولة إليهم بحسب اشتراط التّوراة لذلك ، ويقع سفر اللاويين في سبع وعشرين إصحاحًا ، وقد ذكر هذا السِّفْر نهاية مسيرة بني إسرائيل مع موسى عبر سيناء ، والباقي تكلّم عن التعاليم الخاصّة بالأمور الدّينية .

رابعًا / سفر العدد :

و هو ستّةٌ وثلاثون إصحاحًا ، وسمي كذلك لظاهرة الإحصاء والتعداد فيه ، كإحصاء الشعب الرّاحل مع موسى في سيناء ، وذكر أعداد المدن والذبائح والقرى ، كما ذكر تذمّر اليهود من المسير على خطى موسى ، وانحرافهم نحو ألوان من الفسوق والعصيان ، ممّا أثار غضب موسى عليه السّلام عليهم[4] .

---

[1]) المرجع السّابق ، ج1 ، ص 202 .

[2]) سفر اللاّويين ، نسخة إلكترونية .

[3]) الفكر الدّيني اليهودي ، ص 15.

[4]) معجم ديانات العالم ، ج1 ، ص 202 .

خامسًا / سفر التثنية :

و يسمّى سفر (تثنية الاشتراع) أي إعادة الشريعة وتكرارها على بني إسرائيل مرّةً ثانية عند خروجهم من سيناء ، وقد وقع النّسخ في الشّريعة التّوراتية الأولى عند تثنيّتها ، و أضيفت أشياء لم ترد من قبل ، وذكر وصول بني إسرائيل إلى سهول النقب وجنوب الأردن في صحراء مُؤاب [1] .

ب / الأنبياء : أو نبيئين [2]

و هو القسم الثاني من العهد القديم ، يذكر استمرار وقوع الأحداث للعبريين بعد موت موسى ، منذ دخولهم فلسطين مع يوشع بن نون خادم موسى وخليفته إلى أن أخرجوا على يد بختنصر الإمبراطور الكلداني في السّبي البابلي ، وهذا القسم يُغطّي فترة ما بين حوالي 1300 وسنة 300 ق.م أي حوالي الألف عام [3] .

والأنبياء مشطوّر شطرين : الأنبياء الأوّل ، والأنبياء الآخر ، وقد انتقد " لوسيان جوتييه " في مقدّمته للعهد القديم هذا التقسيم [4].

إذ أنّ الشطر الأوّل يتوجّه نحو التاريخ العسكري والسياسي و الإداري البحتّ ، و لا تبدو فيه النبوّة إلاّ من خلال الأحداث ، والشطر الثّاني عبارةٌ عن نبوّات صرفة .

أوّلاً / الأنبياء الأوّل : وهو أربعة أسفار :

1 – يوشع بن نون : وهو أربعة وعشرون إصحاحا وهو في العبرية (يهوشوع) [5] .

---

[1]) المرجع نفسه ، الجزء والصّفحة نفسيهما .

[2]) التوراة الهيروغليفية ، ص 30 .

[3]) الفكر الدّيني اليهودي ، ص 32 .

[4]) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[5]) التوراة الهيروغليفية ، ص 61 ، و64 .

2 – القضاة [1] : وهم مجموعةٌ من الزّعماء العسكريين والسياسيين والدّينيين، حاولوا على مدى قرنين من الزّمان منع المجتمع العبري من الإنزلاق في الكفر والفجور، وهؤلاء القضاة العظماء استطاعوا إنقاذ الإسرائيليين من المصاعب التي ابتلاهم الله بها منذ وفاة يشوع إلى ظهور شموئيل .

3 – صمويل : أو (شموئيل الأوّل و الثّاني) [2] ، وهي موزّعةٌ بين المواضيع الآتية:

أ- أخبار الكهنة و تابوت العهد .

ب- أخبار شموئيل و شاؤول .

ج- ظهور داوود .

د-اعتلاء داوود عرش المملكة .

وهذا السِّفر بدأت فيه تبلور فكرة النبوّة في بني إسرائيل بشكلٍ واضح ، إذ أنّ السلطة الدّينية كانت محصورةٌ في سبط (لاوي) ، وصمويل من (إفريم) ، وعليه فإنّه قد وجد طريقًا للزّعامة مسدودًا ، وأمّا الملك والسّلطة فقد كان متاحًا له ولعشيرته ضخمة العدد والمال [3] .

كما ذكر هذا السِّفْر ميلاد شموئيل (سميُّ الله) [4] .

كما ذكر هذا السّفر في جزئه الأوّل انتقال صفة القاضي إلى صفة النبيّ ، ونضاله من أجل توحيد كلمة العبريين وأسباطهم تحت تاج واحد ، ثم اختيار شاؤل ملكا ، ثم انتحار هذا الملك بعد هزيمته أمام الفلسطينيين ، وهذا الجزء يحتوي على واحد وثلاثين إصحاحًا [5].

[1]) معجم ديانات العالم ، ج 1 ، ص 202 .

[2]) معجم ديانات العالم ، ج 1 ، ص 203 .

[3]) الفكر الدّيني اليهودي ، ص 35 .

[4]) المرجع نفسه ، ص 69 .

[5]) نفسه، ص 35 ، و36 .

وأمّا السّفر الثاني فقد ضمّ أربعة وعشرين إصحاحًا ، بدأ بتاريخ شموئيل وشاؤول وحروبهما ضد الفلسطينيين [1] ، وانتهى بالحديث عن شيخوخة داوود وتفكيره في تعيين ابنه سليمان ملكاً من بعده [2] .

4 – سفر الملوك :

وهو جزآن أيضًا : الملوك الأوّل ، والملوك الثّاني .

الملوك الأوّل :

جاء في اثنين وعشرين إصحاحًا ، خصّصت الأحد عشر الأُوَلْ منها لذكر مملكة سليمان ، وبنائه الهيكل ، ومظاهر المُلْك التي أحاط بها نفسه في أورشليم ثمّ وفاته ، و ابتداءًا من الإصحاح الثّاني عشر ذكر تصّدع مملكة سليمان بعد وفاته ، وانقسامها إلى قسمين [3] :

مملكة يهوذا : في الجنوب ، وعاصمتها أورشليم ، وملكها رحبعام بن سليمان .

ومملكة السّامرة : في نابلس ، وملكها ضابط يهودي تمرّد على سليمان ، هرب منه ولجأ إلى مصر وهو : يربعام بن نباط .

الملوك الثّاني :

و فيه ذكر سقوط المملكة الشّمالية لإسرائيل أمام الجيش الآشوري بقيادة الإمبراطور سلما نصر ، وهي في خمسةٍ وعشرين إصحاحًا ، والباقي تحدّث عن المملكة الجنوبية " يهوذا " في أورشليم ، و إلى تدميرها على يد بختنصّر [4] .

---

[1]) التوراة الهيروغليفية ، ص 70 ، و71.

[2]) المرجع نفسه، ص 36 .

[3]) الفكر الدّيني، ص 36 ، ومعجم ديانات العالم ، ج1 ، 203 ، بتصرّف يسير جدّا .

[4]) التوراة الهيروغليفية ، ص 79 .

وقد كان السفران في الأصل سفرًا واحدًا كما كان الحال مع سفر شموئيل ، وقد أطلقت عليه هذه التّسمية لاهتمامه بالملوك والحديث عنهم [1] .

ثانيًا / الأنبياء الآخر :

ويحتوي على أربعة أسفار كذلك هي: إشعيا [2]، إرميا ، حزقيال ، الإثنتا عشَرَ مجلّةً التي تشكّل مجموعةً واحدة تُعرف أيضاً: "بالأنبياء الصغير"، أو الإثنيْ عشَر نبيًّا، وهم: هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونس، ميخارنا حوم، حبقوق، صفنيا، حجاي، زكريا، وملاخي [3] .

وهذا الجزء يحتوي على تراث القادة الروحييّن الّذين حاولوا أخذ اليهود إلى برّ الأمان .

ثالثًا / الكتب :

وتعرف في العبرية باسم: (تهليم) [4] وتسمّى أيضا : كتب الحكمة ، أو " فجيوغرافيا " [5] ، وهي تأتي في العهد القديم في رأس الكتب المختلفة الموضوعات والأساليب ، فهي شعر ونثر ، وترانيم دينية وحكم فلسفية ، شعر تعليمي وأغاني غربية ، قصص وأساطير ، وهي كلّ ما لم يرد ضمن أسفار التّوراة أو أسفار الأنبياء [6] .

وترتيبها حسب ورودها في العهد القديم كالآتي :

1) مزامير داوود [7] وهي مائةٌ وخمسون مزمورًا .

2) أمثال سليمان .

---

[1]) التوراة الهيروغليفية ، ص79.

[2]) المرجع نفسه، ص 82 .

[3]) الفكر الدّيني اليهودي ، ص 45 ، و التوراة الهيروغليفية ، ص 104 .

[4]) التوراة الهيروغليفية ، ص 130 .

[5]) المرجع نفسه ، ص 46 .

[6]) نفسه، ص 130 ، و131 .

[7]) نفسه، ص 131 ، و132 .

3) أيوب .

4) نشيد الأناشيد : وهي مسرحية غنائية من الفلكلور اليهودي .

5) روت : قصّة بطلة ترجع إلى عهد القضاة .

6) المراثي : قصائد تنسب لأرميا في البكاء على أورشليم بعد خرابها [1] .

7) الجامعة : خواطر فلسفية ، تنسب لأحد أبناء سليمان وتسمى (قوهيلت) .

8) إستير: نبيّةٌ حصلت على وعد من إمبراطور فارس بالقضاء على أعداء اليهود .

9) دانيال : وفيها كرامات ومغامرات هذا النبي أثناء غزو بختنصر.

10) عزرا : وهو عزرا الكاتب ، وفيها قيادته لليهود بعد العودة من السبي البابلي ، وإقامته دولة صهيونية بفلسطين .

11) نحميا : نبيٌّ في نظر اليهود ، اِنضمّ إلى صهيونية عزرا ، جاء بعده باثنتي عشرة سنة لإقامة أسوار أورشليم .

12) أخبار الأيام [2] : وفيه تلخيصٌ للوقائع التّاريخية الواردة في الكتاب المقدّس منذ بدء الخلق إلى العودة من السّبي ، في أيام قورش ملك الفرس ، وفيه قسمان : الأوّل في تسعةٍ وعشرين إصحاحًا تحدّث عن تولّي سليمان عليه السّلام المُلْك ، والثّاني في ستّةٍ وعشرين إصحاحًا تناول بقيّة التّخليص إلى عهد قورش ملك الفرس .

[1]) التوراة الهيروغليفية، ص 204.

[2]) المرجع نفسه ، ص 203 ، بتصرّف يسير .

الكتب غير القانونية (الأبوكريفا) :

يطلق هذا اللّفظ على مجموعة الأسفار والرّسائل الملحقة بالعهد القديم وليست منه ، وقد اعترفت بها الكنيسة الكاثوليكيّة في : 8 أبريل عام 1546 م ، فرفعت من شأن معظمها وجعلته كالأسفار المقدّسة ، أمّا العهد الجديد فقد تنكّر لها وتجاهلها . [1]

و يسمّيها بعض الباحثين من اليهود " الكتابات الخارجة " ، أيّ : النّصوص المرويّة على أنّها مقدّسة ، ولكنّها لم تُقبل عند تسجيل أسفار العهد القديم .

وقد قَبِلَ علماء اليهود الأوّلون النّصوص الشرعية المعروفة ب : " التناخ " ، ويكتبونها بالعبرية (ت،ن،ك) وهي حروف اختصار من الألفاظ : توراة ، نبيئيم (الأنبياء) ، كِتبويم (الكتب) [2] ، وهي كما سبق ذكره الأجزاء الثلاثة الكبرى المؤلّفة للعهد القديم ، وتسمى أيضا (المقرا) أو المقروء، لأنهم مطالبون بقراءته في عبادتهم ، ويسمّى (المِسْوَرْتْ) أيّ : النّص المقدّس المروي عن الأسلاف روايةً متواترةً اِرتضتها أجيال العلماء ورفضت بإعدادها ، ومن عهد العلماء الكتبة (صوفريم) في القرن الثالث ق.م ، إلى عهد الأحبار الفقهاء (جأونيم) في القرن السابع والثامن ق.م [3] .

فكلّ النّصوص التّي لم تدخل في النّسخة العبرية الشرعية المشار إليها ، أو التّي ظلّت شائعةً بين اليهود ، أو وردت مُثْبَتَةً في بعض المخطوطات أو الترجمات هي : الأبوكريفا .

---

[1]) التوراة الهيروغليفية، ص 192 .

[2]) الفكر الدّيني اليهودي ، ص 62.

[3]) المرجع نفسه ، ص 63 ، بتصرّف يسير جدّا .

وقد حدّد علماء اليهودية الأُسس التّي خرجت بمقتضاها نصوص الأبوكريفا ، فذكروا منها ستّة أُسسٍ[1] وهي باختصارٍ شديد كالآتي :

1) النّصوص التي ترجع إلى الكتاب المقدّس ، ولكنها لا تحمل روح الكتاب الموحى .

2) النّصوص المكتوبة بعد انتهاء عهد الأنبياء .

3) النّصوص التّي تعالج فترةً من التّاريخ الإسرائيلي وثبت تأخرُها عن عهد الأنبياء ، وفترة نسخ العهد القديم، ومنها: سفر" المكابيّن " الأوّل والثاني ، وهذه النّصوص تسمى : (الكتابات المتأخرة) .

4) النّصوص الأسطورية الخيالية .

5) النّصوص التّي انفردت بروايتها وكتابتها طوائفُ منشقّةٌ على اليهودية الرّسمية ، وهذه النّصوص غير القانونية هي :

أ– كتابات تاريخية مثل سِفْر المكابيين الأوّل والثاني ، وأسفار النبيّ عزرا الموجودة في الترجمة اللّاتينية (الفولجاتا) ، ولا توجد في المسورت العبرية ، وزيادات مضافة إلى سفر أخبار الأيام ، وسفر دانيال خاصّة قصّة سوسن العفيفة ، وقضاء دانيال ، وسفر إسْتِير .

ب– نصوص عقائدية ضدّ عبادة الأصنام ، إلى جانب النّصوص المشهورة بـ " المشنا " وملحقاتها أو " الجمارا " بالآرامية والمعروفة باسم التلمود [2] .

وقد أضحى مدلول لفظ (أبوكريفا) غير واضح ، فهو يدلُّ على رسائل وأسفار سريّة غير مباحة للجميع بل للخاصّة ، لأنّ مضمونها يجب أن يبقى سرًّا خفيًّا ، كما ينسب إلى عزرا أنه أخفى ما يقرب من سبعين سفرا و أظهر أربعة وعشرين فقط [3] .

---

[1]) الفكر الدّيني اليهودي ، ص 64 ، و65 .

[2]) المرجع نفسه، ص 66 ، و76 ، و82 ، و88 .

[3]) التوراة الهيروغليفية ، ص 192 .

وفي أوائل القرن الثّاني الميلادي وقفَ ربانييُّ اليهود من (الأبوكريفا) موقفًا عدائيًا ، وقد قال رِبّيُّ عَقيبة : (110م135) [1] في التلمود البابليِّ ما معناه : " لا مكان في العالم الآخر لمن يقرأ الأبوكريفا"، ولما جاءت المسيحية، وقفت الطائفة الوثنية المسيحيّة من اليهوديةِ موقفًا عدائيًا لذلك لم تهتم الكنيسة بحكم الربّانيين حول الأبوكريفا ، و الأبوكريفا متنوّعةُ المواضيع ، مختلفة العصور، فمنها ما يتّصل بالتّاريخ مثل المكابيّن الأوّل ، ومنها ما يُعالج القصص التّاريخي كالكتابين الثّاني والثالث من المكابيّن وسفر: " يوديث " أو " سهوديت " ، أي اليهودية ، وأساطير: "طوبيث" و"سوزانا"، ومنها ما يشبه شعر المزامير مثل : صلوات "منسى" و"أساريا"، ومنها سفر : "باروخ"، ورسالة أرميا للعزاء والنبوءة ، وشعر الحكمة المنسوب ليسوع بن سيراج وسليمان [2] .

و"الأبوكريفا" من هذه النّاحية مُفيدةٌ جدًّا للباحث ، لأنّها تُعين على فهم التّاريخ اليهودي، والعقلية اليهودية في الفترة الممتدة من القرن الثاني ق.م إلى أواخر الأوّل الميلادي أي خراب أورشليم ، وهي تكون حلقة الاتصال بين اليهودية والمسيحية أو العهْدين القديم و الجديد .[3]

ولا يفوتني في هذا المقام أن أذكر أنّ هناك نزعةً تشبيهيّة تجسيميّة كانت لدى العبرانيّن الأوائل، الّذين كانوا يتصوّرون الحقيقةَ المطلقة شخصًا يمشي في جنّة عدن في هدوء الصّباح .

قال الدكتور (هيوستن سميث) : " ولكنّنا عندما نتجاوز ذلك التّجسيد الشّعري لنغوص إلى أعماق الفكرة التّي تكمن وراءه – أي الفكرة التّي ترى أنّه في التّحليل النّهائي ، الحقيقة المطلقة أكثر شبهًا بشخصٍ منها بمادّة أو شيءٍ (لا شخصي) ، كما أنّها أشبه منها بعقلٍ منها بآلة – فعلينا أن نسأل أنفسنا سؤاليْن :

[1]) التوراة الهيروغليفية ، ص 193.

[2]) معجم ديانات العالم ، ج2 ، ص 248 .

[3]) المرجع نفسه ، و الصفحات نفسها .

أوّلاً : ما هو الدّليل و البرهان ضدّ هذه النّظرية ؟ ، يبدو أنّه لا توجد هناك براهينُ ضدّها مُطْلقًا ، لدرجةٍ جعلت عالمًا وفيلسوفًا كبيرًا مثل " ألفريد نورث وايتهيد " يؤمنُ بهذه النّظريّة دون أدنى تحفُّظ .

وثانيًا : هل هذا المبدأ أو المفهوم أقلُّ رِفْعةً ومجْدًا في جوهره من بديله ؟ ([1]) .

ويُعتبرُ المفكّر الإسرائيلي (سعديا الفيّومي المتوّفى سنة 942 ميلادي) الذّي سبق الحديث عنه في الفصل التّمهيدي أوّل من وضع فلسفة دينيّة مُتكاملة تحتوي أُسُس العقيدة اليهوديّة كاملةً، وقد لخّصها في تسع مبادئ يبدو فيها تأثير الفكر الإسلامي عامّةً والطريقة المعتزليّة فيها بشكلٍ خاصّ، وقد كان عمل سعديا الفيّومي في تحديد العقائد اليهوديّة الرّبّانيةّ ضرورة فرضتها احتجاجات ورفض اليهود القرّائين لما قرّرتهُ اليهوديّة الرّبانيّة ، وقد كان عمله هذا أشدّ تأثُّرًا بالفكر الإسلامي، وأكثر استعابًا له. ([2])

[1]) أديان العالم ، ص 337 .

[2]) اليهود القرّاؤون و تأثُّرهم بالفكر الإسلامي ، ص 136 ، بتصرّف .

الوصايا العشر :

هي التّي أنزلها الله على موسى عليه السّلام بعد خروج بني إسرائيل من مصر ، وقد نزلت في جبل سيناء ، وهي مجموعة وصايا تقرّر المبادئ الأخلاقيّة لليهوديّة ، كتحريم الخمر والزّنا وقتل النّفس ، والتّوحيد وتقديس اِسم الرّب ، وهي من القواعد الأخلاقيّة العامّة والمقرّرة في جميع الأديان السّماوية ، إضافةً إلى تحريم العمل يوم السّبت ، وقد نزلت في لوحيْ حجَرْ ([1]) ، وسميّت أيضًا بالكلمات العشْر و كلمات العهد ([2]) ، وهي في نظر بني إسرائيل حاوية الثقافة الرّوحيّة والقيّم الإنسانيّة السّاميّة . ([3])

[1]) سفر الخروج ، 34 : 28 .

[2]) سفر التثنية ، 29 : 1 ، و 4 : 13 .

[3]) الوصايا العشر في اليهودية ، دراسة مقارنة في الإسلام والمسيحيّة ، عبد الله رشاد الشّامي ، ص 11 ، بتصرُّف .

نماذجُ أخرى من مصادر اليهوديّة :

1)**المزامير** : وتُعرف في العبرية باسم (تهليم) ، وهي في العهد القديم على رأس الكتب المختلفة الموضوعات والأساليب ، فهي شعر ونثر وهي ترانيم دينية وحِكم فلسفية..، وأساطير وتاريخ ، وهي كل ما لم يرد ضمن أسفار التوراة أو أسفار الأنبياء ، وهي أيضًا مبعثرةً في أسفار أخرى كالعهد القديم أو الأبوكريفا ، فقد نجد مزمورًا في حزقيا وآخر في سفر أيوب و في كتاب يسوع و في المكابيّين الأوّل .

ولم ينفرد الإسرائيليون [1] بالمزامير ، فنحن نجدها عند غيرهم أمثال البابليين و قدماء المصريين ترجع في الواقع إلى الأدب حيث كان أثر البابليين شائعًا جدًّا في فلسطين قبل السّبي منذ عهد (آخاذ) و (منشى) حيث انتقلت الديانة البابلية وقتذاك بمزاميرها و ترانيمها الخاصّة ، وكانت تُغنّى في الأعياد إلى أورشليم و قد اهتدى الباحثون الذّين يُعنون بالمصريات إلى الصّلة القويّة بين الفنّين .

2)**بعل بابل** : [2] قصّةٌ مأخوذة من نبوءات حبقوق ، و المقصود منها إفهام ملك بابل عدم قيمة بعل، وإثبات لصوصيّة كهنته الذي يسرقون كل ما يُقدّم له ، فقد حدث أن ألقى دانيال سرًّا في الطريق الموصل إليه ولما أرخى اللّيل سُدوله توجّه الكهنة لسرقة القرابين طبعت آثار أقدامهم في التراب فانكشف أمرهم وظهر ضعف بعل وسخافة عبادته ، ولعلّ الغرض من هذه القّصة هو إقناع اليهود ببطلان الوثنية .

3)**تنين بابل** : وفي هذه القصّة يظهر كيف أنّ دانيال ألقمه كعكةً من القارِّ والشّحم والشعر فكانت هذه الكعكة القاضية عليه لذلك رغب الملك في الانتقام منه فألقى بدانيال في حفرة الأسد إلاّ أنّ ملاكًا حمل النّبي حبقوق وتعهّد بإلقاء الطّعام له في الحفرة حتّى أعاد الله إليه حريّته

[1]) التوراة الهيروغليفية ، ص 131 .

[2]) المرجع نفسه ، ص 204 ، والقصّة بابلية الأصل .

(دانيال) وهذه القصّة ليست يهودية الأصل بل بابلية آشورية استغلّها اليهود وحوّروها حسب رغباتهم وخلطوا بها موضوع النبيّ حبقوق للتهكّم على الوثنيّة [1] .

وممّن أثبت هذه التأثيرات القاضي عبد الجبّار المعتزلي [2] الذّي كتب في الدّيانات الفارسيّة و الهندية و النّصرانية ، وانتهى إلى آراء في النّصرانية تعتبر من الآراء التّي انتهت إليها الأبحاث الحديثة و المعاصرة في ميدان نقد الكتاب المقدّس[3] فهو يرى أنّ النّصرانية أخذت من الوثنية الرّومانية والفلسفة اليونانية ووثنيات عبدة الكواكب من البابلييّن ، وخلُص إلى القول بأنّ النّصرانية هي التّي تروّمت فأخذت بتقاليد الرومان و بأخلاقهم و بآراء الفلاسفة اليونان و عقائدهم بما في ذلك التّثليث .

[1]) التوراة الهيروغليفيّة ، ص 204 .

[2]) ت : سنة 415 هـ ، في كتابه المشهور (المغني في العدل والتوحيد) الذي انتهى من تأليفه سنة 380هـ .

[3]) محاضرات في النصرانية ، المقدّمة .

أصول العقيدة اليهودية :

بعد التطرّق للنّصوص المقدّسة لليهود والتي هي العهد القديم بأقسامه ، والشريعة الشفوية أو المشنأ، ثمّ التلمود اللّذين لم أذكر فيهما شرحًا لكونهما ليسا من صميم العقيدة اليهودية ، تجدر الإشارة إلى تفكير اليهود في الغيبيّات بعد تعرضّهم للسّبي البابلي ، ثم للتّشتيت على أيدي الرّومان اتّخذ تفكيرهم اتّجاهين محدّدين لعقيدتهم وهما :

1- نهاية العالم .

2- الخلاص على يد المسيح المنتظر ، أو النبّي إلياهو (إلياس) [1] .

قال : سايس ، وهو أحد روّاد الدّراسات الميثولوجية : " بأنّ جميع عناصر الكوزمولولوجيا الإسرائيلية هي بابليّة " . ([2])

قال درايفر: "إنّ النّظريات القائلة بأنّ اليهود كانوا أوّل من نادى بالتّوحيد ليست بذات أساس". ([3])، وقال المؤرّخ توينبي: "كان من الممكن للدّين اليهودي أن يتطوّر عند بلوغه مرحلة التّوحيد المطلق في (بابل) لولا إصرار اليهود على إبقائه دينًا قوميًّا خاصًّا بالشّعب اليهودي".

ونظرًا لإيمانهم بنظرية (الشعب المختار) ، وأنّ إلههم يهْوه أعظم آلهة القبائل ، نشأت عندهم فكرة المسيح المنقذ الذّي يحقّق ما وعدهم به ، وتولّدت لديهم فكرة أنّ الإله سينزل عليهم بنفسه ، بواسطة أحد الملوك ليعيد لهم سلطانهم وتتّسع مملكتهم كما تحدّث عن ذلك سفر زكريا عن السيّد المسيح عليه السّلام. ([4])

وقد أخذ اليهود أفكارًا من الملحمة البابليّة (إينوما إيليش) حيث يرد تشابهٌ مع التكوين التوراتي – بتسلسل الأحداث وبصياغة الأفكار –كما تأثّر اليهود بجيرانهم الكنعانيين ، حيث ترد

---

[1]) الفكر الدّيني اليهودي ، ص 95 .

[2]) التصوُّف في الديانات السّماويّة ، . أحمد عاشوري ، جامعة تلمسان.ص 8 و 9 .

[3]) ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ، ج1 ، ص 105 .

[4]) العبادات في الأديان السماوية ، ص 66 .

أسماء آلهةٍ كنعانية في الميثولوجيا اليهودية، كما لم يتخلّص اليهود نهائيًا من التّأثيرات الفرعونيّة ، ومن يدرس التّوراة دراسة مقارنة ، يُصادفه التناقضُ والتساؤل والارتياب ، ولا غرابة بذلك فهم عايشوا الكلدان خلال حضارتهم المزدهرة ، كما عايشوا الكنعانيين بنظرتهم إلى الطبيعة وتفاعلوا معها، وعايشوا الفرعونية المصرية وتداخلوا مع الكهنوت الفرعوني في تعبُّدهم لآمون كما عرفوا الأتونية (وهي ديانةٌ أوجدها أخناتون بعد قيامه بثورة دينيّة ضدّ عبادة الآلهة المتعدّدة في مصر) ، ومن كلّ ذلك صاغوا أفكارهم و ميثولوجيتهم . ([1])

وساعدت كثرة الأنبياء المنزّلين عليهم على شيوع كرة التّوحيد ، وخاصّةً زمن (أرميا) وفي خلال فترة السّبي البابلي التّي ساعدتهم في التخلّص من وثنيتهم ، لأنّ البابليين كانوا شبه موحّدين، ممّا نتج عنه ظهور جماعات بينهم ، وأنّ في الطبيعة مظهرًا من مظاهر الله التّي لمسوها في خارج فلسطين . و التّي عبّرت عن القوّة الإلهية وعظمتها ، و في الوقت ذاته اِضطرّت الإسرائيليين القادمين من فلسطين إلى الإيمان بأنّ الله خارج فلسطين أيضًا ، ويقصُّ سفر (هوشع) الفصل بين الإسرائيليين وغيرهم من الشّعوب – أيّ الفصل بين الدّين ، يعبدون يهوه والدّين لا يعبدونه – ويسير يونس عليه السّلام على خطى (أشعيا) الثّاني في المناداة بالإنسانية العالمية لا الإسرائيلية والاِنتصار لفكرة التعميم . ([2])

وقد اعتبرت التوراة مُعاقبةُ "يهوه " لليهود تحت ضربات : مصر وآشور وبابل .

فمنذ القرن الثامن وحتّى القرن قبل الميلاد ، عندما كانت دولتا إسرائيل ويهوذا تترنّحان تحت ضربات سوريا وآشوريا ومصر وبابل، وجد الأنبياء مغزًى في تلك الأزمات والمصاعب عندما رأوا فيها طريقة الله للتّأكيد على مُطالبته لليهود بالصّلاح والاِستقامة، كان الله منشغلاً بخلافٍ عظيمٍ مع شعبه، خلافًا اِشتمل على قضايا أخلاقيّة، غير واضحة بالنّسبة للمراقبين للعلمانيّن ..،

[1]) ميثولوجية وأساطير الشعوب القديمة ، ج1 ، ص 106.

[2]) العبادات في الأديان السماوية ، ص 66. نقلا عن اليهودية واليهودية المسيحية للدكتور فؤاد حسنين علي ص 50.

وبالمثل لم يكن أمام "يهوه"، وهو يرى لا مبالاة شعب إسرائيل بوصايا الله وأوامره، من بديلٍ سوى أن يُعلّم الإسرائيليين من هو الله الّذي يجب أن تسود إرادتُه ؟ ، ولإيضاح هذه النّقطة اِسْتعمل الله أعداء إسرائيل ضدّها : ((هذا ما يقوله الرّبُّ : من أجل معاصي إسرائيل الثلاث والأربع لن أرُدّ عنهم سخطي ...، الّذين يسحقون رأس المسكين في التُّراب ، ويجورون على البائسين ، ... لذلك يعلنُ الرّبُّ الإله أنّه : ((سيجتاحُ العدُوُّ البلاد ، ويُحيلُ حصونكم حُطامًا ، وينهبُ قصوركم .)) سفر عاموس 2/ 6-7 ، و 3 / 11.([1]) .

هذا وقد اعتبر اليهود القرّاؤون أركان الإيمان اليهودي عشرة ، فيها أنّ الله خالق كلّ شيءٍ وليس فيها عقيدة المخلّص، كما أنّهم اعتبروا التّوراة المصدر الوحيد لهذه العقائد ، والباقي اعتبروه عقائد شفوية لا مصدر لها. ([2])

[1]) أديان العالم ، ص 366 .

[2]) اليهود القرّاؤون و تأثُّرهم بالفكر الإسلامي ، ص134 ، بتصرّف .

أثر الأديان الوضعيّة في بناء المفاهيم الدّينيّة والثقافية عند اليهود .

لا أخفي سرًّا إن قلت إن المادّة العلمية لهذا المبحث قد لا تختلف كثيرا في محتواها مع ما كتب في المبحث السابق ، إذ أنّ المفاهيم الدّينيّة والثقافية التّي استحدثتها واستعارتها ووظّفتها الأديان السّماوية كان أكثرها مستعارًا من الأديان السّابقة لاسيّما الوضعية منها ، وسأبذل قَصارى جهدي لعدم تكرار المادّة العلميّة نفسها .

قال السّمؤل يحي بن عبّاس المغربي [1] في : " فصل في ذكر طرف من كفر وتبديل اليهود ": وينتظرون قائما يأتيهم من نسل داوُود ، إذا حرّك شفتيه مات جميع الأمم ، ولا يبقى إلاّ اليهود ، وهذا بزعمهم هو المسيح الذي وُعِدوا به...، ويعتقدون أيضا أن هذا المنتظر متى جاءهم يجمعهم بأسرهم إلى القدس وتصير لهم الدّولة ويخلو العالم من سواهم ، فيحجُم الموت عن جنابهم المدّة الطويلة " .

وقد ذهب علماء اليهوديّة أنّه نتيجةً لما لاقاه اليهود من اِضطهادات نشأت عندهم عقيدة المخلّص الذي يجيء ليعيد مجد إسرائيل ويجمع أشتات اليهود بفلسطين . [2]

وقد أطلقوا عليه اسم النبيّ أو المسيح المنتظر ، وكلمة مسيح عندهم : الممسوح بزيت البركة المقدس، لأنّهم كانوا يمسحون الملوك والأنبياء والكهنة عند تقليدهم المناصب ،كما مسح صموئيل كلاًّ من شاؤل وداود بالزّيت ملكًا بأمر الربّ – ويظهر والله أعلم- أنّهم إنّما أطلقوا عليه هذا اللّقب ليظهروا للعالم أنّه سيكون من بني إسرائيل .

[1]) بذل المجهود ، ص102 -105 .

[2]) نقل المحقّق ذلك في ص 105 عن أحمد شلبي في الموسوعة اليهودية ، الصفحات 216 -219 ، بتصرّف .

ويرى بعضهم أن هذه الفكرة إنما برزت لهم بعد سقوط دولتهم وخلال أسرهم في بابل ، ثم تبلورت بعد خضوعهم للفرس ، ممّا دفع بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن هذه الفكرة مستعارة من الدّيانة الزرداتشية التّي يدين بها الفرس .

فالفرسُ كانوا أوّل من تصوّروا العالم بكونه له بداية : معركة كونيّة بين الخير والشرّ ، والتّي ستقود في النّهاية إلى نهاية العالم ويوم الحساب ، وهذا هو التأثير الضّخم للزرادشتيّة عل اليهودية والمسيحيّة والإسلام ، فالنّهاية في هذه المعركة وفق الأديان السّماوية عائدة إلى التدخُّل الإلهي ، والمعركة لم تحدث بعد سواء كان متصوّرُها يهوديًّا أو مسلمًا أو مسيحيًّا .

تأثير الأديان الوضعية في اليهودية باقتباسها منهم عقيدة التشبيه والجبر والاختيار :

تساءل الدكتور محمد البهيّ في الجانب الإلهي [1] ما إن كان القول بالتّشبيه أو التّنزيه ، وكذا غيره ممّا يتعلق بالمسائل الإلهيّة الأخرى ، خاص باليهودية مثلا ؟ ، أم أنّ مثل ذلك من المعاني الإنسانية المشتركة التّي تعرض لكلّ جماعة معتقدة بدين من الأديان ، عندما تحاول تحديد الإله وتحديد علاقته بالإنسان؟ ، وأجاب قائلا : (لا شكّ أنّ اليهود سبقتهم في القول بالتّشبيه بيئات دينية أخرى: عند الآريين مثلاً من برهميّن وبوذيّن من جهة، وزرداتشييّن من جهة أخرى ، وعند الحاميّن كذلك وعند قدماء المصريّن ، والتّشبيه معناه تقريب المعبود من الإنسان وتوثيق الشبه بينهما... فما يتصوره الإنسان في دائرته يحمله كذلك على معبوده ، وما يشرح للإنسان في البيئة الإنسانية يُعطى على نحوه للإله . وكذلك سبقهم غيرهم في القول بوضع حد لهذا التغريب وإيجاد نوع من المفارقة بين الإله والإنسان ، تختلف ضِيقاً وسعةً حسب قرب البيئة الدّينية أو بعدها من الدرجة البدائية في التصورات الإلهية) .

[1]) الصفحات 67 ، و68 .

وقد ثبت في العهد القديم إثبات الصّفات البشرية للذّات الإلهية كالمشي والحزن والفرح والتعب والرّاحة يوم السبت ، وكلُّ ذلك نابعٌ من عقيدة التّشبيه و التّجسيم [1] .

وأمّا عن عقيدة الجبر والاختيار فينقل عن اليهودية أيضًا نقاشٌ عقليٌّ حول القدر والجبر والاختيار، يُنقل عنها أنّ القرّائين (النّصيّين أو الحرفيّين)[2] يقولون بالجبر أو القدر ، وأنّ الرّبانيين [3] يقولون بالاختيار ، وعقيدة القدر هي عقيدة المؤمن الخاضع تمام الخضوع ، المتفاني في المعبود والمنكرِ لخصائص نفسه الشّخصيّة ووجوده الذّاتي ، وعقيدة الاختيار هي عقيدة المثبتِ لشخصه ، المعترف بوجوده كاعترافه بوجود خالقه .

وهناك تشابهٌ غيرُ مسبوق بين الأساطير مثلاً ، وبعض العقائد في القرآن ونصوص العهدين القديم والجديد، قال (هيوستن سميث): "إنّ الإنزال المباشر للقرآن يخلق للقارئ مشكلةً أخيرة تمّ تخفيفها في سائر الكتب المقدّسة بواسطة اِستخدام أكثر من قصّةٍ أو أسطورة".([4])

[1]) محاضراتٌ في النّصرانية ، ص 7 .

[2]) التّوراة الهيروغليفية ، ص 68 .

[3]) ذكرهم ابن حزم في (الفصل في الملل و الأهواء والنّحل) بأنّهم الأشدّ ،ج1 ، ص 82 .

[4]) أديان العالم ، ص 484 .

تقديس الحياة :

إنّ الرُّؤية اليهودية للحياة لا توّقفُ عند دراسة الأفكار بل بدراسة الممارسات والأعمال اليهوديّة، فبدراسة الطقوس والِاحتفالات الدّينيّة اليهوديّة يمكن القول أنّ اليهودية ديانةٌ أورثوبراكسية "أي ديانة طقوس وأعمال قويمة"، أكثر منها أورثوذوكسيّة "ديانة عقائد قويمة"، فالّذي يُوّحد اليهود في الواقع هو أعمالهم وممارساتهم المشتركة ، أكثر من العقائد المختلفة التّي يدينون بها، أحد الأدّلة على ذلك هو أنّ اليهود لم يقوموا أبدًا بصياغة ونشر نصٍّ عقائديٍّ ليمثّل العقيدة الرّسميّة التي لا بُدّ من الإقرار بها لكي ينتمي الإنسان لهذا الدّين، في حين أنّ بعض التقيُّد ببعض الِالتزامات العمليّة – كختان الذّكور – له أهميّةٌ حاسمة في الِانتماء لليهوديّة، وهذا التّأكيد على الممارسات والأعمال يُعطي لليهوديّة نكهةً شرقيّةً، لأنّ الغرب تأثّر بالميُول اليونانيّة نحو الفلسفة والعقل المجرّد، وبهذا التأثُّر اعتاد على التّأكيد على اللّاهوت العقائدي، بخلاف الشّرق الّذي كانت مُقاربتُه للدّين تتمُّ عبر الطقوس والقصص ([1]) .

[1]) أديان العالم ، ص 374 ، و375 ، بتصرّفٍ يسير .

المبحث الثّاني : نشأة المسيحيّة :

المسيحيّةُ في الأساس دينٌ تاريخيٌّ، أي أنّها ليست ديانةً مؤسّسَةً على مبادئ ذهنيّة مُجرّدة ولكن على وقائع عينيّة ملموسة ، وحوادث تاريخيّة فعليّة ، أهمُّ تلك الحوادث حياةُ نجّارٍ يهوديٍّ ، كان – كما أُشيرَ إلى ذلك في الغالب – قد وُلِد في اِسْطبْلٍ ، ثمّ أُعْدِمَ كمجرمٍ – حاشاه طبعًا كنبيٍّ – وعُمُرُهُ 33 عامًا، لم يُسافر في حياته لأكثر من 90 ميلاً بعيدًا عن مسقط رأسه ، لم يملك شيئًا، ولم يتعلّم في مدرسة، ولم ينتظِمْ في جيشٍ ...، و التفاصيل المتعلّقة بالسّيرة الشّخصيّة لحياة يسوع ضئيلةً جدًّا، لدرجة أنّ بعض المحقّقين في أوائل القرن العشرين ذهبوا إلى حدّ اِقتراح أن لا يكون لمثل ذلك الشّخص وُجُودٌ من الأساس ، ولكنّ هذا الاِحتمال رُفِضَ فوْرًا . فمن هو يسوع الّذي بدأ دارسو العهد الجديد العودة لمعرفته ؟

وُلِدَ يسُوعُ في فلسطين أثناء حُكْمِ (هيرودوس الكبير) رُبّما سنة 4 ميلاديّة – فالحسابات الّتي يدّعون أنّه بدأ تأريخها من يوم ولادتِهِ بعيدةٌ عن الواقعِ بِعِدّةِ سنواتٍ – كَبُرَ في النّاصرة أو في مكانٍ ما من ضواحيها، عمّدهُ يوحنّا النبيّ المرْشد، وقف نفسه وكرّسها لهداية النّاس، وألهب المنطقة بإعلانه قربَ مجيءِ ديْنُونة الله ، وفي أوائل الثلاثينات من عُمُره مارس التّعليم والشّفاء لمدّة سنة إلى ثلاث سنواتٍ، تركّزت بشكلٍ أساسيٍّ في منطقة الجليل شمال فلسطين، بدأ مع مرور الوقت يتعرّضُ لعداوة بعض مُواطنيه، ولشكوك روما بشأنه، والّتي أدّت في النّهاية إلى صَلْبِه على مشارفِ أُورْشَلِيمْ (القُدس)، وقد كان متجوّلاً ذا تأثيرٍ كاريزميٍّ (أي نفوذٍ فاتنٍ وساحر)([1]) .

وقد ذكر شارل جنيفر تعارض الأناجيل ونفى عن السيّد المسيح الاعتقاد بأنّ رسالته ستتطوّر هذا التطوُّر ، قال" وتصفح الأناجيل وحده يكفي لإقناعنا بأنّ مؤلفيها قد توصّلوا إلى" تركيباتٍ " واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث ، ممّا يتحتّم معه القول بأنّهم لم يلتمسوا الحقيقة

[1]) المرجع السابق ، ص 393 ، و394 .

الواقعية ولم يستلهموا تاريخًا ثابتًا يفرض تسلسل حوادثه عليهم ، بل على العكس من ذلك : اِتّبع كلٌّ هواه وخطّته الخاصّة في تنسيق وترتيب مؤلّفه [1] ولم يعتمد أحد من مؤلّفي الأناجيل التسلسل وربط الوقائع التي تضعنا في صورة واضحة لحياة المسيح ، فما كان منهم إلا أن ربطوا بين أطراف من المرويات وشكّلوا منها سيرةً للمسيح مفتقرةٍ إلى الوحدة وهو الملاحظ في إنجيل " مُرْقُسْ " الذّي حرص على تحاشي الحديث عن مولد السيّد المسيح وطفولته .

فالمسيح عليه السّلام بدعوته هذه قام بعمليّة تجديدٍ لسلسة أنبياء بني إسرائيل التّي انفرط عِقدُها بعد الرّجوع من المنْفى والأسر البابليين، والتّي حاول أن يجدّدها من قبله أنبياءُ كثيرون منهم يحي عليه السّلام .

والمسيح عليه السّلام كذلك لم يقُل عن نفسه أنّه " ابن الله " ، لأنّ ذلك خطأٌ لغويٌّ شائع ، كذلك لا يَسمحُ لنا أي نصٍّ من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير " ابن الله " على عيسى ، فتلك لغةٌ لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيّن الّذين تأثّروا بالثّقافة اليونانية ، إنّها اللّغة التّي اِستخدمها القدّيس بولس .

وقد عَنْوَنَ " باسكال بوير " (pascal boyer) كتابه المشهور في (شرح الدّين) قائلاً : (واختلق الإنسان الآلهة) ، كما اعتبر " ل . فيورباخ " (l . feurbach) في كتابه المعنون: بـ (جوهر المسيحيّة 1814 م) : أنّ كلّ لاهوتٍ هو علمٌ إنسانيٌّ مُستتر " ([2]).

كما ينصُّ القرآن الكريم على أن عقيدة المسيح هي التوحيد الكامل[3]، والتوحيد في الذّات والصّفات، فليست ذاتُه بِمركّبة، وهي منزّهة عن مشابهة الحوادث سبحانه وتعالى فالقرآن الكريم يثبت أن عيسى ما دعا إلاّ إلى التّوحيد الكامل ، وهذا ما يقوله الله تعالى عما يكون من عيسى

[1]) المسيحيّة ، ص 28 ، و29 .

[2]) الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة للأديان ، ص 134 ، بتصرّفٍ يسير .

[3]) محاضراتٌ في النّصرانيّة ، ص 84 .

يوم القيامة من مجاوبة بينه وبين ربه ، جاء في سورة المائدة الآيات 115-117: ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للنّاس اتخذوني وأميّ إلهين من دون الله، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك إنّك أنت علاّم الغيوب ، ما قلت لهم إلاّ ما أمرتني به ، أن اُعبدوا الله ربي وربكم ، وكنتَ عليهم شهيدًا ﴾ . فهذا نصٌّ صريحٌ يفيد أنّ عيسى ما دعا إلاّ إلى الّتوحيد ، وغيرُ التّوحيد دخل إلى النّصرانية من بعده .

قد تمّ الفصلُ بين الإيمان المسيحي والمنطق التّاريخي، وبين الاعتقاد الدّيني والعقلية العلميّة، و هناك أيضًا تجزئةٌ للاعتقاد ، بين الاعتقاد العلمي والسياسي والدّيني، كما تتجزّأُ العقائد الدّينيّة عندما تتبنّى أيضًا وجود إلهٍ دون وجود عقيدة التّثليث ، أو حمل مريم البتول دون مساس ، وفي الأخير تأتي أيديولوجيا الأتباع ، لتحلّ محلّ " الأديان العلمانيّة " فيما يُسمّيه : (raymond aron) ، وأمّا الأديان السّماويّة فهي مبنيةٌ على السمُّو الإلهي ، ومنه جاء تحالف بين يقين القلب مع إرضاء العقل . ([1])

ولقد كان على أهل الإنجيل أن يحكموا بما أُنزل فيه حيث جاء في سورة المائدة الآية 47 : ﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

ولقد كانت دعوة المسيح عليه السّلام تقوم على أساس أنّه لا توسُّط بين الخالق والمخلوق ، فالأحبار والرهبان لم تكن لهم الوساطة بين الله والنّاس ، بل كلُّ مسيحيٍّ يتّصل بالله في عبادته

[1]) الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة للأديان ، ص 133 ، بتصرّف .

بنفسه من غير حاجة إلى توسُّط كان أو قسّيس أو غيرهما ، وتعرف أحكام شرعه ممّا أنزل الله على عيسى من كتاب ، وما أثر عنه من وصايا ، وما اقترنت به بعثتُه من أقوال ومواعظ [1] .

ودعوة عيسى عليه السّلام كانت تقوم على الزُّهد والأخذ بأسباب الحياة ، ويحثُّ على الإيمان باليوم الآخر ، والعكوف على الحياة الرّوحية ، وإذا كان ذلك كذلكَ فإنّ اليهود الّذين جاء المسيح مُبشّرًا بهذه الدّيانة بينهم كان يغلب عليهم النزْعاتُ الماديّةُ ، بل إنّ التّوراة التي بأيديهم خلت من ذكر اليوم الآخر .

قال الفيلسوف الفرنسي (رِينان) [2] : " الفلسفة اليهودية كان من مقتضاها السلطة الفعلية في نفس هذا العالم ، فإنه يؤخذ من أقوال شيوخهم أنّ الصّالحين يعيشون في ذاكرة الله والنّاس إلى الأبد ، وهم يقضون حياتهم قريبين من عين الله ، ويكونون معروفين عند الله ، أمّا الأشرار فلا ، هذا كان جزاء أولئك ، عقاب هؤلاء ويزيد الفرنسيون على ذلك أنّ الصّالحين ينشرون في هذه الأرض يوم القيامة ليشتركوا في ملك المسيح الذي يأتي لينقذ النّاس[3] و يصبحوا ملوك العالم وقُضاته ، وهكذا يتنعّمون بانتصارهم ، وانْخذالِ الأشرار أعدائهم ، وعلى ذلك تكون ممتلكتهم في هذا العالم نفسه ".

وعليه فقد جاء المسيح عليه السلام مبشِّرًا بالحياة الآخرة ، وأنّها أسمى ما لهذا العالم من غاية بين أولئك الذّين أنكروها ، فمن لم ينكرها بقوله أنكرها بفعله.

---

[1]) محاضراتٌ في النّصرانية ص 85 .

[2]) المرجع نفسه ، ص 85 ، و86 .

[3]) هذه هي أهمّ الرّكائز التي قامت عليها المسيحية و هي : النبوّة و التثليث و المنقذ المنتظر .

البيئة التي نشأت فيها المسيحيّة :

بعد الإشارة إلى الآثار التي طبعتها الأديان الوضعية في اليهودية أثناء احتكاكها بها ، وتصديقًا لكلام القاضي عبد الجبّار المعتزلي قال جنيفر[1] : (لسنا اليوم على معرفة تامّة بتلك البيئة التي نشأ فيها عيسى ، ولكنّنا خطونا خطوات في سبيل معرفتها ، ونلمح لها وجهين مختلفين ، بل هي تبدو مزدوجةً في تركيبها) .

فالمسيح قد ولد يهوديًّا ، ثم نشأ في بيئة يهودية استعار منها وحدها – حسب ما نعلم – عناصر ثقافته الفكرية والدّينية بيد أنّ أمة إسرائيل لم تكن قد وصلت من الانعزال عن العالم الخارجي إلى ما تستطيع به أن تتجنب تأثيرات الشعوب السريانية و الكلدانية التّي عاشت بجوارها، كما أنّها تأثّرت ولا شكّ بِصِلاتها المستمرة بالفاتحين الإغريق ، سواء منهم من جاء من ملك البطالسة بمصر أو من إمارات السلوقيّين بالشّام ، يضاف إلى هذا تأثير وفود الحجيج المتفاوتة العدد إلى القدس في المواسم والأعياد من أبناء الجالية اليونانية التي هاجرت إلى بلاد اليونان واستقرت بها كل ذلك أدى إلى تشريد بني إسرائيل بالكثير من الأفكار الخارجية ، خلال القرون الثلاثة السابقة للتاريخ المسيحي .

قال الدكتور (هيوستن سميث في أديان العالم) في : (فصل اليهوديّة) : " لقد قُدّر أنّ ثُلُث حضارتنا الغربيّة يحمل طابع أسلافنا اليهود ، يمكنُ لأحدنا أن يلاحظ قوّة هذا التّأثير في الأسماء الّتي نُعطيها لأبنائنا ...، ونجد هذا التّأثير واضحًا لدى " مايكل أنجلو " ، عندما نحت تمثاله الرّائع " داوود " ، وعندما رسم لوحة سقف " سيستين " ، وهو التأثُّر الّذي كان يحمله الشّاعر " دانتي " عندما كتب " الكوميديا الإلهيّة " ، و " ميلتون " عندما كتب " الفردوس المفقود " ، فالولايات المتّحدة تحمل في حياتها الجماعيّة بصمات لا تُمحى لميراثها اليهودي : جُملة : " بخالقهم " في إعلان الإستقلال ، وكلمات " إعلان الحريّة في كافّة أنحاء الأرض " المحفورة على جرس الحريّة ...

[1]) المسيحية ، ص30 .

إلاّ أنّ التّأثير الحقيقيَّ لليهود في الحضارة الغربيّة يكمن في الدّرجة البعيدة التي أثّر فيها الفكر اليهودي في الرُّؤى التي تبنّاها العالم الغربي تُجاه أعمق المسائل التي تطرحها الحياة ([1]) .

وهذه التصوّرات المسيحيّة مصدرها تأثيرٌ يهوديٌ واضحٌ و قلقٌ وخوفٌ مسيحيٌّ من تكرار حادثة حصار جيوش سليمان القانوني للنّمسا سنة 1529 ، وقد عالج " نورمان دانيال " موضوعات صعود الموضوعات الشّعبيّة وانعكاسها في الأدب الغربي ، وذلك في كتابه : islam and the west the making of an image)

وضرب دانيال مثلاً باتّهامات محمّد باستدعاء الوحي ليبرّر الإنغماس الجنسي ، أو أنّ محمّدًا قد قام بتكوين عقائده من العهدين القديم والجديد بناءًا على نصيحة راهبٍ آريٍّ كان قد علّمه ، وبالتّالي فإنّ ادّعاء محمّد بأنّه تلّقى وحيًا إلهيًّا هو زائف ([2]) .

وقد نبّه إدوارد سعيد في كتابيه " تغطية الإسلام " و "مسألة الإستشراق" إلى إصدار الأحكام المتسرّعة في سياقنا في " اللّعبة اللّغويّة " الفجنشتانية (نسبةً إلى فجنشتاين .م.) ([3]) .

ومن ناحية أخرى نجد – حول العالم اليهودي الفلسطيني – بيئة ثانية مشتركة ، وهذه البيئة وإن لم تؤثّر مباشرة على عيسى ، إلّا أنّها جذبت إليها أتباعه عقب موته تلك هي البيئة السورية الفينيقية..، التّي لا ترتسم معالمها اليوم بوضوح في أذهاننا وإن كانت آنئذٍ مَصبًا لروافد كثير من التيارات الفكرية والعقائدية وللخرافات والأساطير وآثار ديانات القرون الماضية إلى جانب الدّيانات المعاصرة) [(4)] .

---

[1]) أديان العالم ، ص 334 .

[2]) نيتشه و الإسلام ، ص 18 ، نقلاً عن نورمان ص 14 .

[3]) المرجع نفسه ، ص 17 .

[4]) المسيحية ، ص 31 .

وهي الدّيانات التّي نشأت في بيئة ما بين النّهرين في الشّرق التّي تتفاعل فيها التيارات النابعة من الهند وفارس و المنتهية إلى أرض بابل ، الأرض التّي تعتبر مصدرًا للكثير من الأساطير القديمة ، المنتشرة بين كل الشعوب السّامية .

فالمسيحيّة في نظر جنيفر مبنيّةٌ على قاعدةٍ يهوديّة و من عناصر متناقضة تمامًا ، والذّي يجمع بين أشتاتها الأصل الشرقي ، خاصّةً من العناصر اليونانية ، ومن الأصول المبنيّة عليها أيضًا وبقوّة العنصر اليوناني عناصر من آسيا والعراق ومصر.

وأمّا بخصوص القرآن الكريم وتعاليمه وقصصه فإنّه من حيث المحتوى والمضمون لا يشبهه أيّ نصٍّ دينيٍّ آخر ، قال (هيوستن سميث) : " فخلافًا للأوبانيشادات (كتب الهندوسيّة المقدّسة) ليس القرآن كتابًا ميتافيزيقيًّا محضًا ، كما أنّه لا يُؤسّس عقائده على أساس رواياتٍ دراماتيكيّة كما تفعل الملاحم الهندية ، ولا على أساس روايات تاريخيّة كما تفعل أسفار التوراة العبرية ، كما أنّ الله لم يظهر بشكلٍ إنسانيٍّ كما هو في الأناجيل والكتاب الهندوسي (البهاغافاد غيطا) وإذا اكتفينا بالمقارنة مع الكتب المقدّسة السّاميّة فيمكننا أن نقول أنّه إذا كان العهد القديم والعهد الجديد كتابين تاريخيين بنحوٍ مباشر وعقائديين بنحوٍ غير مباشر ، فإنّ القرآن كتابٌ عقائديٌّ بنحو مباشر وتاريخيٍّ بنحو غير مباشر ، وذلك لأنّ الاهتمام والتّركيز الأساسي لأغلب القرآن هو الإعلان على وُحْدانيّة الله ، و ذلك أنّه كليُّ القدرة ، وكُليُّ العلم ، وكُليُّ الرّحمة " ([1]) .

ولذلك فلا يُستبعد أن يكون كلُّ هذا التفصيل ، والمذكور آنفًا قد فهمه أهل الكتاب المعاصرون للإسلام ، والّذين أجروا كلّ هذه المقارنات ، وبصورةٍ ذهنيّة سريعة ، بناءًا على حفظهم وتعاملهم الدّائم مع نصوص الكتب المقدّسة السّابقة للإسلام – أي : العهدين القديم و الجديد – وفهموا كلّ تلك الفوارق والمتشابهات البادية لهم للوهلة الأولى ، و بمجرّد أن يبدأوا بإجراء أدنى المقارنات الدّينيّة .

[1]) أديان العالم ، ص 482 ، و483 .

الأصول اليهوديّة للمسيحيّة :

تنبعُ المسيحيّة أساسًا من حركةٍ يهوديّةٍ – كما سبقت الإشارة إليه – وهي تبدو أولا وعلى وجه التّخصيص كظاهرة تهم الحياة الدينية لليهود وتتميز بها البيئة الفلسطينية ، ولا يمكن تصور قيامها خارج نطاق العالم اليهودي [1] . ولقد بدأ بهذه الحركة عيسى النّاصري . ولا تعني كلمة النّاصري في غالب الظنّ (رجل الناصرة) ولكنّ " الناصر" أي " قدّيس الله " ولقد شكّك بعض المسيحيّن في وجوده [2] . و قال جنيفر أيضا : و لكنّنا متى ما أثبتنا وجوده التاريخي ، فإنّنا بذلك نضع أنفسنا مباشرة في تيهٍ من التّاريخ كلُّه ظلماتٌ وشكوك ، ولا أدلّ على ذلك من أنّ البحث الدّقيق الذّي دار في السّنوات الأخيرة على أساس من الوثائق الأصليّة ، لم يثبت سوى استحالة تصوير حياة عيسى في شيء من اليقين و التثبّت ، ويجب علينا أن ننظر إلى الكتب التي تدعي سرد سيرته على أنّها مؤلّفاتٌ تستند إلى الكثير من التحكّم والنّزعات الذّاتيّة ، ونستطيع إدراك السّبب في هذا الغموض من تخيُّل أحاسيس هؤلاء الرّجال الذّين استمعوا إلى دعوة عيسى وآمنوا بها ثم هالهم وأبأسهم تعذيبهُ وصلبهُ ، وأعلنوا بعد ذلك بعثه .

ولقد ظهر بإقليم الجليل، خلال حكم الإمبراطور: (تيبريوس)، شخصٌ يُدعى يسوع النّاصري، وصار يتحدّث ويعمل حديث وعمل الرُّسل اليهود[3] مُعلنًا قرب قيام مملكة الله وقد جمع بعض الأنصار المخلصين. ولكنّ حادثًا عنيفًا أنهى حياته فجأةً، غير أنّ عمله لم ينته بانتهائه، بل سار أتباعه على هداه، ثمّ نجده بعد فترةٍ وجيزةٍ يوضع في مكان الصدارة من مفهوم دينٍ حقيقيٍّ كاملٍ يمتدُّ إلى العالم اليوناني والرّوماني ، وينفصل في نفس الوقت عن الدّيانة اليهوديةّ.

[1]) المسيحية ، ص 25 ، و26 .

[2]) لقد كتب جنيفر كتابًا سماهُ : (مشكلة عيسى) طبع بباريس سنة 1914 .

[3]) المسيحية ، ص 22 ، و23 .

إنّ شهادة بولص وإعلانه للصليب والقيامة وحريّة وحدة الرّوح القدُس ، أثّرت بقوّةٍ على الكنيسة ، لقد انتشر عمله من العفي جزءٌ كبير من العالم المعروف في ذلك الوقت ، ولقد كان بولص هو الذّي أسّس تحت قيادته للكنيسة في أورشليم معايير للسّلوك وحّدت كلاً من المسيحيين اليهود و الأمميّن . ([1])

على عكس القدّيس بولصْ الّذي ادّعى أنّ عيسى أُوحِيَ إليه التعاليم رُوحيًّا ، وقد بدت له أكثر يقينًا وثقةً من كلّ ما كان يحكيه له صاحبه المسيح ، بطرس ويعقوب ، ومنذ الجيل الأوّل المسيحيّ تكوّنت التقاليد التي أيقن المؤمنون بأنّها التّاريخ الصّحيح لأستاذهم [(2)] ، تكوّنت من عناصر متباينة

تختلف درجات الحقيقة فيها كثيرًا ، ولم تظهر بذور الشكّ في قرب العودة المأمولة للمسيح إلاّ عندما انتهى أجل هذا الجيل الأوّل من المؤمنين ، وبانتهائه لم يعد هناك شهود مباشرين لحياة المسيح ، ثم رأى الحريصون من المسحييّن أنّه قد يكون من الصّالح أن يثبتوا بالتّدوين تلك الذّكريات التي افترضوا صحّتها في الأخبار المتواترة شِفاهًا .

وغالب الظنّ أنّه قدُ ألّفت في هذه الفترة كُتيِّبات سجّل فيها محرّروها ما رأوهُ جديرًا بالعناية من مجموعات حِكم منسوبة إلى أستاذهم ، أو حكاياتٍ عن مراحل حياته وجدوا فيها عبرة وتميّزا لشخصيّته، أو وصفًا لآياته ولم يُعن أحد بما نسمّيه اليوم بـ: "التحقيق التاريخي"، ذلك المنهج الذي يفترض الشك، والذي يتنافى مع دوافع الإيمان المطلق لدى هؤلاء الكُتّاب الذين افتقروا كل الافتقار إلى روح النّقد [(3)] موجّهين الاهتمام قدر استطاعتهم ، إلى إثبات صحّة الآمال المسيحيّة وإقناع المتردّدين ووعظ المؤمنين ، وأهم هذه الكتيّبات مجموعة الأحاديث المنسوبة إلى مَتَّى ،

[1]) المسيحيون الأوائل : إيرهارد أرنولد ، تقديم : أنطونيوس مرقس ، ص 16 ، و17 .
[2]) المرجع نفسه ، ص 27 .
[3]) المسيحية ، ص 27 ، و28 .

والرّوايات المنسوبة إلى مرقس- المصادر الأولى للأناجيل - [1] إلّا أنّ هذه الرّوايات لم تحتوي إلاّ على حيثيات متناقضة عن حياة المسيح التّي تصوّرها المسيحيون الأتباع وذلك عندما اقترب جيل الحواريين على الانتهاء ، ولذلك لا يمكن التفريق بين الجوانب التاريخيّة لشخصيّة المسيح عليه السّلام ، كما لا يمكن رسم صورة دقيقة عن مراحل حياته .

وفي المنهج النّقدي الذّي تطوّر من القرن السّابع عشر الميلادي إلى القرن العشرين ، كان الاعتقاد المسيحي يستوعب دون تمييزٍ الارتباط بشخصٍ يعتبره إلهًا ، والموافقة على كلامٍ من وحي الرّبِّ ، وتفسير الكنيسة للكلام الإلهي . ([2])

وخلاصة القول فيما يتعلّق بشخصيّته أنه يمكن التكهّن ببعض ملامحها من خلال الرّوايات الإنجيلية، بيد أنّ عيسى ترك عائلته يومًا وخرج إلى إقليم الجليل مبشّرًا وواعظًا، قال شارل جنيفر:[3] " وهكذا فإنّ النّصوص تقدّم إلينا الخبر اليقين فيما يتعلق بتفكير عيسى الخاصِّ بمبادئ رسالته وبصفات شخصيّته ، وبمدى دوره الّذي لعبه ، إلاّ أنّنا لا بدّ أن نقّر واقعًا واضحًا للعيان ، وهو أنّه لم ينجح في دعوته ، وأنّ مواطنيه من أهل فلسطين لم يصدّقوا بالرّسالة التي نسبها إلى نفسه ، ولم يسيروا على نهج الأخلاق التي أراد أن يوحي بها إليهم ، ولعلّه - وهذا أكثر ما يمكن أن يقدر له من نصيب في النجاح - قد جذب إلى دعوته بضع مئات من أهل الجليل السُذّج : فالأناجيل عندما تصف لنا جماهير الشعب وهي تقتفي خُطاه في تلهُّف ، وتنصّتٍ إلى أحاديثه في إعجاب بالغ ، هذه الأناجيل لا تُنسينا ما ترسمه صفحاتها الأخرى- في صورة لا شك أنها أقرب إلى الحقيقة- من قسوة قلوب اليهود وتعنُّتهم الشديد، والواقع أن عيسى نفسه قد يئس ، فيما يبدو من محاولة إقناعهم، وأسباب فشله واضحة للعيان " .

---

[1]) المسيحية ، ص 28 .

[2]) الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة للأديان ، ص 133 ، بتصرُّفٍ يسيرٍ جدّا .

[3]) المرجع السابق ، ص 43 .

ولذلك اعتبر علماء المسيحيّة بولس الرّسول أوّل من أنشأ مستقبلاً للمسيحيّة. وأمّا [1] : "موت عيسى في نظر الإثْنَيْ عَشَر : فهو ليس بالتّضحية التكفيريّة ،بخلاف الأمر عند بولس ، ففي عقيدته : أنّ المسيح مات من أجل خطايا البشر ، ولم يكن الإثنا عشر ليوافقوا على نعت عيسى بـ : " ابن الله " ، مكتفين بتعبير : " خادم الله " ، أمّا عند بولس فلقب : " ابن الله " لقبٌ كثير الاستعمال بالنّسبة إلى عيسى" ، ويقول أيضا : (إنّ المسيح لم ينشئ الكنيسة ولم يردها ، بل أنّنا نؤكّد أيضًا أنّ الفرض العكسي لا يمكن أن يوجد له سند تاريخي مقبول) .

ولقد اعترف النّاسك الرّوحي " هيوستن سميث " بالتّأثير الكبير والواضح لليهوديّة في المسيحيّة وفي واقع حياة المسيحيّين ، وحتّى في عالم الغرب اليوم ، وضرب لذلك أمثلةً كثيرة ولكنّه تساءل عن سرّ هذا التفوّق اليهودي و تغلغله في كلّ مناحي الحياة المسيحيّة الدّينيّة منها والدنيوية .

قال في فصل اليهوديّة ([2]) : " ..كنعان الّتي كانت أرضًا متواضعةً ورتيبةً ، يتساءل (إدمون ويلسون) في زيارةٍ قام بها للأرض المقدّسة : (هل شعّ نور هداية الأنبياء انطلاقًا من تلك التّلال الهادئة ، حيث كان كلّ شيءٍ مفتوحٌ إلى السّماء ؟) ، هل فعلاً وقعت المعارك الوحشيّة الّتي تتحدّث عنها التوراة هنا ؟ ،كم يبدو أن يكون الكتاب المقدّس (التّوراة) قد ظهر من تلك التّلال الصّغيرة الهادئة ، المنّقطة بالصّخور ، وقطعان الماشية ، تحت السّماء الشّاحبة الشّفّافة ."

وقد اعترف " سميث " أنّ التّاريخ اليهودي عند النّظر إليه من الخارج لم يكن ذا شأنٍ ولا أهميّة، بل كان باهتًا ، وأمّا من زاوية النّظر إليه من الخارج فلم يختلف عن بقيّة الشعوب الضّئيلة الشّأن، ومقارنةً حتّى بالشّعوب الصّغيرة كالبلقان وشعوب أمريكا الأصليّين اللّذين يطردون دائمًا من أراضيهم، ولكنّهم يسعون جاهدين للعودة إليها ، قال ([3]): "إذا قارنّا التاريخ اليهودي بتّاريخ

[1]) المرجع السابق ، بتصرّف يسير ، ص 12 .
[2]) أديان العالم ، ص335 ، و336 .
[3]) نفسه، ص 33 .

الإمبراطوريّة الآشوريّة ، وتاريخ الإمبراطوريّة البابليّة ، فإنّنا سنجده تاريخًا ذا دورٍ ثانوي ، إذا كان مفتاح الإنجاز الذّي حقّقه اليهود لا يكمن لا في قِدمِهم الزّمانيّ ، و لا في حجم أرضهم وتاريخهم، فأين يكمن إذًا؟؟. إنّ هذا يشكّل أحد أعظم ألغاز التّاريخ ، وقد تمّ اقتراح عدد من الأجوبة، أمّا نحن فسنتبّعُ الإجابة التاليّة : إنّ ما نقل اليهود من خمول الذِّكْرِ وضآلة الشّأن إلى العظمة الدّينيّة الدّائمة كان شغفهم **بالمغزى** .

وذكرَ المغزى في الله، والمغزى في الخلق، والمغزى في وجود الإنسان، والمغزى في التّاريخ، والمغزى في الأخلاق، والمغزى في العدالة، والمغزى في المعاناة ، **والمغزى في المسيح المخلّص**([1]) .

وقد استفاض في شرح كلِّ مغزًى وتأثيره في الحياة اليهوديّة ، وفي الشّأن المسيحيِّ أيضًا ، وهو ما ذكره بالتّفصيل في : " المغزى في المسيح المخلّص " ، الذّي هو قطب الرّحى في أيّ حديثٍ عن تأثير اليهوديّة في المسيحيّة .

[1]) أديان العالم، ص 370 .

المسيحيّة في القرون الوسطى :

قال شارل جنيفر[1]: "ولنتأمّل قليلاً في أمر مسيحيّة القرون الوسطى: كانت دينًا يبغي العالمية ويتّخذُ الحرب وسيلةً لها [2] دينًا متعصّبًا ، شديد التعصُّب ، لا يقبل- بالنّسبة إلى العالم الخارجي- أنصاف الحلول ، وتخشاه اليهود خاصّةً .

وكانت ملتقىً لعددٍ عديدٍ من العقائد التي لا يستسيغها المنطق، ومن الطقوس الدّقيقة المتشعّبة التّي حملت قدرًا وافرًا من رموز السّريّة والفعّاليّة .

وقال جنيفر أيضًا : [3] " المسيحيّة في القرون الوسطى عندما نتأمّلها ، ثمّ نقارن حالها بدين نبيِّ الجليل، ذلك النبيُّ المتواضعُ ، الرّقيق الخُلُق ، الّذي زعم أنّ رسالته هي فقط تبشيرُ إخوتهِ في الله بالنّبأ الطيّب : نبأ حلُول مملكة الله ، وحثّهم على إعداد العُدّة لها بمكارم الأخلاق ، دين عيس الذي تسامت تقواه إلى إله أجداده في تطلّعٍ نبويٍّ مُطَمْئِنْ . لا نجد رابطةً تُذكّر بين هذا وذاك ، فباسم المسيح يبدو أنّ حياة الوثنية كلّها ، سواء في ميدان الفلسفة أو الدّين ، وبكلّ ما انطوت عليه من تناقضات وفوضى ، وقد دبّت فيها الحياة من جديد، فنشطت وانتصرت على دين الرّوح والحق الذي بشّر به وعاشه الأستاذ اليهودي " .

فشارل جُنيفر يرى أنّ الغربيّن لم يفهموا العقائد المسيحيّة في العصور القديمة قطُّ ، كما لم يصلوا إلى إدراكها في العصور اللاّحقة ، وأنّ الدّيانة التي أنشئوها ، باجتهادهم الخاصّ ، كانت ديانةً مختلفة نبعت قبل كل شيء من رصيدهم الفكريِّ والرّوحي ، متمشِّيةً مع عواطفهم ، وانصبّت في قوالب تعبيريّة لا تتطابق معها تمام المطابقة في روحها ومغزاها .

[1]) المسيحيّة ، ص 189

[2]) في إشارة منه إلى الحروب الصليبية الخمسة .

[3]) المسيحية ، ص 190 .

وعليه فإنّ الغربيّين في نظر شارل جنيفر أستاذ المسيحيّة لم يكونوا قطُّ مسيحيّين في يوم من الأيام .

وأمّا فلاديمير سولوفيوف فقد كان أوّل من استذكر السّؤال المسيحي الذّي طُرح بشدّةٍ في مرحلة القرون الوسطى حول موقع الإسلام الحقيقي في عقيدة الغفران (أو الخلاص الإلهي للبشرية)، فحاول اِكتشاف الأسس التّاريخيّة الدّينيّة البعيدة لإقامة وحدةٍ روحيّةٍ بين الدّيانات الكتابيّة التّوحيديّة الثلاثة (حول اِقتراب آرائه من الأطروحات الإسلاميّة بهذا الخصوص وكذلك مقرّرات المجمّع المسكوني الفاتيكاني الثّاني) .([1]) .

[1]) الإسلام والمسيحيّة ، د. أليسكي جورافسكي ، ص95.

المبحث الثالث : نشأة الإسلام :

ظهر الإسلام في أوائل القرن السابع الميلادي (611 للميلاد) [1] ، وما هو إلاّ أن تمكّنت دعوته في سنة 622 م[2] من استنشاق نسيم الحريّة خارج مكّة ، حتى انتشرت بسرعة البرق شمالاً وجنوبًا ، وشرقًا وغربًا ، ولم يمض قرنٌ واحدٌ حتّى سَرَتْ في أقطار أوروبا الغربية (إسبانيا ، إيطاليا وفرنسا) حاملةً معها علوم الإسلام وآدابه وتشريعاته ، مُضافة إلى علوم اليونان وفلسفتهم ، ومضافًا إليها ما اكتشفه المسلمون في رِحْلاتهم من علوم الشرق وآدابه وما أفادوه هم من تجارب جديدة .

وأمّا طبيعة أصل الإسلام فإنّها تختلف عن بقيّة الأديان ، فطبيعة الإسلام تأتي تحت نوع أديان (العبادة) أو (إخلاص الطّاعة لله) ([3]) .

وفي غضون فترةٍ زمنيّةٍ ([4]) قصيرةٍ من الحياة البشريّة ، اِسْتطاع محمّدٌ من أن (يخلق من مادّةٍ غير مرجُوة النّجاح، أمّةٌ لم تتّحدْ قبل ذلك أبدًا ، وأن يُوجدَ بلدًا لم يكن إلى ذلك الوقت سوى تعبيرٍ جُغْرافيٍّ، وأن يؤسّس دينًا اِستطاع أن يُلغي اليهوديّة والمسيحيّة ويحلّ محلّهما في مناطق واسعةٍ من الأرض، ولا يزالُ يمتلك انتماءَ جُزءٍ كبيرٍ من البشريّةِ لدينه ، وأرسى أساس اِمبراطوريّةٍ ضمّت بين أطرافها ، وبسرعةٍ أبعد حدود ومقاطعات العالم المتحضر آنذاك) .

ولم يكن بدعًا من الأمر أن يكون الغرب عالةً على المسلمين في علوم الشرق ، هناك[5] هرع الناس إليهم من كلّ صوبٍ ينهلون من معارفهم، وكان اليهود أوّل الناس انتفاعًا بهذه التلمذة ،

---

[1]) وذلك بحساب مولده عليه الصلاة و السلام ، سنة 571 م ، وبزيادة 40 عامًا ، أي من مولده إلى بعثته نبيًّا .

[2]) الدّين ، ص19 ، و20 .

[3]). Encyclopidia of religious rites . rituales . and festivals . p :195 ، بتصرف يسير.

[4]) أديان العالم ، ص 478 .

[5]) الدين ، ص 20.

فأخذوا ينقلون هذه العلوم من اللّغات الإسلاميّة كالعربية مثلاً إلى العبرية ، ثمّ إلى اللاتينية...ولو أنّ روما كانت قد ورِثَت أثينا وراثةً علميّةً لاستنسخت علومها من أوّل يومٍ ، ولقرأها الناس يومئذٍ باللاّتينية أو بالإغريقيّة مباشرة ، بدل أن ينتظروا حتى يأخذوها هكذا وهي في المرحلة الرّابعة من الترجمة .

ولكنّ الأمانة التي عجزت عن أدائها الحضارتان اليونانية والرّومانية في جميع عصورهما نهضت بها حضارة الإسلام ، واستقلّت بحملها قرونًا متوالية ، من القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر أو يزيد .

وقد جعل الحكيم السّمؤل بن يحي بن عباس المغربي المتوفى عام 570 للهجرة في كتابه الشهير بذل المجهود في إفحام اليهود مبحثًا بعنوان : " إفحام أهل الكتاب وإلزامهم بالإسلام" جاء فيه بمباحثاتٍ عقليّة وإثباتات منطقيّة بصحّة نبوّة خاتم الأنبياء وبوجوب اِتّباع اليهود بتعاليم الإسلام .

قال في آخر كتابه بذل المجهود [1]: "التواتر موجودٌ لعيسى ومحمّد- عليهما الصلاة والسلام- كوجوده لموسى-عليه السلام -، وإذا كانوا قد آمنوا بموسى- عليه السلام- لشهادة التواتر بنبوته . فقد لزِمَهُم التّصديق بنبوّة المسيح والمصطفى- عليهما السلام -"، وقد جاء عنوان المبحث الذي يليه : " إلزامُهم بنبوّة عيسى والمصطفى عليهما السلام " قال فيه: (ونقولُ: تواتر الشهادات بنبوّة موسى أضعف من تواتر الشهادات بنبوّة عيسى ومحمّد- عليهما الصلاة والسلام - لأنّ شهادة المسلمين والنّصارى بنبوّة موسى ليست إلاّ بسبب أنّ كتابيْهما يشهدان له بذلك فتصديقهم بنبوّة موسى - عليه السلام- فرعٌ عن تصديقهم بكتابيهما ، وأمّا معجزات القرآن فإنّها باقيةٌ ، وإذا كانت باقيةٌ ، فتلك فضيلة زائدة لا تحتاج إلى كونها سبب الإيمان ، فأمّا من

[1]) بذل المجهود ، ص 56 .

أُعطي ذوق الفصاحة ، فإنّ إيمانَهُ بإعجاز القرآن إيمانُ مَنْ شاهَدَ المعجزات ، لا من اِعتمد على الخبر، إلاّ أنّ هذه درجةٌ لم يرسخ بها كلّ أحدٍ " [1] .

ومن وجهة النظر المقارنة في دراسة الأديان ، نجد أنّ الدّيانات الفطريّة أو البدائية ، أكثر تعبيرًا عن الله إذا كانت موحّدة ، أو الآلهة إذا كانت متعدّدة ، وأمّا القرآن الكريم فهو أكثرُ مصادر الأديان تحدثًا عن الله بعبارات التّنزيه عن التّشبيه المستعملة في بقيّة المصادر الدّينيّة الأخرى التّي دخلتها الشّروح الإنسانية ، لذلك يعد الإسلام من وجهة هذه النّظرة المقارنة أرقى الدّيانات على العموم .

إنّ الفكرة الدّينية الناضجة هي التّي لا تجعل من الألوهيّة [2] مبدأ تدبيرٍ فعّالٍ فحسب ، بل مصدر حكم وتشريع ، والقوانين الدّينية الكاملة هي التي لا تقف عند وصف الحقائق العليا النظريّة ، وإغراءِ النّفس وتقديسها ، بل تمتدُّ إلى وجوه النشاطات الاجتماعية المختلفة في حياة الفرد العملية ، فتضع لها المناهج السويّة التي يجب على الفرد والجماعة السّير عليها ، وهكذا يصل القانون الدّيني إلى بسط جناحيه على سائر القوانين المنظّمة لعلاقات الأفراد والشعوب ، حيث بجعلها جزءًا ممتدًّا لحقيقته ويصبغ كل قواعدها بصبغة القدسيّة .([3])

وكثيرًا ما ظهرت في تاريخ الشعوب نظمٌ دينيّة لا تعرض لواجب الآلهة قطُّ ، ولا تسقي تشريعها للفصائل من وحي الدّين ، بل بنات أفكار العقل المجرّد ، أو سلطان المجتمع ، أو بحسب المصالح والمنافع ، بالنّاحية الاجتماعيّة العملية ، بل قد تجعل المتديّن منعزلاً منطوياً على ذاته متأمّلاً .

---

[1]) بذل المجهود ، ص 59 ، و60 .

[2]) الدّين والبناء الاجتماعي ، ج2 ، ص69 .

[3]) وقد كشفت الأبحاث الأنثروبولوجية عن سيادة عقائد التوحيد لدى أقدم القبائل وأكثرها بدائيةً.

و لا تكاد تخلوا عناصر التديّن من حلقات الاتّصال بين الدّين والفضائل الأخرى ، ويتحقق ذلك في الجانب الإلهي من الواجبات التي تسمّى عادةً "عبادة " ، ومظهر العبادة غالبًا ما تُغمَض معالمه، وتتضاءل صُوّره، حتى يصير كلمةً تعبّر عن العجز والحِيرة في التماس طريق التوجه إلى ذلك السّر الهائل [1] .

والقصص الكثيرة الواردة في كتب التاريخ والسير التي تذكر عبادات أهل الكتاب اليهود والنّصارى ومن كانوا على الحنيفيّة الإبراهيمية أوضحُ مثال على ذلك ، مثل ما ورد عن بَحِيرَة الرّاهب، وكعب الأحبار وعبد الله بن سلاّم ، وقد ذكر ابن هشام في سيرته [2] : عن زيد بن عمرو اِبن نُفيْل وهو أحد الحُنفاء أنه كان يقول وهو مسندٌ ظهره إلى الكعبة : " اللّهم إنّي لو كنت أعلم أيُّ الوجوه أحبُّ إليك عبَدْتُّكَ به ، ولكنّي لا أعلمه " [3] .

ومن المعجزات التي تبدو ثانويةً شخصيّةُ محمّدٍ عليه السّلام ، فقد اِعتبره : (مايكل هارت) في كتابه : " المائة الأوائل " في المرتبة الأولى من أعظم مائة شخصٍ أثّرُوا في حياة البشرية .

قال هيوستن سميث : " إنّ ذلك المزيج من الإعجاب والإحترام والحُبِّ الّذي يشعر به المسلمون نحوَ مُحمّدٍ حقيقةٌ مؤثّرة ورائعةٌ من حقائق التّاريخ ، ينظُرُ إليه المسلمون كرجلٍ مارس الحياة بأوسع مجالاتها بنحوٍ اِسْتثنائيٍّ ، فلم يكن راعيًا وتاجرًا وناسكًا ومنْفيًّا وجنديًّا مُقاتلاً ومُشرّعًا ونبيًّا وكاهنًا وملكًا وصوفيًّا فحسب ، بل كان كذلك يتيمًا ، وزوجًا لسنواتٍ طويلةٍ لزوجةٍ واحدةٍ تكبُرُه بعددٍ كثيرٍ من السّنوات ، وكان في عديدٍ من الأوقات أبًا وأرملاً ، وفي النّهاية زوجًا لزوجاتٍ عديداتٍ بعضهنّ أقلَّ منه سنًّا بكثير ، في كلّ تلك الأدوار الّتي عاشها ، كان مُحمّدٌ نموذجًا مثاليًّا ، كلُّ ذلك حاضرٌ في أذهان المسلمين وهم يُضيفون إلى اسمه عندما يذكرونه عبارة :

---

[1]) بذل المجهود ، ص 58.

[2]) السيرة النبوية ، ابن هشام ، ج1 ،ص 144 .

[3]) الدّين ، ص 60 .

(صلّى الله عليه وسلّم)، ورغم ذلك لم يخلطوا بينه وبين مركزِ إيمانهم الدّيني الّذي كان محجوزًا لإنجيل الإسلام " **القرآن** " . ([1])

[1]) أديان العالم ، ص 478 .

الفصل الرّابع
القسمُ التّطبيقيُّ

﴿ تعريفُ أنثروبولوجيا الأديان كمجالٍ رمزيٍّ ، لا يُحْرزُ تقدُّمًا كبيرًا ، حيث إنّ التبادل الاقتصادي ، والسّياسي ، واللُّغوي ، مُحمّلٌ برموزٍ تُضيفُ قِيَمًا للخبرة الإنسانيّة .

وبطريقةٍ مُبسّطة ، يُمكنُ فهم المجال الدّيني من زوايا مُختلفة . ﴾

كلود ريفيير :الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة للأديان ، ص 36 .

يحتوي هذا الفصل –وهو التّطبيقيُّ– على الخلفية الثقافيّة لشخصيّة أهل الكتاب وعلاقتها بالمعتقدات، وعلى جانبٍ من تأثير الفكر الإسلامي على اليهودية والمسيحيّة المتأخرة والتّي كانت على عهد تميم الدّاري، كما استفضتُ في بيان مفهوم الشخصيّة على عكس ما تمّ اختصارهُ في الفصل التّمهيدي، كما يحتوي هذا الفصل على ترجمةٍ للحبر الأعظم تميمٌ الدّاري رضي الله عنه، وهو النّموذج موضوع التّطبيق ، وقد جعلته في أربعة مباحث وهي كالآتي :

المبحث الأوّل : الخلفية الثقافيّة لشخصيّة أهل الكتاب وعلاقتها بالمعتقدات .

وفيه أذكرُ : الخلفيّة الثقافيّة لشخصيّة أهل الكتاب وعلاقتها بالمعتقدات .

ونظريات الثّقافة .

و المفاهيم الثقافية بين الاستعارة والاستحداث والتوظيف .

المبحث الثّاني : في مفهوم الشّخصيّة .

المبحث الثّالث : في شخصيّة تميم .

المبحث الرّابع : في قصّة الجسّاسة .

المبحث الأوّل: الخلفيّة الثقافيّة لشخصيّة أهل الكتاب وعلاقتها بالمعتقدات .

بما أنّ موضوع البحث يندرج تحت ما يسمّى بعلم الإنسان الثقافي، وفي جانبه الدّيني فإنّني رأيتُ أن أضع مفهومًا للثقافة، كما يجب أن أذكر أثر الفكر اليوناني في التّوراة لأبيّن جانبًا مهمًّا من تأثير الفلسفات والأديان الوضعية في اليهوديّة ، ولا أذكر تأثير ذلك على المسيحيّة لأنّها امتدادٌ لليهودية، كما أذكرُ أثر الفكر الإسلامي في اليهوديّة وبالضّرورة في المسيحيّة التّي هي الدّين الأصلي لشخصيّة تميم الدّاري موضوع الدّراسة .

أوّلاً : نظريات الثّقافة .

ترتبط الثقافة بظهور الإنسان على وجه الأرض ، وكان لاكتشاف مفهوم" الثقافة " على يد العلاّمة تايلور، أكبر الأثر في تنظيم موضوعات هذا العلم في إطار واحد فهو المركز الذي ينتظم حوله معظم الظواهر التي ترتبط عن قريب أو بعيد بالإنسان .

التعريف المُبسّط للثّقافة : هي الكلُّ المتكامل لأنماط السّلوك المكتسبة التّي يأخذ بها معظم أفراد مجتمع معيّن [1] ويجمع هذا التعريف كلّ أنماط السّلوك المكتسبة التي يكتسبها الفرد في المجتمع والتّي تأخذ الصّفة الاجتماعية ، أي يأخذ بها معظم أعضاء المجتمع .

وتشمل الثقافة أيضًا جميع أنماط السّلوك التي تمثل علاقة الإنسان بالإنسان مثل نظم **اللّغة** والاقتصاد والعائلة والسياسة والدّين ، بحيث لا يمكن التمايز بين ما هو مادّي وما هو فكريٌ أو اجتماعي [2].

[1]) الأنثروبولوجية الثقافية مع دراسة ميدانية للجالية اللبنانية بمدينة دربون الأمريكية ، د.عاطف وصفي ، ص 27 .
[2]) المرجع نفسه ، ص 28 .

ومن مفاهيم الثّقافة أيضًا : أنّها ذلك التكيّف البيولوجي مع البيئة [1] ، وذلك أنّ الدّراسة التحليليّة للثقافة تبدأ أوّل ما تبدأ بتحليل دقيقٍ لمعالم البيئة الجغرافية .

تعريف إدوارد تايلور[2]: "هي ذلك الكلُّ المعقّد الذّي يشمل المعرفة، العقيدة، الفنّ، والقيّم الخلقية، والقانون، والأعراف، والقدرات الأخرى، والعادات التّي يكتسبها الإنسان كفرد في المجتمع".

وبأوسع معانيها فإنّ الثقافة تشير إلى كلّ أنواع الأنشطة البشريّة المكتسبة، وليست الغريزيّة، والتّي تنتقل بين الأجيال عن طريق عمليات التعلّم ، ويدخل كثيرًا في نطاق هذا المفهوم ما ينتجه نشاط الإنسان المادّي تحت عنوان : (الثقافة الماديّة) .

وموضوع الثقافة تدرسه الأنثربولوجية الثقافية ، و يختصّ علم الإنسان الثقافي بميدان واسع للغاية، تشمل أنشطة الإنسان غير البيولوجية ، وقد تشعّب إلى العديد من قنوات التخصّص، كعلم اللّغة، ودراسة الاصطباغ الثقافي ، ودراسة الشخصيّة [3] وهو أحد موضوعات هذه الأطروحة، وقد عُني الأميركيون بوجه عام بعلم الإنسان الثقافي أكثر من غيره لأنهم رأوا فيه مجالا للاهتمام ينصب بصفة خاصة على النظام الاجتماعي ، لذلك نجد أن كثيرا من الدراسات الأمريكية في الأنثربولوجية أقرب إلى علم الثقافة المقارن [4] منه إلى علم الإنسان الاجتماعي كما هو مفهوم في بريطانيا .

[1]) الأنثروبولوجية العامة ، د .قباري محمد إسماعيل ، ص509 ، منشأة المعارف ، اسكندرية ، 1971.

[2]) الدين والبناء الاجتماعي ، ج 1 ، 32 .

[3]) المرجع نفسه ، ج1 ، ص 35 .

[4]) نحو علم الإنسان الإسلامي ، د أكبر. س.أحمد ، ص 30 ، المركز القومي للعلوم الاجتماعية والإسلامية .باكستان.

والعلاقة بين الأنثربولوجية الثقافية وكل تلك العلوم لا تدهش ، إذ أنّ علماء الأنثربولوجية ينسبون لأنفسهم على الأقل شمول دراساتهم لكلّ ما يتعلق بالحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمعات التّي يدرسونها وكلّ تلك العلوم لها صلة بالنّواحي الثقافيّة للإنسان . [1]

ولأنّ دراسة العقائد والأديان والفلسفات الدينيّة ، أو اللاّهوت [2] من المباحث الثقافيّة ، بلى هي من صميم الأنثربولوجية الثّقافيّة، أمكن للباحث في الثقافة المسيحيّة أو الإسلاميّة أو اليهوديّة أن يعرض مثلاً لليهودية من عدّة جوانب [3]، فلباحث الفقه مثلا أن يعرض الشروح القانونيّة اليهوديّة ليرى ألها أثر في الفقه الإسلاميّ أم لا؟، سواء في تكوينه أو تطوره؟، وكذلك إجراء دراسات حول المصادر الشرقيّة أو الإغريقيّة القديمة صاحبة التّأثير في التفكير المسيحي أو الإسلام، وذلك إذا لاحظنا أو تأكّدنا من وجود علاقة بينها وبين الأديان السّماوية في مرحلة ما بعد الاختلاط، وهي شروح ديانات الآريين من برهمية وبوذية وزرادتشيّة ومانويّة، وحتّى شروح اليهوديّة .

ولباحث الاجتماع أن ينظر في عادات المسلمين [4] ويوازن بينها وبين العادات والتقاليد اليهوديّة ليرى أبينهما صلةٌ أم لا ؟ .

وعليه فإنّ على كلّ من يبحث في ناحيةٍ من نواحي الثقافة الدينيّة أن يستوعب في دراسته الناحيّة المشابهة والمقابلة لها في الثقافة الأخرى .

[1]) المرجع السابق ، ص 31 .
[2]) المرجع نفسه ، ص 30 .
[3]) الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ، ص 61 .
[4]) نفسه، ص 62 .

وقد عرّفها "كليفورد غيرتز " بأنّها : (نمطٌ تحوُّليٌّ تاريخيًّا من المعنى المتجسّد في الرّموز ، نظام من المفاهيم المتوارثة تعبّر عن نفسها في أشكال رمزيّة ، والتّي من خلالها يتواصل النّاس ويستمرّون ويطوّرون معرفتهم حول المواقف تُجاه الحياة) . ([1])

لذلك فمفهوم الثّقافة أوسع من مفهوم الدّين ، فالإيديولوجيّة ما هي إلاّ جانبٌ مهمٌّ وواحدٌ من جوانب الثقافة ، فالحديث عن الثقافة " الحضارة " الغربية ، أو الثقافة " الحضارة " الإسلاميّة، فنحن لا نشير إلى مجرّد الدّين ، بل إلى الدّين والفنّ واللّغة والسّياسة وغيرها . ([2])

قال محمّد البهيّ : [3] " ونحن كمؤرّخين التفكير الإلهيّ الإسلاميّ يهمُّنا أن نرى أثر الشّروح الإنسانيّة من علماء اليهود لعقيدتهم الدّينية في مسائل البحث العقلي الإسلامي حول العقيدة الإسلاميّة ، وبالأخصّ فيما يُسمّى منه بعلم الكلام..، و يهمّنا أن نحدّد أثر الشروح الإنسانيّة لا أثر النصِّ ذاتهُ (وهو الموحى به) ، لأنّ النّصوص الدّينية إن كان لها أثرٌ في الثقافة الإسلاميّة فدائرةُ أثرها في غير التّفكير الإنسانيّ الذي دار من المسلمين حول العقيدة النّصيّة الإسلامية " .

وهذا الكلام وإن كان بالجملة غير خارج عن منهج البحث العلمي في الثّقافات الدّينية وأثر بعضها في بعض ، إلاّ أنّه لا يسقُطُ على موضوع هذا البحث ، لأنّ المقصود منه هو تأثير الأديان السماوية الثلاث {اليهودية والمسيحية والإسلام } في تكوين الشّخصيّة الدّينية لمسلمة أهل الكتاب الذين إمّا كانوا يهودًا أو نصارى والواضح أنّ مُسلمة أهل الكتاب ككعب الأحبار وابن سلاّم وتميم الدّاري لم يتعرّفوا على تلك الثّقافات من خلال قراءاتهم لشروح الكتب المقدّسة ، بل أخذوا من معين تلك الكتب مباشرةً ، إذ أنّهم كانوا على اتّصالٍ مباشرٍ بنصوص التوراة والإنجيل، بل سقطت بين أيديهم النُّسخ الأصليّة غير المحرّفة ، وبالتّالي فإنهم قد تعاملوا مع النصّ لا مع

[1]) نيتشه والإسلام ، ص 24 .

[2]) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها ، بتصرّف .

[3]) الجانب الإلهي ، ص 60 .

الشرح ، وهو ما سهّل عليهم بلا شك التعاطي مع الإسلام كدين متمّم ومكمّل وغير متناقض في مبادئه الكبرى مع اليهودية و النّصرانية .

المبحث الثّاني : المفاهيم الثقافية بين الاستعارة والاستحداث والتوظيف .

لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن تتمّ الإحاطة بكل جانبٍ من جوانب هذا المبحث ، إذ أنّه يشكّل مساحةً بحيث لا تكفيه أطروحةٌ كاملةٌ ، ولكونه أحدُ مباحث هذه الأطروحة فالواجب الإشارة إلى المفاهيم الثقافية بين الاستعارة عند اليهود والمسيحيين والمسلمين وكذلك الاستحداث والتوظيف ، ولكن بشيء من الإيجاز لا التفصيل ، وأبدأ باستعارة مؤلّفي التّوراة والإنجيل وبعض فلاسفة ومفكّري الإسلام بعضًا من رواسب الفكر اليوناني القديم .

أثر الفكر اليوناني في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام : ([1]) ([2])

الذّي لا شك فيه أنّ القرآن الكريم يقف محورًا للشريعة الإسلامية كما أنّ الإنجيل هو عصب المسيحيّة ، بينما يبدو الأمر مختلفا جدًّا فيما يتّصل باليهوديّة وما يتّصل بتوراة موسى في اليهودية فهي حلقة في سلسلة طويلة جدًّا من نصوص لها عند اليهود نفس التقديس ، تشمل كتب الأنبياء الأوائل والأواخر ، وأسفار الحكمة ، ثمّ المشنا والتلمود والمدراس...، وبرغم ما يقال عند اليهود من أنّ هذه النّصوص يتّفق بعضها مع بعض ، وأنّها تُنسب بطريقة تعبّديّة ميتافيزيقيّة بحتة إلى موسى عليه السلام ، فإنّ التطوّر الفكريّ مع الزّمن ، والتأثُّر بالتيارات الرّوحية والفلسفيّة الأجنبية يبدو واضحًا فيها ، وذلك بالرّجوع مثلا إلى باب (فقرة الآباء) من الجزء الرّابع من المشنا ، حيث يبدو أثر الفكر اليوناني بحدوده وتقاسيمه ومُثُله الأخلاقية والاجتماعيّة واضحًا ، وذلك في الفقرات من 1 إلى 18 ، ومنها على سبيل المثال :

[1]) الفكر الدّيني ، ص131 ،قال هورتن في فلسفة الإسلام ص201،(المعتزلة لم يقولوا بالاختيار إلاّ بفضل المسيحية).
[2]) الجانب الإلهي ، ص 71، هامش رقم 2 .

1- أنّ موسى عليه السّلام كان قد تلقّى التوراة من سيناء ، وبلّغها ليوشع ، و يوشع للأوائل والأوائل للأنبياء ، وبلغها الأنبياء لرجال الكنيسة الكبرى ، وهم أوصوا بثلاثة أشياء فقالوا : كونوا مدقّقين في الحكم ، وأكثروا من التلاميذ ، واجعلوا سياجًا للتّوراة .[1]

2- أنا أؤمن إيمانًا كاملا بأنّ الخالق ، تبارك اِسمه ليس جسمًا ولا تحدُّه حدود الجسم ، ولا شبيه له على الإطلاق .

3- أنا أؤمن إيماناً كاملاً بأنّه هو الأوّل والآخر .

4- و أنّ كلام الأنبياء حقّ .

5- و أؤمن بأنّ نبوّة موسى كانت حقًّا ، وأنهّ كان أباً للأنبياء ومن جاء منهم قبله ، ومن جاء بعده .

6- أنا أؤمن إيمانا كاملاّ بقيامة الموتى...

وقد وصل موسى بن ميمون في هذه الأصول إلى المستوى الفكري الموازي لنتائج علم التوحيد وعلوم الكلام عند المسلمين ، فالخالق عنده له من الربوبية بحيث لم تكن عنده كما ورد في سفر التّكوين، بل وضع له شروطًا واحتياطات ، فهو وحده خلق منذ الأزل وإلى الأبد وهكذا في الألوهية وغيرها من مباحث التّوحيد ، فالوُحدانية لا شبيه لها على الإطلاق ، لا يحدُّها جسمٌ ولا حدود للجسم ، وهو أزليٌّ ، فهو يجعل الإيمان وُجدانيًّا لا عقلانيًّا ، وكما قال (إسرائيل ولفونسون) : " إنّه لم يحدث أن كان عبريٌّ له مثل هذا التّأثير بعد التّوراة والتلمود ، وأصبح دلالة الحائرين عماد الاِسترشاد لكلّ يهوديٍّ يدرس الدّين .[2]

[1]) الفكر الدّيني اليهودي ، ص 131 ، بتصرّف يسير .

[2]) الإسلام و المسيحية ، ص 42 ، هامش رقم 5 .

وبإستثناء بعض الاختلافات البارزة، تتطابق المفاهيم الأساسيّة البارزة للإسلام مع المفاهيم (اللّاهوتيّة) لليهوديّة والمسيحيّة الدّيانتين المتقدّمتين على الإسلام، فإنّ الأديان الثلاثة تشترك في أربعة مفاهيم لاهوتيّة عقائديّة هي: "الله"، و"عالم الخليقة"، و"النفس الإنسانيّة" و"يوم الحساب".

وكما هو الشّأن في كلّ الأديان التّاريخيّة ،كلّ شيءٍ في الإسلام يتمركز حول الحقيقة الدّينيّة النّهائيّة المطلقة و التّي هي : " الله " . ([1])

وهذا الأثر الفكري الدّيني الإسلامي لم يكن معروفًا على عهد التّوراة ، يوم كان الإله لا يعنيه إلاّ شعبه المختار ، ولا يُحرجه أن يكون للأمم الأخرى آلهة ، وأن يقارن بين ربّ موسى وبقيّة الأرباب كما جاء في سفر الخروج (15/11-18) وفي هذه الأصول الثلاثة عشر تأتي عقيدة تعلن أنّ كلّ كلام النبيّين حقٌّ وخاصّة نبوّة موسى –كما جاء في الأصلين السادس والسابع- ثمّ تقفز فكرةً صوفيّة إسلاميّة لها [(2)] شبيه في المسيحيّة حول صاحب الدّعوة ومؤسّس الدّين فالكثير من المتصوّفة المسلمين كالبوصيري في بُرْدته يقولون إنّ العالم كلّه قد خلق من نور محمّد صلّى الله عليه وسلم ، أمّا في المسيحية فإنّ عيسى عليه السلام قد جُعل واحدًا من الأقانيم والعناصر الأزليّة الأبديّة والثلاثة التّي تنسبه فيها إلى ربوبيّة الإله الواحد ، وهي الأب والابن والرّوح القدس ، وعيسى عليه السّلام هو الابن في الثالوث حسب اعتقاد النّصارى ، ولكنّه يبدو " مثلاً ونموذجًا أخلاقيًا " أكثر منه وجودًا إلهيًا فوق الطّبيعة ([3]) ، فعلى ضوء الفكرة الصوفيّة الإسلامية ، والفكرة اللاهوتيّة المسيحية نجد أنّ موسى بن ميمون يقول أنّ موسى كان أبًا للأنبياء من جاء منهم من قبله ومن أتى بعده أيضا ، وفي الأصل التّاسع ذكر أنّه لن تكون شريعةً أخرى غير التّي أُعطيت

[1]) أديان العالم ، ص 484 .

[2]) الفكر الدّيني اليهودي ، ص 136 .

[3]) ما المواطنة ؟ ، دومينيك شنابر و كريستيان باشولييه ، ص 272 .

لموسى ، وهو هنا يقلّد المسلمين في قولهم بأنّ محمّدًا صلى الله عليه وسلم خاتم النّبيّين والقرآن خاتم الرّسالات وفي الأصل العاشر [1] يبدو أثر عقيدة _ الأشاعرة المسلمين – .

وهي عقيدة الدّولة الأيّوبية التّي كان موسى ابن ميمون كبير أطّبائِها – واضحًا ، فقد نصّ على ضرورة الإيمان بإثبات علم الله بأعمال النّاس ونواياهم ، مقدّمًا بذلك للإيمان بالثّواب والعقاب ، في الأصل الحادي عشر ، وأمّا الأشاعرة فقد وقفوا موقفًا وسطًا حول أفعال العباد بين رأي المعتزلة الّذين قالوا بحريّة الإنسان وأنّه خالقٌ لأفعاله وينكرون القضاء والقدر ، بين غلاة السنّة والقائلين بالجبر والذّين يرون أنّ الإنسان مسّير لا مخيّر وكل ما يصدره من أعمال يأتي بإرادة الله ، وأمّا المعتزلة فقد رفضوا ذلك و رأوا أنّ القاتل والسّارق إذا فعلوا ذلك بإرادة الله فالحكم عليهم غير عادل، وتوسّط أبو الحسن الأشعري [2] فقال إنّ القضاء والقدر شيءٌ في علم الله لا في إرادته ، فالله يعلم بعلمه الكامل الذّي لا تحدُّه حدودٌ ، وبما سيفعله عباده ولكنّه لا يجبرهم ، وموسى بن ميمون أخذ بفلسفة الأشاعرة حرفيًا [3] لاسيّما في كتابه دلالة الحيارى ، وذلك بخلاف ما قاله سلفه (سعْدِيا كأوون) ، أو سعيد بن يوسف الفيّومي في كتابه : (الأمانات و الاعتقادات) ، فقد أقرّ فيه بحريّة الخلق في أفعالهم وهو رأي المعتزلة الذّين عاصرهم في بغدادَ [4] .

وأمّا الأصلان الثاني عشر ، والثالث عشر فقد شرح فيهما العقيدتان الأساسيتان وهما : المسيحانية أو الإيمان بمجئ المسيح المخلّص ، والإيمان بالقيامة وبعث الموتى في اليوم الآخر ، وهما من المعتقدات اليهودية غير الموسوية التّي انبثقت عقب تصدُّع مملكة سليمان، وذلك بعد موته مباشرة ثم انتهت بالسبيِّ البابليِّ أوّلاً ، ثمّ الشتات والتشرّد الرّوماني (الدياسبورا) ثانيًا.

[1]) الفكر الديني اليهودي ، ص 138 .

[2]) لقد فصّل المسألة في كتابه الشهير (المقالات) .

[3]) ذكر محقّق دلالة الحيارى ، أنّ أهمّ شيوخ موسى بن ميمون أشاعرةٌ ، ومنهم ابن رشد القرطبي .

[4]) الإسلام و المسيحية ، أليكسي جورافسكي ، ص 42 .

وما ذكر آنفًا من أصول موسى بن ميمون ومعتقدات سعديا الفيّومي بعيدٌ كلّ البعد عن تلك الشريعة التّوراتية البدوية البسيطة التّي لا تفلسف شيئًا أو تؤوّله .

وأمّا عن العقيدة العيسوية البسيطة غاية البسط فعندما انتقلت إلى المعابد اليهودية في بلاد اليونان حصل الانحراف والتطبيع بخصائص الفكر اليوناني ، قال شارل جنيفر : [1] " ويتضح لنا هذا الخطر إذا علمنا أنّ اليهود في بعض مناطق المهجر ، لم يكتفوا بالتطوّر الاجتماعي وفقًا للبيئة التي يعيشون فيها ، ولم يكتفوا بإعادة تنظيم عقيدتهم الدينية أو- على الأقل- تفسيرها لأنفسهم بما يتفق وثقافتهم مع صيانة جوهرها كاملا لم يكتفوا بذلك ، بل راحوا يخلطون باليهودية بعضًا من أفكار ومعتقدات المشركين الوثنييّن المحيطين بهم ، في نفس الوقت الذّي كانت فيه طوائف من المشركين الوثنييّن تعتنق الكثير من المعتقدات اليهوديّة الأساسيّة لتمازجها بأديانها المختلفة " .

وأمّا الجالية اليهوديّةُ في العراق فقد كانت في موقع تأثيرات إيران وبابل ، وهما الإقليمان اللّذان نبعت منهما مؤلّفات دينيّة بالغة الإغراب شكّلت مذاهب مختلفة الانسجام في تفسير الوجود والحياة .

ومن المؤلّفات الدّينية التّي نشأت في بلاد ما بين النّهرين واتّخذت من اليهودية مكوّنًا أساسيًا من مكوّناتها مؤلّفاتٌ حول المانداية، وهي نوع من العقائد الجامعة بين اليهودية وبين العقائد البابليّة ، أصبحت تشكّل فيما بعدُ قاعدةً أساسيّة لمعتقداتٍ دينيّة أخرى خدمت تاريخ المسيحيّة " .

كما كانت المسيحيّة الأولى في جوهرها ديانةً شرقية وتركيبها شرقيٌّ ، ساهمت فيه اليهودية بالنّصيب الأوفر ، ثمّ ساهم في إتمامها عناصر من العالم الهِيلّينِسْتِي ، شاركت فيه التأثيرات اليونانية

[1]) المسيحيّة ، ص 139 .

مع **الفلسطينية** ، ومابين النهرين وإيران ومصر- منذ عهد انتصارات الإسكندر ، كما وجد العالم الغربي نفسه مجالا خصبًا للفتح المسيحي ، وذلك بفضل فكرة الخلاص التي جاءت بها الدّيانات الشرقية مثل عبادة إيزيس ، أو ميثرا ، أو عبادة الأم الكبرى الفِرِّيجيّة ، وهذه المرحلة طبعت المسيحيّة بطابع الفكر اللاّتيني المقنِّن للمُثُل الأخلاقية الدينيّة تقنينًا حازمًا [1].

وفي القرن الخامس – عهد الانتصار- خرجت المسيحيّة عن كونها ديانةً شرقيّةً بحتةً في الكنيسة الرّومانية ، ولقد استعارت المسيحيّة مثل اليهودية فكرتيْ الخلاص والإيمان بالبعث واليوم الآخر من تطلُّعات دينيّة شرقيّة حيّة ، يُهيمن عليها التطلُّع إلى النّجاة والإيمان بأنّ الإنسان لا يمكنه تحقيق ذلك إلاّ بوسيطٍ إلهيٍّ ، و بتوسيع مفاهيم الأساطير المتوارثَة ، تلك الأساطير والعبادات التّي كانت ضيّقةً لا تحتمل كلّ ما أُضيفَ إليها من حاجاتٍ روحيّةٍ معقّدة ، وارتفعت كل ديّانة من ديّانات الخلاص [2] بمعبودها إلى مصفّ الإله الأعظم .

والمسيحيّة في الحقيقة [3] : " تمثّل أوّل المحاولات في هذا السيل، ذلك أنّ أصولها اليهوديّة أتاحت لها الاعتماد على فكرة التّوحيد..، إذ أَمَّنَتْ لها شخصيتها المستقلّة، ولم تمنعها من تطويع العبادات الأخرى لصالحها ،..أمّا المانوية فكانت تستند إلى الثنائية الكلدانية، أي أسطورة الصّراع بين النّور والظلام ، الخير والشّر ، الرّوح والمادّة ، وحيُها من إلهام النبيّ ماني، وقد استعارت عناصرها من آفاق أوسع من تلك التي تطرّقت إليها الأفلاطونية الجديدة [4]، بل المسيحية نفسها".

[1]) لقد كان تأثير المانوية قويًا جدًّا في هذه المرحلة ، لأنّها ديانةٌ تدعو إلى المذهب المتشدّد .

[2]) المرجع نفسه ، ص197 ، بتصرّف يسير جدّا .

[3]) نفسه ، ص 198 – 199.

[4]) تأسّست على فكر أفلاطون المعتمد على تعدد الآلهة الأولمب ما وراء الطبيعة المفضي إلى فكرة التوحيد الوثني الشرقي .

ولم تستطع اليهودية أو المسيحية الإِستقلال بمبادئها واستحداث طرقٍ للتفكير الدّيني، بل على العكس من ذلك فقد تشرّبت مبادئ السابقين ، وذلك بعد انهزام الإيمان الأوّل (إيمان الإثنَا عشر) .

و مع ذلك فإنّ الباحثين في تاريخ المسيحيّة واليهوديّة يلقون باللاّئمة على القدّيس بولص في تحريف مبادئ المسيحيّة والتّجنيحِ بها بعيدًا عن حدودها التّي رسمها لها الأستاذ اليهودي – المسيح عليه السلام –، قال جنيفر مشخِّصًا علّة هذا التحوّل [1]: (ويجب علينا أن لا ننسى أنّه – يقصد القدّيس بولص – لم يؤسّس شيئًا لم يأت بدين جديد، ولا حتّى بأيّ من طقوس العبادة جديد ، لم يأت إلاّ بتصّور شخصيٍّ فريد للتّقوى في إطار الدّيانة اليهوديّة) .

و من أهمّ المفاهيم الثقافية التي وُظّفت في هذا الصّدد فكرة البعث ، أو عقيدة البعث [2] ، حيث أنّ بعضهم كان في حياة عيسى يؤمن بأنّه ليس سوى يوحنّا المعمدان بُعث إلى الحياة من جديد .[3]

وعقيدة البعث هذه لها بالغة الأهميّة من النّاحية الدّينيّة ، فلولا موت المسيح المفترض والملحمي لما دخل شهيدًا في كتاب الملاحم البشرية الكبرى ، و لقد كتب القدّيس بولص إلى أهل كورينثيا : (إن لم يكن المسيح قد بعث ، فإيماننا لا سبيل له) ، وفي هذا الصّدد يصرّح جنيفر قائلاً في هذا المقام : [4] " وإنّ روايات الإنجيل التي وصلت إلينا والتّي تتعلق ببعث عيسى ، لتبدو للمؤرّخ النّاقد نوعًا من الإنشاءات التّي لا تنسجم عناصرها ، قد بُنيت على ذكريات مبهمة وتفاصيل ، ثم على حكايات قديمة من تلك التي تعوّد عليها العالم الشرقي " .

---

[1]) المرجع السابق ، ص 48 ، وقد بسّط ذلك في الصفحة رقم 39 .

[2]) في أعمال الرسل :2/32-36 قال الحواريون : (هذا المسمّى بعيسى ، لقد بعثه الله ، وإنّا جميعًا على ذلك شهداء) .

[3]) إنجيل مرقس (14/6) .

[4]) المسيحية ، ص 59 .

ويتساءل جنيفر عن إثارة مثل هذه المسألة ويرى أنّ أقوى الإحتمالات هو رؤيا رآها بطرس تلتها رؤيا جماعية ، ويرى أن هذه ظاهرة لها أمثلة أخرى في تاريخ الأديان ، فدعوة عيسى مرتبطة بوجوده بين الحواريين ، فإن هو ذهب وأقرّوا باختفائه الأبدي كان ذلك إقرارًا منهم بالتخلّي عن دعوته [1] ، وكانت النّتيجة المحتومة لهؤلاء السذّج المتحمّسين أن يرو الرؤيا ويصدّقوا بها ، وهكذا رآه بطرس ثمّ الحواريين ، واستسلموا للرُّؤيا ظنًّا منهم أنّها وحي [2] ، وإذا لم يكن بين الأموات فلا جدال – في نظر يهوديِّي هذا العصر – في أنّه قد بُعث ، و أمّا في نظر جنيفر فإنّه " لم يبعث بجسده النبيِّ و وُرِي في الأرض " ، وإنّما بُعث (بجسدٍ ما) ، ويرى أنّ أصحاب عيسى آمنوا في أول الأمر ببعث روحه إلا أنهم لم يستطيعوا أن يحافظوا على هذا المفهوم فترة طويلة ، حيث أن التفكير الشعبيّ لا يمكنه أن يتمثّل البعث إلّا في صورة العودة الكاملة للحياة ، وعلى أساس هذه العقيدة رسخت أسطورة البعث ، ونمت وتطوّرت في ربوع اليونان ، ودعامة هذه العقيدة هي تصريح الحواريّن إذ قالوا : (لقد رأيناه ، لقد بعثه الله) .

ويزيد جُنيفر أنّ النّص المنسوب لبطرس [3] يوحي بأنّ كاتبه ذو أصل يوناني وثقافة يونانية [4]

و ممّا يوضِّح أثر المجتمع اليوناني على المسيحيّة وفي توظيف مفهوم البعث يرى جنيفر أن ذلك يفترض نتيجة وخاتمة ، وهي لماذا أخرج الله عيسى من عالم الأموات ؟ ، إن لم يكن قد خصّه بدورٍ أساسيٍّ في حادث جلل ، ونجيب بأن الحادث الجلل هو حلول مملكة الله التّي وعد بها عيسى، أي أنّ الدّور المرتقب للأستاذ هو دور المسيح المرتقب ، ولا شكّ أنّ هذا من أقدر المفاهيم الثقافية على البقاء والتغلغل في عقول مسيحيِّي العالم الغربي اليوم، باسم المسيح المخلّص، وانطلاقًا من عقيدة البعث، تشنُّ الحكوماتُ الغربية حروبًا أكثر من صليبية على فقراء العالم الذين

[1]) ومحتوى الرّؤيا أدّى إلى الاقتناع بأنّه حيٌّ بروحه التّي مجّدها الله .
[2]) المرجع السّابق ، ص 50 .
[3]) من أعمال الرسل (2/32-36) .
[4]) المرجع السابق ، ص 51 .

ينتمون إلى غير العالم المسيحي ، ظنا منهم بأنها معارك جانبية لازمةً لإخراج المخلّص الذّي سيوغل في القتل لاسيّما في المسلمين في المعركة الأسطورية **أرمجدون** .

ولقد كان للفيلسوف المسيحي القدّيس أوغسطين [1] إسهامًا كبيرًا في نشر مثل هذه الأفكار فقد كتب كتابه المعروف (مدينة الله) [2] ، وحاول فيه تفسير التاريخ البشري على أنه صراع بين المدينة الأرضية الدنيوية التي دخلها الشر منذ عصيان آدم ، والمدينة السّماوية الخيّرة (مدينة الله) التّي انظم إليها أخيار البشر ، واختلطت هذه المدينة بمدينة الشيطان حتّى ظهر إبراهيم عليه السلام ، ثم تميّزت المدينة السّماوية فأصبحت في بني إسرائيل ، وذلك كلّه مهّد بظهور المسيح،

فقد وظّف القدّيس أوغسطين بشكل لا يقلّ براعةً عن الذّين ترجموا العهد الجديد ، مسألة ظهور وبعث المسيح في خدمة الملحمة الكبرى التي روّجوا لها منذ قرون مضت والتّي كانت الشّرارة الأولى لصراع الحضارات الذّي بدأ بفكرة تفوّق أحد الأديان على سائر الأديان الأخرى ، وإلصاق التهمة في مبادئ اليهودية والمسيحية اللّتان هما براءٌ من ذلك ، كما أنّ المرجّح هو الصّراع أكثر من السّلام كما في عمل هنتنغتون الذّي يقسّم العالم إلى ثلاثة أوعية حضارية : حضارة غربية ، وحضارة إسلاميّة ، وأخرى كونفوشية ، ولابدّ لها من تصارع ، هذا التصارع سينتهي في صالح الغرب اللّيبيرالي كما عمل فرانسيس فوكوياما الذّي رأى أنّ التاريخ هو سلفًا قد وصل إلى نهايته ، مع انتصار واضحٍ وحتميٍّ للحضارة الغربية .

فالعداء الغربيُّ المعاصر في نظر " تشارلز ليندهولم " ليس مجرّد نتيجةٍ للصّراع الحديث ، إنّه انعكاسٌ لألف سنةٍ بين الشّرق الأوسط المسلم و أوروبا المسيحيّة لغاية الهيمنة الإقتصاديّة

[1]) 354 – 430 م .

[2]) معجم ديانات العالم ، ج1، ص 15 .

والسياسيّة والدّينيّة على مجال نصف الكرة الغربي وما وراء ذلك ([1]) ، إنّه تنافسٌ هيمن عليه الإسلام حتّى وقتٍ قريب .

[1]) نيتشه والإسلام ، ص 17 ، نقلاً عن : well.uk.p3.
(lindholm charles .1996.the islamic middle East /an Historical Anthropology.blac

المبحث الثّـــانـــي: في مفهوم الشّخصيّة .

لدراسة الشّخصيّة أهميّة كبرى في التّحليل والفهم السوسيولوجي لأنّها تعتبر إحدى المقومات الأساسية في بناء السّلوك [1] ، ويحاول كلوكهون أن يبيّن مدى الصعوبات في تعريف الشخصية بخمس مبرّرات قال في آخرها [2] .

(إنّ الباحثين في الشّخصيّة أنفسهم هم أوّلاً وأخيرًا أفرادًا لهم شخصياتهم ولكلٍّ منها عملياتها ومميّزاتها ونقاط ضعفها وهذا كلّه ينعكس على طريقة كل منهم في النّظرة إلى الموضوع ومحاولة فهمه وحتّى تعريفه ، الأمر الذّي أدّى إلى اختلاف وجهات النّظر إلى الشّخصية كموضوع للبحث إلى تعدّد التعاريف التّي تمخّضت عنها هذه المحاولات) .

أوّلاً / تعريف الشّخصيّة :

والشخصيّة عند علماء الأنثربولوجية الثقافية هي صفحةٌ بيضاء تنطبع عليها كل سمات وفي نظريّة الشّخصيّة يعتقد العلماء أنّ كلّ شخصية تتفرّد عن أخرى أساسًا ، حيث تتحدّد في الوقت عينه مختلف الوقائع الناجمة عن مشاهدة الفروق الفردية التّي تفسح المجال لمعرفة سمات الشخصيّة ، وبناءًا على هذه النّظرة في دراسة الشخصيّة توصّل كلوكهون إلى تعميماته الخمس أو المبرّرات [3] .

وقد تكون الشّخصيّة مُرادفةً لكلمة " الإيمان " إذا تظافرت جميع مُكوّناتها على عملٍ ما، وعلى هذا المعنى عُرّف الإيمان بأنّه : " عملٌ مجموعيٌّ لكامل الشّخصيّة "([4]) .

---

[1]) المجتمع والثقافة والشّخصيّة ، د . عبد العاطي السيّد ، دار المعرفة الجامعيّة ، ص 129 ، طبعة 1999 .

[2]) المرجع نفسه ، ص 130.

[3]) الأنثروبولوجية العامّة ، ص 513 .

[4]) أديان العالم ، ص453.

وقد يصحُّ في ذلك إسقاط شخصيّة تميم – الّتي هي إيمانيّة بالدّرجة الأولى – على هذا المعنى.

وقبل التطرّق إلى هذه القضايا العامّة وجب التنبيه إلى أن تعريفات الشخصية صنفت في اتّجاهين أساسيّين :

الاتّجاه الأوّل : وهو الذّي يأخذ بالتعريف المظهري للشّخصيّة والذي يتلخّص في أنّ الشّخصية هي: محصّلة أنواع النشاط المختلفة التي يقوم بها الفرد ، أو هي النتاج النهائي لمجموعة عاداته وأنماط سلوكه التي تميّزه عن غيره .

الاتّجاه الثاني : [1] وهو الذي يركّز على جوهر الإنسان وطبيعته الداخليّة على اعتبار أنّ الإنسان مجموعة من الحالات والعمليات و التكوينات الداخلية التي لابد من افتراض وجودها حتّى يمكن فهم السّلوك الظاهري الملاحظ لدى الفرد .

وهناك اتّجاهٌ ثالثٌ يقوم على أساس التمييّز بين خمسة تعريفات أساسيّة هي :

1) تعريفات تعتبر الشخصيّة مجرّد مجموع الأجزاء أو وحدات [2] من أنواع مختلفة دون تنظيم معيّن ، مثالها: (بأنّها مجموع استعدادات تقوم عليها عادات الفرد) .

2) تعريفات تنظر إلى الشّخصيّة كمجموع أجزاء أو وحدات ولكن تضيف إليها خاصيّة التنظيم بين العناصر المختلفة ، تعرف بالتّعريفات التكاملية أو التّنظيمية ، ومنها تعريف "مكدوجال"، ونصُّه : (هناك استعدادات فطريّة في الإنسان تشكّل المادّة الأوليّة التّي تنتظم فيما بينها لتكوين خلق الفرد وشخصيته المميّزة) [3] .

[1]) المجتمع والثقافة والشخصية ، ص 131 .

[2]) المرجع نفسه ، ص 132 .

[3]) المرجع نفسه ، ص 133 ، بتصرّف يسير جدّا .

3) تعريفات تؤكّد على جانب التوافق الاجتماعي ، وهي كل ما يظهره الفرد أثناء تفاعله مع الآخرين ، مثاله : (أنّها ميول ثابتةٌ عند الفرد تنظّم عملية التوافق بينه وبين البيئة) .

4) تعريفات تؤكّد على الجوانب الكامنة في الفرد على اعتبار أنه إلى جانب الناحية الظاهرية للشخصية هناك جانب آخر كامن يعبر عن سمات كامنة في الفرد ، ومثالها : (أنّ الشّخصيّة تنظيمٌ ديناميكيٌّ يكمن بداخل الفرد ينظم كل الأجهزة النفسية والجسمية التي تطبع الفرد بطابع خاصٍّ ومميّز في التكوين مع البيئة) .

5) تعريفات تؤكّد على الطابع المميّز للشخصيّة بمعنى أنّ الشخصيّة هنا هي كل ما ينفرد به الشخص عن غيره ، فهي تقابل التميّز والفرديّة أو الإنفراد ، ومنها تعريف ماركيوس : (هي كلّ ما يفترق به الفرد في تصرفاته وسلوكه عن كل ما يحمله في ذهنه من ميول حضارية أساسيّة [1] ، على اعتبار أنّ الفرد الذّي يخلص في الالتزام بالأوضاع الحضارية في مجتمعه لن يكون له شخصيّة مميزة) .

أمّا التّعميمات الخمسة التي توصّل إليها كلوكهون فهي كالآتي :

أوّلاً : هناك محدّداتٌ عامّة تبرز سمات الشّخصية الخاصّة بين البشر ، كالبواعث والقيّم والدّوافع الاجتماعية يعرف من خلالها حدودها العامّة .

ثانيًا : أقلّ تعميمًا وهي أنّ أعضاء أيَّ مجتمع يميلون إلى أن يشاركوا بعضهم بعضًا في سماتٍ شخصيّة مشتركة أو المحدّدات المشتركة .

ثالثًا : وهذا التّعميم مرتبطٌ بالسّلوك على اعتبار أنّه يتّسم في كل زمرة ببعض المميزات الثابتة، إذ وراء كل سلوك دافع يصدر عن القيّم الاجتماعية، ويسمّيها: (كلوكهون) " محدّدات الدّور"، وهي تنظّم أنماط السّلوك وتكوّن سمات الشّخصيّة .

[1]) المرجع السابق، ص 134 .

رابعًا : وعند كلوكهون قد يختلف أفراد المجتمع الواحد وتتمايز سمات الشخصيّة على الرّغم من تشابه البواعث و الدّوافع و القيّم التي بلغت الدّور نفسه ، وسبب هذا التمايز وجود السّمات الفريدة التي تتميّز بها كلّ شخصيّة ، وتسمّى بالسّمات الفطريّة ، ولأنّها خاصّة تسمّى بالحدود الفريدة أو الأصيلة .

خامسًا : توجد بعض المشابهات بين أفراد مجتمعات متباينة ، بمعنى أنّ تركيب الشخصيّة لا يقتصر على مجرّد الاستعدادات الفطريّة البيولوجية ، وإنّما يشتمل على المؤثّرات الخاصّة التّي تعرض للفرد أثناء نمُّوه و التّي يستجيب لها بطريقته الخاصّة وهذا مجال الذّات [1].

وقد يصّح في ذلك إسقاط شخصيّة تميم – الّتي هي إيمانيّة بالدّرجة الأولى – على هذا المعنى.

وفي المبحث التّالي بيانُ سيرته ، وبكلّ ما يتعلّق بها ، من خلال عرض كلام علماء التراجم والسيّر حول منشأه ، وإسلامه بعد بيعته المشهورة ، والتّي سبقتها أحداثٌ مثيرة ساهمت في بناء شخصيّته الإيمانيّة ، وزادت في قيمة النبوّة الخاتمة لديه .

ثانيًا / سيرة تميم الدّاري :

سيرتُه الذّاتيّة :

قال القلقشندي في صبح الأعشى : (تميمٌ بن أوسٍ الدّاري ، أبو رقيّة ، وَفِدَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام التاسع أو العاشر للهجرة) ، فاستقطعه أراضي بعينها قال في نصّ الوثيقة :{ هذا كتاب ذَكَرَ ما وهب رسول الله للدّاريين إذا أعطاه الله الأرض ، وهب لهم بيت عينون وحبرون وبيت إبراهيم بمن فيهم أبدا . شهد العبّاس بن عبد المطلب وأبو بكر الصّدّيق ، وعمر بن الخطّاب ، وعثمان بن عفان ، وعليّ بن أبي طالب} ([2]) .

---

[1]) الأنثروبولوجية العامة ، ص 512 .

[2]) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج1 ، ص118 .

قال ابن سعد في طبقاته ، في باب : " تسميةُ من نزل بالشّام من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم " تحت عنوان ' وفد الدّاريين ' : (هو تميم بن أوس بن خارجة ...، وفد على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعه أخوه نُعيم بن أوس فأسلما وأقطعهما حبرى وبيت عينون ..، وصحب تميمٌ الرسول صلّى الله عليه وسلّم وغزا معه وروى عنه ، ولم يزل بالمدينة حتّى تحوّل إلى الشّام بعد قتل عثمان بن عفّان ، وكان تميم الدّاري يكنّى أبا رقيّة) . ([1])

قال محمّد بن إسماعيل البخاري : (هو أخو أبي هندٍ الدّاري ، وكذلك قال ابن سعد نقلا عن ابن لهيعة) ([2]) .

وعن المقداد بن الأسود قال : " سمعت النّبي صلّى الله عليه وسلّم يقول (لا يبقى على ظهر الأرض نحوه – يعني تميما–) ، وقال ابن سعد : "كان وفدُ الدّاريين عشرةٌ فيهم تميم " .([3])

وقال الذّهبي [4] : (تميم الدّاري [5] صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو رقيّة ، تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة ، اللّخمى ، الفِلَسطيني) .

وفي صحيح البخاري [6] من حديث ابن عبّاس ، قال : " خرج سهمي مع تميم الدّاري وعديّ بن بَدَّاء ، فمات بأرضِ كفرٍ ، فقدما بتركته ، ففقدوا جامًا من فضّة ، فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وجدوا الجامَّ بمكّة ، فقيل : اشتريناه من تميم وعديٍّ فقام رجلان من أولياء السّهمي ، فحلفا : لشهادتنا أحق من شهادتهما ، وأنّ الجامَّ لصاحبهم ، وفيهم نزلت آية: ﴿ شهادةُ بينِكُمُ إذا حضر أحدكمُ الموتُ ﴾ " المائدة جزء من آية 105.

---

[1]) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ج7 ، ص 408-409 ، وج 7، ص422 ، وج 1، ص 343-344 .

[2]) التاريخ الكبير ، المجلد 2 ، القسم 2 ، الجزء 1 ، ص 150 -151 ، وطبقات ابن سعد ، ج7 ،ص422 .

[3]) الطبقات الكبرى ، ج7 ،ص 408 -409 ، والقصّة بتمامها في الجزء الأول ، الصفحات : 343 -344 .

[4]) سير أعلام النبلاء ، ج2 ، ص 442 -448 .

[5]) وقد نسبه السيوطي في لبّ اللّباب ج 1، 153 ، إلى الدار بن هانئ ، وإلى عبد الدار بن قصي ، والأكثر عبدريٌّ .

[6]) ج 5 ، ص308 ، ، باب قول الله عز وجلّ { يا أيّها الذّين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت } .

قال قتادة : (ومن عنده علم الكتاب) الرعد 45 ، هم : سلمان ، وابن سلاّم ، وتميم الدّاري [1] .

وقد ذكر ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (499 هـ-571 هـ) [2] ، أنّ قصّة إناء الفضّة المموّه بالذّهب – الجامَّ – خاصٌّ بِبُديل بن أبي مارية مولى العاص بن وائل السّهمي وقد ذكر القصّة بتمامها ، وفيها إسلام تميم الدّاري بتمامها .

و فيها أيضًا ذكرُ قصّة ذهابه إلى راهبٍ بديرٍ يسمّى ديْرَ أيّوب سائلاً إيّاه عن النبوّة الخاتمة وذلك قُبيل إسلامه .

قال ابن كثير في التفسير : ([3]) (الصّحيح في هذا أنّ قوله { ومن عنده علم الكتاب} ، من عندهُ اِسمُ جنسٍ يشمل علماء أهل الكتاب الذّين يجدون صفة محمّد صلّى الله عليه وسلّم ونعته في كتبهم المتقدّمة من بشارات الأنبياء له) .

كتاب الإنطاء :

و المذكور فيه ما روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أقطع تميماً الدّاري أرضاً بالشّام وكتب له بها كتاباً ، عُرف فيما يعدُ بكتاب الإنطاء ، أو ما يُعرف اليوم ب " عقد التّمليك " .

فقد ذكر الحافظ ابن عساكر في موسوعته " تاريخ دمشق " روايات فيها طُرُقٌ مختلفة ، فقد روى بسنده إلى زياد بن فائد عن أبيه فائد عن زياد بن أبي هند عن أبي هندٍ الدّاري أنّه قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّة ونحن ستّة نفر: تميم بن أوس ، ونعيم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قيس ، وأبو هندٍ بن عبد الله وهو صاحب الحديث ، و أخوه الطيّب بن عبد الله وكان اسمه بُرًّا ، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ، وفاكه بن النّعمان ، فأسلمنا

[1]) أخرجه الطبري في تفسيره ، ج13 ، ص1177 ، دار الفكر ، بيروت ، طبعة 1399هـ -1978 م .
[2]) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، ج5 ،ص316- 318
[3]) ج 2 ، ص521 ، وعمدة التفاسير لأحمد شاكر ،ج2 ،ص 334 -335 ، دار الوفاء ، ،ط 1، 2003 .

وسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُقطعنا أرضاً من أرض الشّام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " سلوا حيث شئتم " ؟ ،

فقال تميمٌ : أرى أن نسأله بيت المقدس وكُوَرَها فقال أبو هند : " هذا محلُّ ملك العجم ، وكذلك يكون فيها ملك العرب ، وأخاف أن لا يتمّ لنا هذا فقال تميم : فنسأله بيت جبرين وكورتها فقال أبو هند : هذا أكبر وأكبر .

فقال : فأين ترى أن نسأله ؟ ، فقال : أرى أن نسأله القرى التي تقع فيها تلٌّ مع آثار إبراهيم فقال تميم: أصبت ووفّقت ، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم: " أتحبّ أن تخبرني بما كنتم فيه ؟ أو أخبرك ؟ " فقال تميم : بل تخبرنا يا رسول الله نزداد إيماناً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أردتم أمراً فأراد هذا غيره " ونعم الرّأيُ رأي تميم ، قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطعة جلد من أَدَمْ فكتب لنا فيها كتاباً نُسخته : بسم الله الرحمن الرحيم : " هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمّد رسول الله للدّاريين إذا أعطاه الله الأرض ، وهب لهم بيت عينون . وحبرون . و المرطوم . وبيت إبراهيم بمن فيهن لهم أبداً " . شهد عبّاس بن عبد المطّلب وجهم بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب .

قال : ثم دخل بالكتاب إلى منزله فعالج في زاوية الرّقعة وغشّاه بشيء لا يعرف وعقده من خارج الرّقعة بسير عُقدتين ، وخرج إلينا به مطويّاً وهو يقول :{ إنّ أولى الناس بإبراهيم للّذين اتبعوه وهذا النبيّ والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين } ، ثم قال : انصرفوا حتّى تسمعوا بي قد هاجرت، قال أبو هندٍ: فانصرفنا .

فلمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قدمنا عليه فسألناه أن يجدّد لنا كتاباً فكتب لنا كتاباً نسخته :" بسم الله الرّحمن الرحيم : هذا ما أنطى محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم الدّاري وأصحابه إنّي أنْطيتكم عينون و حبرون والرطوم و بيت إبراهيم برمّتهم وجميع

ما فيهم نطيّة بتٍّ و نفّذتُ و سلّمتُ ذلك لهم و لأعقابهم من بعدهم أبدا الأبد فمن آذاهم فيها آذاه الله " .

شهد أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وكتب .

فلمّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووليَ أبو بكر وجَّه الجنود إلى الشام فكتب لنا كتاباً نسخته : " بسم الله الحمن الرحيم : ومن أبي بكر الصديق إلى عبيدة بن الجراح سلامً عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو أمّا بعد : اِمنع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من الفساد في قرى الدّاريين وإن كان أهلها قد جُلُوا عنها وأراد الدّاريون أن يزرعوها فليزرعوها فإذا رجع أهلها إليها فهي لهم وأحق بهم والسلام عليك " .

وروى بسنده أيضاً إلى الزهري وثور بن يزيد عن راشد بن سعد قالا : قام تميم الدّاري ، و هو تميم بن أوس رجلٌ من لخم فقال : يا رسول الله إنّ لي جيرةً من الرّوم بفلسطين لهم قريةً يقال لها حبرى وأخرى يقال لها بيت عينون ، فإن الله فتح عليك الشّام فهبهما لي ، قال: هما لك ، قال: فاكتب لي بذلك فكتب له : بسم الله الرحمن الرحيم : " هذا كتاب من محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلم لتميم بن أوس الدّاري أنّ له قرية حبرى و بيت عينون قريتها كلّها سهلها وجبلها وماءها و حرّثُها و أنباطها وبقرها ولعقبه من بعده لا يُحاقه فيها أحدٌ و لا يلجه عليهم أحد بظلم فمن ظلمهم أو أخذ من أحد منهم شيئاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " وكتب عليٌّ .

فلمّا وليَ أبو بكر كتب لهم كتاباً نسخته : " هذا كتاب من أبي بكر أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذّي اُستخلف في الأرض بعده كتبه للدّاريين: أن لا تُفْسَدَ عليهم مأْثَرتُهم قرية حبرى و بيت عينون فمن كان يسمع ويطيع فلا يفسد منها شيئاً وليقم عمرو بن العاص عليهما فليمنعهما من المفسدين " .

وروى ابن مندة بسنده إلى عمرو بن حزم رضي الله عنه أنّه قال : أقطع النّبي صلى الله عليه وسلم تميماً الدّاري وكتب : بسم الله الرّحمن الرحيم : " هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الدّاري : إنّ له صُهيون قريتُها كلّها سهلها و جبلها و ماؤها وكرومها و أنباطها وورقها ولعقِبه من بعده لا يُحاقّه فيها أحد ولا يدخل عليه بظلم فمن أراد ظلمهم أو أخذه منهم فإنّ عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " ([1]) .

وقد أقام تميمٌ الدّاري بصحبة النبي صلّى الله عليه وسلم في المدينة المنوّرة وغزا معه الغزوات ، وقد شارك في عملية الجمع الأولى للقران الكريم وهو مكتوب على الرقاع، وقد كان أيضا حافظا للقرآن الكريم ومواظبا على قرائته ، وكان يكثر ويطيل قراءة القرآن في الصلاة حيث أنّه كان يختم القرآن في ركعة ، وكان كثير التهجّد ، و قد قام ليلةً بآية حتّى أصبح ، وهي قوله تعالى: ﴿ أم حَسِبَ الذّين اجترحوا السّيئات ﴾ سورة الجاثية آية 20 ، وقد تشّرف الصحابي تميم الدّاري بملازمة النبيّ عليه الصّلاة و السلام ، وقد سمع منه أحاديث كثيرة فحفظها ورواها ، وهو من الرواة الثقات عند علماء الحديث ، وقد روى عنه عبد الله بن عباس ، وأبو هريرة ، وأنس بن مالك ، وغيرهم ، خرّج له مسلمٌ في صحيحه و أبو داوود و ابن ماجه و الترمذي والنسائي ، وذكر الإمام الطبراني في المعجم الكبير في الجزء الثاني منه جميع الأحاديث التّي تسند إلى تميم الداري وعددها تسعةٌ وعشرون حديثًا .

وما زال القيدُ المتعلّق بها موجودًا في دائرة الأرشيف العثماني إلى اليوم بين دفّتيّ الدّفتر رقم 522 ، المؤرّخ عام 980 للهجرة ، الموافق 1572 ميلادي في عهد سليمان القانوني ، وهذا

[1]) صبح الأعشى ، ج1 ، ص 118 – 122 .

نصّه :

(وقف سيّد المرسلين وحبيب ربّ العالمين ، سيّد العرب و العجم إمام المكّة والحرم ، محمّد بن عبد الله بن عبد المطلّب بن هاشم بن عبد مناف عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيّات، على تميم الدّاري الأنصاري رضي الله عنه و أولاده و أولادهم و ذريّتهم و أنسابهم و أعقابهم بمُوجب الإنْطاي الشّريف وبموجب دفتر أوقاف علي بِكْ .

قرية بيت عينون تابع خليل الرّحمان تمامًا .

أرض مدينة خليل الرّحمان تعرفُ بحبرون ، وصرا ، وبيت إبراهيم تمامًا .

مزرعة مرطون الآن تعرف (بالرّامة) تابع خليل الرّحمان تمامًا .

دكاكين في سوق مدينة خليل الرّحمان – أو الخليل – تعرف بوقف أرض تميم في أرض عليه الآن 65 بابًا ([1]) .

مناقبه :

قال الذّهبي : ([2]) : " وروى قُرّة ، عن ابن سيرين ، فقال : جَمع القرآن على عهد رسول الله أُبيّ ، وعثمان ، وزيد ، وتميم الدّاري " .

[1]) دفتر طابو رقم 522 (ص 166) . الأرشيف العثماني .

وقف نبوي في فلسطين : أحمد آق كوندوز ، الأجوبة لأحمد الحموي ، مخطوطة رقم 1522 ، ص 129 ، مكتبة السّليمانية، أسعد أفندي موقع : الجمعية الدّولية للمترجمين واللّغويين العرب ، ترجمة : عامر الهنيني .

[2]) سير أعلام النّبلاء ، ج 2 ، ص 445 .

وقال ابن منظور ([1]) : " قال خارجة بن مصعب : ختم القرآن في الكعبة أربعة من الأئمة : عثمان بن عفان ، وتميم الدّاري ، وسعيد بن جبير ، وأبو حنيفة " .

وممّن ترجم له ووصفه بصاحب رسول الله الحافظ المزّي في تهذيب الكمال [2] قال : (أبو رقيّة الدّاري ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم..، و هو أخو أبي هند الدّاري بُرّ بن عبد الله لأمّه ، و النّسب لأبي هند .)

وقبله ابن أبي حاتم الرّازي في مؤلّفه الكبير : " الجرح والتعديل " [3] قال في باب التاء ، باب تسمية من روى عنه العلم ممّن اسمه تميم : (تميم بن أوس الداري أبو رقيّة الشّامي له صحبة ، روى عنه عبد الله بن موهب وسُليم بن عامر وشرحبيل بن مسلم...) .

ومن أعظم مناقبه رواية النّبي عليه الصّلاة والسّلام عنه رواية الجسّاسة ، قال الحافظ المزّي[4]: (وروى عنه النّبي صلّى الله عليه وسلم حديث الجسّاسة ، وهو منقبةٌ شريفةٌ جدًّا ، ويدخل ذلك في رواية الأكابر و الأصاغر) .

وقد أضاف الطبراني في المعجم الكبير [5] زيادةً مهمّة في ترجمته قال : في فصل (ما أَسند تميمٌ الدّاري) من رقم 1252 إلى 1281 أي : خمسًا وثلاثين رواية ، أورد قصّة الجسّاسة فيها برقم 1270.

وذلك بخلاف أحمد في مسنده [6] فقد روى له ثمانية عشر حديثاً فقط .

---

[1]) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، ج 5 ، ص 319 .

[2]) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ج4 ، ص 326 .

[3]) الجرح و التعديل ،ابن أبي حاتم الرّازي ، ج2 ، ص 440 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت.ط .

[4]) تهذيب الكمال ، ج2 ،ص 326 .

[5]) المعجم الكبير ، الطبراني ، ج2 ، ص 49-59 .

[6]) المسند ، أحمد بن حنبل ، ج 4 ،ص 102-103 ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.ط .

وممّن أثبت له الصّحبة ابن حبّان في كتابه الكبير : (الثّقات) [1] وقال : تميم بن أوس خارجة بن سواد بن جذيمة ابن ذارع بن عدي بن الدّار بن هاني بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عدي بن عمرو بن سبأ بن يعرب بن يشجب بن قحطان بن عمير بن أرفخشذ بن سام بن نوح [2] أي بينه وبين نوحٍ عليه السّلام إحدى وعشرين جدًّا ، بينما زاد المزّي في تهذيب الكمال [3] ثلاثة وعشرين جدا ، وذلك بإضافة مرة بن أُدَدْ بن يجشب ، و عريب بن كهلان بن سبأ [4] .

وأمّا أبو هند الدّاري فهو أخوه وابن عمّه في الوقت نفسه ، وقد صرّح بذلك غير واحدٍ من النسّابة وعلماء الرّواة والطبقات ، ولعلّهم اختلفوا في التّفريق بين : أهو ابن عمه أو أخوه ؟ ، ومنهم من أنكر ذلك ، إلاّ أنّ المعتمد في ذلك قولٌ لأحدِ أقوى علماء الجرح والتعديل والرّواة والأنساب ، وهو أبو زكريا يحي بن معين من شيوخ البخاري [5] في تاريخه الشهير والنّادر ، برواية أبي الفضل العبّاس بن محمّد بن حاتم الدُّوري عنه قال : سمعت يحي يقول : (أبو هند الداري أخو تميم) ، وفي موضع آخر [6] قال : سمعت يحي يقول : (تميم الدّاري أبو رقيّة) ، وقد وضع له ترجمةً في : " الكُنى " (30/1) ، والحاكم في كُناه (169/1) ، وقال الحاكم : أنكر خليفة بن خيّاط أن يكون أخاه، وأخرج له نسبةً أخرى على حِدَى ، قال ابن حجر : (ولكن قال ابن حبان :هو أخوه لأمّه) ([7]) وقال ابن عبد البّر الأندلسيّ : (هو ابن عم تميم الدّاري وليس بأخيه بأخيه شقيقه، ولكنّه أخوه لأمّه وابنُ عمّه)، [8] وهو قول أبو نعيم الأصبهاني أيضًا ، وهو رأيُ

---

[1]) الثّقات ، ابن حبّان ، ج3 ، ص39-40، دائرة المعارف ، الهند ، مؤسسة الكتب الثقافية ، د.ت.ط .

[2]) المرجع نفسه ، ج3 ، ص 326 ، تحت رقم : 800 .

[3]) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[4]) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ابن الأثير ،ج1 ، ص247-248 ، قال : وكذا نسبه أبو نعيم و ابن منده .

[5]) التاريخ ، يحي بن معين ،ج1،ص3 .

[6]) المرجع نفسه ، ج1 ، ص 8.وكذلك قال البخاري في تاريخه ج1، قسم 2 ،ص 151.

[7]) الأصابة في معرفة الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، ج 1،ص 368 .

[8]) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ،ابن عبد البر ، ج1 ، ص 270 .

الحافظ المزّي في تهذيب الكمال أيضًا ، حيث قال في (326/4) : (وهو أخو أبي هند الدّاري برُّ بن عبد الله لأمّه ، والنّسب لأبي هندٍ) ، وهند بنت عتبة هي صاحبة الإنشاد الشهير عقب بدر :

ويْهــا بني عبد الدّار ويْهــا حُماة الدّيار

ضربًا بكلّ بتّــار

وكان حماس هندٍ زوجُ أبي سفيان لخوض الحرب لما كان لقبيلتها من شأنٍ في حروب قريش .

قال العماد طلاس [1] في غزوة أُحُد : (كان النّظام القبلي المتعارف عليه في الحرب بين قبائل قريش ، أن يكون حملةُ اللّواء دائمًا من بني عبد الدّار ، كما تكون قيادة الجيش في بني أميّة ، وقيادة الخيل في بني مخزومٍ) .

ولم يولد لتميم الدّاري سوى رقيّة ، قال ابن عبد البرّ[2] : (ولم يولد له غيرها ، وكان نصرانيًا ، ، وكان إسلامه في سنة تسع من الهجرة...، وروى الشعبي عن فاطمة بنت قيس أنّها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الدّجال في خُطبته ، وقال فيها : حدّثني تميم الدّاري [3] وذكر الجَسّاسة " الجسّاسة " وقصّة الدّجال ، وهذا أولى ممّا يخرّجُه المحدّثون في رواية الكبار عن الصّغار .

[1]) العماد طلاس ، رسالة الإسلام ، ص 163 ، دار الشورى ، بيروت ، ط1 ، د.ت.ط .

[2]) الاستيعاب ، ابن عبد البرّ ، ج 1 ، ص 270 ، وأسد الغابة لابن الأثير، ج1 ، ص 237 ، رقم 515 .

[3]) لم يذكره ابن حمزة الحُسيني في (الإكمال في ذكر من له رواية في مسند أحمد سوى من ذُكر في تهذيب الكمال) .

وصفُ عبادته :

قال الذّهبي [1] : (وروى أبو قلابة ، عن أبي المهلّب : " كان تميمٌ يختم القرآن في سبعٍ "[2].

وروى عاصم الأحول ، عن ابن سيرين ، أنّ تميمًا كان يقرأ القرآن في ركعة ، و أورد الحافظ ابن حجر الرّواية نفسها عن ابن سيرين ، وروى أبو الضُّحى ، عن مسروق : قال لي رجل من أهل مكّة : هذا مقام أخيك تميم الدّاري : صلَّى ليلةً حتّى أصبح أو كاد ، يقرأ آيةً يردّدها ، ويبكي

﴿ أم حسب الذّين اجترحوا السّيئات أن نجعلهم كالذّين آمنوا وعملوا الصّالحات ﴾ الجاثية 20 [3] ، ذكره الطبراني وقال : رجالُ إسناده ثقات ، وقال أبو نُباتة يونس بن يحي ، عن المنكدر بن محمّد ، عن أبيه : أنّ تميمًا الداري نام ليلةً لم يقم يتهجّد ، فقام سنةً لم ينم فيها ، عقوبة للّذي صنع .

وقال الذّهبي أيضًا في كتابه : " الكاشف " [4] برقم (6/679) : (تميم بن أوس الدّاري الصّحابي...، كان صاحب ليلٍ و تلاوة ، قال أنس: اشترى حُلّةً بألفٍ ليخرج فيها إلى الصّلاة، قال السّائب بن يزيد: هو أوّل من قصّ بإذن عمر) .

وقال ابن مَنْجُوَيه [1] (كان يختم القرآن في ركعةٍ وربما رتّل الآية الواحدة اللّيل كلّه إلى الصباح).

---

[1]) سيّر أعلام النّبلاء ، ج2 ، ص445 .

[2]) إسنادهُ صحيح ، تهذيب التّهذيب ، ابن حجر ، ج1 ، ص258 -259 ، دار المعرفة ،1987 .

[3]) أُسْد الغابة لابن الأثير، ج1 ،ص 278 ، جامع المسانيد لابن كثير ،ج2،ص389 .

[4]) الكاشف ، الذّهبي ، ج1،ص 167 -168 .

وقال الذّهبي في السيّر (446/2) : وعن سعيد الجريري ، عن أبي العلاء ، عن رجلٍ قال: أتيت تميمًا الدّاري ، فحدّثنا فقلت : كم جزاؤك ؟ قال : لعلّك من الذّين يقرأ أحدهم القرآن ثمّ يصبح ، فيقول : قد قرأت القرآن هذه اللّيلة ، فوالذّي نفسي بيده لأن أصلّي ثلاث ركعاتٍ نافلةً أحبّ إليّ من أن أقرأ القرآن في ليلة ، ثم أصبحُ فأخبر به ، فلمّا أغضبني ، قلت والله إنّكم معاشر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، من بقي منكم لجديرٌ أن تسكتوا ، فلا تعلموا وأن تعنّفوا من سألكم فلما رآني قد غضبت لان وقال : ألا أحدثك يا ابن أخي ؟ أرأيتَ إن كنتُ أنا مؤمنًا قويًّا ، وأنت مؤمنٌ ضعيف ، فتحملُ قوّتي على ضعفك ، فلا تستطيع ، فتَنْبَتُّ : أو رأيت إن كنتَ أنت مؤمنًا قويًّا ، وأنا مؤمنٌ ضعيف حين أحملُ قوّتك على ضعفي ، فلا تستطيع ، فأنبتُّ* ولكن خذ من نفسك لدينك، ومن دينك لنفسك، حتّى يستقيم لك الأمر على عبادةٍ تُطيقها[2].

وقد وصفه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه بخير المؤمنين ، قال الذّهبي : [3] عن حمّاد بن سلمة عن الجريري ، عن أبي العلاء ، عن معاوية بن حرمل [4] ، قال : قدمتُ المدينة فلبثت في المسجد ثلاثًا لا أطعمُ ، فأتيت عمر، فقلت تائبٌ من قبل أن تقدر عليه : قال : من أنت ؟ قلت: معاوية بن حرمل ، قال : اذهب إلى خير المؤمنين ، فانزل عليه ، وقال قتادة عن ابن سيرين، وقتادة أيضا عن أنس أنّ تميمًا الدّاري اشترى رداءاً بألف درهم ، يخرج فيه إلى الصّلاة[5].

وقال قتادة أيضًا [6] : " كان من علماء أهل الكتابين " – أي اليهوديّة والنّصرانيّة – .

---

[1]) رجال صحيح مسلم ، أبو بكر بن منجُويْه ، باب التّاء ، رقم 179 .

[2]) تهذيب ابن عساكر،ج3 ، ص 359 ، والذّهبي، تاريخ الإسلام ، ج 2 ، ص189 .

[3]) السيّر ، ج2 ، ص 446، والمنبتُّ من لا رأي له ولا قرار .

[4]) قال ابن حجر في الإصابة ج10،ص35 : كان صهر مُسيلمة له إدراكٌ وكان معه في الرّدّة ثمّ قدِمَ على عمر تائبًا .

[5]) أخرجه الطبراني برقم: 1248 ، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصّحيح ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، د.ت.ط .

[6]) تهذيب التّهذيب ، ج1 ، ص 258 -259 .

وقال ابن حجر[1] : قال مسروق : قال لي رجل : قام بآية حتّى أصبح ، رواه النّسائي ، وجاء من وجوه عديدة أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أقطعه بيت حبرون ، وهو أوّل من أسرج السّراج في المسجد – أي المسجد الحرام – ، رواه ابن ماجه ، وروى حمّاد ، عن ثابت : أنّ تميمًا أخذ حُلّةً بألف يلبسها في اللّيلة التّي تُرجي فيها ليلة القدر[2] .

و روي الزّهري عن السّائب بن يزيد ، قال : أوّل من قصَّ تميمٌ الداري ، استأذن عمر ، فأذن له، فقصّ قائمًا ، وروى أسامة بن يزيد ، عن الزّهري ، عن حميد بن عبد الرّحمان : أنّ تميمًا استأذن عمر في القصص سنين ، ويأبى عليه ، فلمّا أكثر عليه ، قال : ما تقول ؟ قال : أقرأ عليهم القرآن ، وآمرهم بالخير ، وأنهاهم عن الشّر ، قال عمر: ذاك الرّبح ، ثم قال : عِظْ قبل أن أخرج للجمعة [3].

فكان يفعل ذلك ، فلمّا كان عثمان ، استزاده ، فزاده يومًا آخر[4].

وأخرج أبو زرعة عن الزُّهري عن السّائب بن يزيد ، أنّه لم يكن يُقَصُّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، ولا أبي بكر ، وكان أوّل من قّص تميمُ الدّاري ، استأذن عمر بن الخطّاب لأن يقُصّ على النّاس قائمًا ، فأذن له عمر.

وعن خالد بن عبد الله ، عن بيان ، عن وبرة قال [5] : رأى عمرُ تميمَ الدّاري يصلّي بعد العصر، فضربه بدرّته على رأسه ، فقال له تميم : يا عمر ، تضربني على صلاةٍ صلّيتها مع رسول الله عليه وسلم ! قال : يا تميم : ليس كّل النّاس يعلم ما تعلم [6] .

---

[1]) المرجع السابق ، ج1، ص258-259.

[2]) سيّر أعلام النّبلاء ، ج2 ، ص 447 ، وتهذيب ابن عساكر ، ج3 ، ص 360 .

[3]) المرجع السابق ، ج2 ، ص 447 .

[4]) تهذيب ابن عساكر ، ج3 ، ص 360 ، والطبراني ، تحت رقم 1249 .

[5]) السيّر ، ج2 ، ص 448 .

[6]) أخرجه الطبراني ، برقم :1281 .

وأخرج ابن ماجه بإسناد ضعيف ، عن أبي سعيد قال : أوّلُ من أسْرج في المساجد تميمٌ الدّاري[1].

فاته :

قال الذّهبي في السيّر [2] : (يقال وُجد على بلاطة قبر تميم الدّاري ، مات سنة أربعين ، وحديثه يبلغ ثمانية عشر حديثًا ، منها في صحيح مسلم حديث واحد) وهو الجسّاسة (برقم 2942) ، وقال ابن حجر في كتابه : (تحرير تقريب التهذيب) [3] " قال يعقوب بن سفيان لم يكن له ذَكَرْ- أي ولدٌ ذكر - ، إنّما كانت له ابنةٌ تسمّى رقيّة ، وقال ابن سُميع : مات بالشام ، ولا عقب له " .

قال ابن مَنْجُويه [4] : وقبره ببيت جبرين من بلاد فلسطين ، وقد توفي ببيت جبرين كما قال عزّ الدّين ابن الأثير [5].

وبيت جبرين اليوم من أعمال الخليل بالضّفّة الغربيّة احتلتها العصابات الصّهونية عام 1948 وهجّرت أهلها [6] .

---

[1]) السيّر للذّهبي ، ج 2 ، ص 418 ، والكاشف له أيضًا ،ج 1،ص 168 ،برقم : 679 .

[2]) المراجع السابقة، والصفحات نفسها .

[3]) تحرير تقريب التهذيب، ابن حجر ،ج1،ص192،برقم 799 ، دار المعرفة ،بيروت،ط1 ، 1997 .

[4]) رجال صحيح مسلم، لابن منجُويْه ، برقم 179 .

[5]) اللّباب في تهذيب الأنساب ، ابن الأثير ، ج 1،ص484 -485 ، دار صادر ،بيروت ،1980 .

[6]) قناة الجزيرة القطرية ، الجمعة 30 جانفي ، 2009 ، حصّة عن قرى فلسطين المحتلّة عام 1948 .

المبحث الثّالث: شخصيّة تميم الدّاري

إنّ أهمّ ما يمكن دراسته في علم الإنسان الثقافي اليوم هو: "الشخصيّة"، فتركيب الشخصيّة يجب فيه تحييد مقوّمات الشّخصيّة وهذا التحييد نظريٌّ ، وأهمّ ما يكون إذا كانت الشخصيّة المدروسة من الشّخصيّات الدّينيّة والعلميّة التّي تتمتّع بالاحترام من كافّة المدارس الدّينيّة في العالم القديم والمعاصر ، ولأنّ تميم الدّاري من علماء الكتاب ، فالمعلومات عنه ليست كافيةً لإجراء تحليلٍ علميٍّ لسمات شخصيّته ، وأهمّ أسرارها ، اللّهمّ إذا كان عن طريق محاولة جمع المعلومات من خلال ترجمته ورواياته معًا .

والوقائع التّاريخية التّي ذكرت شخصيّة تميم الدّاري صاحب الثقافتين محدودةٌ جدًّا ، ممّا يصعّب دراستها في إطار علم الثقافة المقارن ، فالذّي يحدث في الواقع المحسوس يمكن إخضاعه للتقدير الكميّ ، بخلاف الحال مع المعلومات من أنواع أخرى ، كالعقائد والقيّم الخلقية، فهي لا تخضع لذلك ، وهذا يبرر إلى حدٍّ بعيد الإشكال الوارد في البحث ، وعليه فعلم الإنسان الثقافي الدّيني مهمّته أكبر في عالم البحث في الشخصيّة وسماتها .

ولعلّ من الواضح أنّ تميمًا الدّاري وهو صاحب النّبي صلّى الله عليه وسلم وأحد حواريّه ، ولا عجب فإنّ لكلّ نبيٍّ حواريّوه ، فكما للمسيح حواريّون فإنّ لموسى عليه السّلام أخاه هارون ، ويجوز في حقّ الحواريين ما يجوز لأنبيائهم من تعظيم وتقدير ، لأنّهم الخلصاء المقرّبون منهم ، وقد جاء تميم الدّاري-كما سيأتي في قصّة الجسّاسة – في وفد الدّاريين مبايعًا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

وقد وردت القصّة بتمامها في كتب السّير و المغازي ، وكتب الحديث مشفوعةً برواية الجسّاسة، وقد حكا للنّبي صلّى الله عليه وسلم عن رحلة بحرية ضاع فيها برفقةٍ معه فرماه البحر إلى جزيرة حدثت له فيها أعاجيب عن الجسّاسة والمسيح الدجّال ، فحكاها للنّبي وأصحابه والنبيّ يُصدّقه ، كما أنّ في القصّة تصديقًا للنبوّة الخاتمة ، وأخبار عن حوادث الزّمان وجغرافية فلسطين ،

فكانت الوِفادة سببًا في إسلام تميم والوفد المرافق له ، وزيادةٌ في تصديق النبوّة ، بأخبارٍ يرويها أحد علماء النّصارى – وهو تميم – وهو عارفٌ بها و بأمارات النّبوءات ، ومن مناقب تميم كما قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب [1] ، والحافظ المزّي : [2] بأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم روى لتميمٍ حادثة الجسّاسة و هو منقبةٌ شريفةٌ جدًّا ، وهو أولى ما يخرّجه المحدّثون في رواية الكبار عن الصّغار، بمعنى أنّ القاعدة هي رواية الأصاغر عن الأكابر ، كالتابعين عن الصّحابة ، والصّحابة صغارهم عن كبارهم ، وكبار الصّحابة عن النبيّ ، فكان لتميم شرف أن يروي عنه نبيّ .

وفي مفهوم الشخصيّة تمّ التأكيد على الطابع المميّز لها ، بمعنى أنّ الشخصّية هي كلُّ ما ينفرد به الشّخص عن غيره ، أي : كلّ ما يفترق به الفرد في تصرّفاته وسلوكه عن كل ما يحمله في ذهنه من ميول حضاريّة أساسيّة ، فتميمٌ الدّاري باحثٌ عن الحقيقة وأحد أهم علماء المسيحيّة العارفين الّذين توصّلوا إلى سرّ النبيّ الخاتم بما توافر لديه من نصوص وأخبار .

فكانت له فرصة الالتقاء بأحد أهم شخصيات أحداث القيامة الكبرى وهو مسيح الدّجال ، وأمّا المسيح الدجال فإنّ دوره في أحداث القيامة الكبرى فهو متواترٌ في نصوص العهدين القديم والجديد وفي السنّة النبوية .

فتميمٌ الدّاري رضي الله عنه و بناءًا على قصّة وفوده إلى النبيّ عليه الصّلاة والسّلام كان باديًا عليه تحوّله إلى دين الإسلام، بدليل حكايته لأحداث رحلته وما تبعها من أحداث لقائه بالجسّاسة والمسيح الدجّال، ومجريات أحداث القصّة فيها إخبار عن النبوّة الخاتمة وعن أخبار أرض فلسطين كبحيرة الطّبرية ونخل بِيسان وعين زُغر وأخبار النبّي الخاتم نبيُّ آخر الزمان ، وبيانه من إخبار قصّة الدّجال له عن هذه الأمور أنّ الغاية قرب خروج نبي آخر الزمان ، والذّي بدوره يعني للمسيح الدّجال نهاية أسره من الأغلال ، وهو من دلائل النبوّة .

[1]) ج 1 ، ص 270 .
[2]) ج 4 ، ص 326 .

و أمّا الناسك الرّوحي (د. هيوسن سميث) فقد رأى أنّ اللّغة التي نزل بها القرآن تزودنا بمفتاح لفهم كثير من المعضلات ، قال في هذا الموضوع : قال فيليب حتّي " لا يوجد شعب في العالم تحرّكه الكلمات ، سواء المقولة شفهيا أو المكتوبة ،كالعرب. من النادر أن يكون لأيّ لغة في العالم تلك القدرة على التأثير على عقول مستخدميها كالتّأثير الذّي لا يُقاوم للّغة العربية ..، إنّ الإيقاع، والإيقاع اللّحني ، والقافية تحدث تأثيرًا يشبه التنويم المغناطيسي في قوّته.." ([1]) .

وقال في موضع آخر :" ..ولهذا فإنّ قصص الكتاب المقدّس (التوراتيّة) التي يُحيل إليها القرآن، ترد فيه بنحو مختصر ، وأسلوبٍ جافٍّ غير متوقّعٍ ، إنّها مُعرّاةٌ من صفتها الملحميّة ومذكورةٌ كأمثلة تعليميّة على الأشياء المختلفة التّي لا نهاية لها التّي تعلن على الثّناء على الله وحمده " ([2]) .

ورأى في آخر المطاف أنّ " في هذا تباينٌ تامٌّ مع الكتب المقدّسة اليهودية و المسيحيّة التّي تبدو أكثر بُعدًا عن الله لأنّها تضع المعنى الدّيني في تقارير عن أحداث و وقائع ، بدلاً من التّصريحات والإعلانات المباشرة لله " .

هذا وقد انصبّ تحليله على وضوح اللّغة ومباشرة أساليبها في الدّلالة على الفكرة ، وهو أمرٌ لم يكن مفتقرًا في اليهودية أو المسيحية ، وإنّما افتقر في نصوصهما المنسوخة بشريًّا ، أي التي تصرّف في صياغتها الأحبار والرّهبان المتعاقبون على شروحهما ، وبالتّالي فإنّ اللّغة المقدّسة للكتب المقدّسة قد فُقدت ، وفُقد معها بريقها ، وهو في رأيي سبب منع بعض علماء الإسلام الأوائل تفسير القرآن بترجمته ونقل معانيه إلى لغات أخرى ، لعلّ آخرهم رشيد رضا .

فاللُّغة إذًا ليست دليلاً على وجود العقل أو الضّمير الجماعي ، أو حتّى الفكر ، بل هي من أهمّ ركائز وأساليب الأفعال والحركات ، وذلك باعتبارها المفتاح لدخول أفكار المجتمع والولوج إلى خبايا روحه وفكره ، وباعتبارها كذلك من أهمّ مُدخلات الثّقافة [(3)] ، و للوصول إلى داخل

---

[1]) أديان العالم ، ص 482 .

[2]) المرجع نفسه ، ص 483 .

[3]) الأنثروبولوجية العامة ،ص 478 ، نقلا عن "فيرث رايمون" في: (الإنسان والثقافة) روتلدج وكيثن بول ،ص93 .

فكر شخصٍ ما يجب التعرُّف على معاني روح لغتِه ، و التي تعتبر روحًا له أيضًا ، و لكي يتمّ كذلك الكشف عن تراثه العقدي و الفكري الدّيني القديم ، والحبر الأعظم تميم الدّاري رضي الله عنه لما أراد تملُّك حبرون وبيت عينون ، والخليل بيت إبراهيم ، إنّما خاطب النبيّ عليه السّلام بلسان المواطن البسيط الذي يتوجه بخطاب المحتاج إلى عطف ومنحة السّلطة المانحة والمتكرّمة راجيا عطفها وكرمها مستعملا أسلوب الاستعطاف الذي يليق بمقام النبوة ، آملا أن تكون دعوته مقبولة نظير مقامه وحظوته لدى رسوله الجديد .

المبحث الرّابـــع : رواية الجسّاسة .

أودّ أن أشير هنا إلى أنّني أخرّج الرّواية الأمّ من صحيح مسلم وهي كاملةٌ ، وأمّا الزيّادات الواردة في غيرها من مصادر الحديث فإنّني لا أخرّجها لوجود ما يقابلها أو يقابل معناها في رواية مسلمٍ ، وهي الرّواية الوحيدة له ، التي تصلح لإجراء الدّراسة.

روى مسلمٌ في صحيحه ، في كتاب الفتن ، باب رقم : (24) ، بعنوان : " باب قصّة الجسّاسة " برقم (2942) قال : حدّثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، وحجاج بن الشاعر، كلاهما عن عبد الصمد- واللّفظُ لعبد الوارث بن عبد الصمد- حدّثنا أبي عن جدي عن الحسين بن ذَكْوان ، حدّثنا ابن بريدة ، حدّثني عامر بن شراحيل الشعبي ، شعب همدان ، أنّه سأل فاطمة بنت قيس[1] ، أختُ الضحّاك بن قيس- وكانت من المهاجرات الأُوَلْ- فقال : حدّثيني حديثا سمعتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تسنديه إلى أحد غيره ، فقالت : لئن شئتَ لأفعلنَّ ، فقال لها أجل : حدّثيني ، فقالت: نكحتُ ابن المغيرة - وهو من خيار شباب قريش يومئذ - فأصيب في أوّل الجهاد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا تأيّمت خطبني عبد الرحمن بن عوف ، في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه أسامة بن زيد ، وكُنتُ قد حُدِّثت أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أحبّني فليحبَّ أسامة) ، فلمّا كلّمني رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : (أمري بيدك ، فانْكحني من شئت فقال : (انتقلي إلى أمِّ شريك) وأمُّ شريكٍ امرأة غنيّةٌ من الأنصار ، عظيمة النفقة في سبيل الله ، ينزل عليها الضِيفان ، فإنّي أكره أن يسقط عليك خمارك ، أو ينكشف الثوب عن ساقيك، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ، ولكن انتقلي إلى ابن عمك ، عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم وهو رجل من بني فِهرٍ ، فِهرُ قريشٍ ، وهو من البطن الذّي هي منه ، فانتقلت إليه .

[1]) سير أعلام النبلاء ، ج2 ، ص 319 و320 ، برقم 60 .

فلمّا انقضت عدّتي سمعت نداء المنادي- منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم- ينادي : " الصّلاةُ جامعة " ، فخرجت إلى المسجد ، فصلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكنت في صفّ النّساء التّي تلي ظهور القوم .

فلمّا قضى رسول الله صلّى الله عليه وسلم صلاته ، جلس على المنبر و هو يضحك فقال : " ليلزم كل إنسان مُصلاّهُ " ثم قال : (إنّي ، والله ، ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن جمعتكم ، لأنّ تميمًا الدّاري، كان رجلاً نصرانيًّا ، فجاء فبايع وأسلم ، وحدّثني حديثا وافق الذي كنت أحدّثكم عن مسيحِ الدجّال [1] ، حدّثني أنّه ركب في سفينةٍ بحريةٍ ، مع ثلاثين رجلاً من لخم وجُذام ، فلعب بهم الموج شهرًا في البحر، ثم أرفؤوا إلى جزيرةٍ في البحر حتّى مغرب الشّمس[2]، فجلسوا في أَقْرُبِ السفينة، فدخلوا الجزيرة ، و لَقِيَتْهُم دابّةٌ أَهْلَبُ كثيرُ الشعر ، لا يدرون ما قُبُلُه من دبُره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ، ما أنت ؟ ، فقالت : أنا الجسّاسة [3] ، قالوا : وما الجسّاسة ؟ قالت : أيها القوم ، انطلقوا إلى هذا الرّجل في الدّيْر ، فإنّه إلى خبركم بالأشواق ، قال: لما سَمّت لنا رجلا فَرِقْنا منها أن تكون شيطانة ، قال فانطلقا سِراعًا حتّى دخلنا الدَّيْر ، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خَلْقًا ، وأشَدّهُ وثاقاً ، مجموعةٌ يداه إلى عنقه ، مابين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد ، قلنا : ويلك ما أنت ؟ قال: قد قدرتم على خبري ، فأخبروني ما أنتم ؟ ، قالوا : نحن أناس من العرب ، ركبنا في سفينة بحرية ، فصادفنا البحر حين اغتلم ، فلعب بنا الموج شهراً ، ثم

---

[1]) المعلِم بفوائد مسلم ، للمازري ، ج 1، ص 332 ، برقم 105 .

[2]) والضاهر في الجمع بين روايات الجسّاسة أنّ البحر المقصود لا يكون إلاّ في شرق بلاد الشام ، ولا يمكن أن يكون بحر شرق فلسطين إلاّ خلجان جنوب شرق آسيا ، أي ما وراء المحيط الهندي ، وقد يكفي شهرٌ واحدٌ لمن يُبحر بقاربٍ دون محرّكٍ، واعتمادًا على قوّة الرّياح التّجارية للوصول إليها ،لأنّ عادة بحّارة فلسطين واللّاذقية السّفر شرقًا أكثر ،وذلك قصد التّجارة وجلب الكتّان والتوابل والعود والصمغ ، أكثر من إبحارهم إلى المتوسط أو الأطلسي ، ثمّ إنّهم يُطلقون على الأطلسي بحر الظلمات لكثرة الضباب فيه ،لاسيما في محاذاة بريطانيا والأراضي المنخفضة ، وبحر الظلمات لم يُذكر في رواية الجساسة التي سيأتي ذكرها .

[3]) عون المعبود شرح سنن أبي داوود ، شمس الحق العظيم آبادي ، ج 11 ، ص 315 .

أرفأْنا إلى جزيرتك هذه ، فجلسنا في أقْرُبِها ، فدخلنا الجزيرة فلقِيَتْنا دابّةٌ أهلبُ كثيرُ الشّعر ، لا يُدرى ما قبُلُه من دُبُره من كثرة الشّعر ، فقلنا : ويلك ، ما أنت ؟ فقالت : أنا الجسّاسة ، قلنا : وما الجسّاسة ؟ ، قالت اعْمُدُوا إلى هذا الرجل في الدّيْر ، فإنّه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سِرَاعًا ، وفزعنا منها ، ولم نأمن أن تكون شيطانة ، فقال : أخبروني عن نخل بيسان [1] ؟ ، قلنا : عن أيّ شأنها تستخبر؟ ، قال: أسألكم عن نخلها : هل يثمر ؟ ، قلنا له : نعم ، قال : أما إنّه يوشك ألاّ يثمر، قال : أخبروني عن بُحيرة الطّبرية [2] ؟ ، قلنا : عن أيّ شأنها تستخبر؟ ، قال : هل فيها ماء ؟ ، قالوا : هي كثيرة الماء ، قال : أما إنّ ماءها يوشك أن يذهب ، قال: أخبروني عن عين زُغَر[3] ؟ ، قالوا: عن أيّ شأنها تستخبر؟ ، قال: هل في العين ماء ؟ ، وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له: نعم ، هي كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها ، قال : أخبروني عن نبي الأميّين ما فعل ؟ ، قالوا : قد خرج من مكّة ونزل يثرب ، قال : أقاتله العرب ؟ ، قلنا : نعم ، قال : كيف صنع بهم ؟ ، فأخبرناه أنّه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه ، قال لهم : قد كان ذلك ؟ ، قلنا : نعم ، قال: أما إنّ ذاك خير لهم أن يطيعوه ، وإنّي مُخبركم عنّي ، إنّي أنا المسيح ، وإنّي أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسيرَ في الأرض فلا أدعُ قريةً إلا هبطتها في أربعين ليلة ، غير مكّة وطيبة ، فهما محرّمتان عليّ كلتاهما ، كلما أردت أن أدخل واحدةً ، أو واحدًا منهما ، استقبلني مَلَكٌ بيده السّيف صلْتًا ، يصدُّني عنها ، وإنّ على كل نقبٍ منها ملائكةٌ يحرسونها ، قالت : قال رسول- صلى الله عليه وسلم- وطعن بِمِخْصَرته في المنبر- : (هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة) يعني المدينة ، (ألا هل كنت حدّثتكم ذلك ؟) فقال النّاس: نعم، قال: "فإنه أعجبني حديث تميم أنّه وافق الذي كنتتُ أحدّثكم عنه وعن المدينة ومكّة ، ألا

[1]) معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج 1 ، ص 527 .

[2]) بحيرة الطّبرية في فلسطين المحتلّة ، تمّ ضمّها إلى أراضي 48 .

[3]) معجم البلدان ، ج3 ، ص 143 .

إنّه في بحر الشّام أو بحر اليمن ، لا بل من قِبَلِ المشرق ، [1] ما هو، من قِبل المشرق ، ما هو ، من قبل المشرق ، ما هو ، وأوْمَأَ بيده إلى المشرق ، قالت : فحفظتُ هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم).

قال القرطبي في التّذكرة : " هو شكٌّ منه أو ظنٌّ منه صلّى الله عليه وسلّم ، أو قصد الإبهام على السّامع ، ثمّ نفى ذلك وأضرب عنها للتّحقيق فقال : من قِبَلِ المشرق ، ثمّ أكّد بما الزّائدة ، والتّكرار لفظيٌّ ، فما زائدة لا نافية " ([2]) .

وقد روى المطهّر ابن طاهر المقدسيّ هذه القصّة في كتابه الشهير : (البدء والتاريخ) [3] ، فقال في باب خروج الدجال : (الأخبار الصحيحة المتواترة بخروجه بلا شك وإنّما الاختلاف في صفته وهيأته قال قوم : هو صائفُ بن صائدٍ اليهوديّ عليه لعنة الله وُلد عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم فكان أحياناً يربو في مهده وينتفخ في بيته حتى يملأ بيته [4] ، فأخبر النبيّ صلى الله عليه وسلم بذلك فأتاه في نفرٍ من أصحابه فلما نظر إليه دعا الله سبحانه وتعالى فرفعه إلى جزيرة من جزائر البحر إلى وقت خروجه ، وفي رواية أخرى أنّ المسيح الدجّال قد أكل الطعام ومشى في الأسواق وروي أن اسمه عبد الله وهو يلعب مع الصبيان فقال ابن صيّاد: أتشهد أني رسول الله؟[5]، فقال له النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أشهد أنّي رسول الله ، فقال ابن صيّاد: أتشهد أنّي رسول الله ؟ فقال النبّي صلّى الله عليه وسلم إنّي قد خبّأتُ لك خبئًا قال ما هو؟ قال هو : "الـدّخّ " يعني الدخان ، فقال النبي صلّى الله عليه وسلم اخسأ ولن تعدو قدرك ، قال عمر: ائذن لي فأضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فإن يكنْهُ فلن تُسلَّطَ عليه وإلاّ يكُنْهُ

[1]) عون المعبود شرح سنن أبي داوود ، ج 11 ، ص 317 .

[2]) عون المعبود شرح سنن أبي داوود ، ج 11 ، ص 319 .

[3]) كتاب البدء و التاريخ ، ابن طاهر المقدسي ، ج2 ، ص 186 ، و189 ،و192 ، و165 .

[4]) لم تثبُت الزيادة فيما راجعته من روايات هذه القصّة .

[5]) هذا الجزء من القصّة ورد صحيحا في جميع كتب الحديث والسير، و المغازي و التاريخ التي حقّقتُ منها القصّة .

فلا خير في قتله..، وجاء في الحديث أنه أغَمُّ جِفَالُ الشّعر مكتوبٌ بين عينيه : " ك.ف.ر." يقرأه كل أحد..،) .

ثم أورد ابن طاهر المقدسي في بابِ : (**بقيّةُ خروجِ الدّجّال**) .

جاءت فيه قصّة الجسّاسة من رواية سفيان عن مجالد عن عامر الشعبيّ عن فاطمة بنت قيس بنفس لفظ مسلم تقريبا ، وفيه زيادةُ [1] أنّ النبيّ قال : (إنّي لم أجمعكم لرغبة ولا لرهبة ولكن لحديثٍ حدّثنيه تميمٌ الدّاري مَنعني سُروره القائلةَ ، حدّثني أن نفراً من قومه أقبلوا في البحر فأصابتهم ريحٌ عاصف فألجأتهم إلى جزيرة ، فإذا هم بدابّةٍ ، قالوا : ما أنت ؟ قالت أنا الجسّاسة) القصّة . وزاد أيضًا عن عين زُغر: (..فلو يبست هذه نقذتُ من وثاقي فوطئتْ قدمي كلَّ منهلٍ إلاّ المدينة ومكّة..) ، وقال ابن طاهر أيضا [2] ، وروي أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلم خطب فقال: (ما كانت بين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنةً أعظم من الدّجال) ، وقال (إنّه لم يكن نبيٌّ إلاّ أنذر قومه بالدجّال) ، ووصفه فقال : (إنّه قد بُيِّنَ لي ما لم يُبيّنْ لأحد ، إنّه أعور كيت وكيت..، فما اشتبه عليكم فاعلموا أنّ ربكم ليس بأعور) والدّجال يسميه اليهود: "مُوشَحْ كَوَابِل" ويزعمون أنّه من نسل داود ، وأنّه يملك الأرض ويَرُدُّ المُلْكَ إلى بني إسرائيل..، وسمعت المجوس يذكرون واحدًا منهم يخرج فيرُدُّ المُلْكَ إليهم ، فقد صار هذا مُشْتَرَكًا متنازعًا فيه ، بقي الاعتماد على أصدق الأخبار وأصحّها، وذلك ما رُوي عن كتب الله ورسله من غير تحريف ولا تبديل...)[3] .

وأمّا أمر صائفِ بن صائدٍ فقد قال العلماء فيه الكثير وأجمل الأقوال فيه ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري وشارح سنن أبي داوود [4] قال : قال

[1]) البدءُ والتاريخ ، ج2 ، ص 192 ، و193 .

[2]) المرجع نفسه ، الصفحات نفسها .

[3]) ذكرتُ ذلك في مبحث تأثُّر الديانات بعضها ببعض ، وفي ذكر معركة أرمجدون الشهيرة .

[4]) المرجع السابق ، الصفحات نفسها .

العلماء: (وظاهر الأحاديث أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلم لم يُوحَ إليه بأنّه المسيح الدّجال ولا غيره وإنّما أوحي إليه بصفات الدّجال وكان في ابن صيّاد قرائنُ محتملة فلذلك كان النّبي صلى الله عليه وسلم لا يقطع بأنّه هو الدّجال و لا غيره ، ولهذا قال لعمر رضي الله عنه : إن يكن هو فلن تستطيع قتله ، وأمّا احتجاجه بأنّه مسلم والدّجال كافر وبأنّه لا يولد للدّجال ، وقد ولد له هو ، وأنّه لا يدخل مكّة والمدينة ، وأنّ ابن صيّادٍ دخل المدينة وهو متوجّهٌ إلى مكّة فلا دلالة فيه لأنّ النّبي إنّما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه في الأرض انتهى) .

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري [1] : (قال البيهقي ليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبيّ صلى الله عليه وسلم على حلف عمر فيحتملُ أن يكون النّبي صلّى الله عليه وسلم كان مُتوقِّفًا في أمره ثم جاءه الثّبت من الله تعالى بأنّه غيره على ما تقتضيه قصّة تميم الدّاري وبه تمسّك من جزم بأنّ الدجّال غير بن صيّاد وطريقه أصحُّ ، وتكون الصّفة التّي في بن صيّاد وافقت ما في الدجّال [2] ، قلت : قصّة تميم أخرجها مسلم من حديث فاطمة بنت قيس) . وقد أطلق البيهقي على الدّجّال اسم " الدجّال الأكبر" الذّي يخرج في آخر الزّمان وهو غير ابن صيّاد [3] . قال البيهقي: (وكان ابن صيّاد أحد الدّجالين الكذّابين الذّين أخبر النّبي صلى الله عليه وسلم بخروجهم وقد خرج أكثرهم) [4] .

وكان الذّين يجزمون بابن صيّاد هو الدّجال لم يسمعوا بقصّة تميم وإلاّ فالجمع بينهما بعيدًا جدّا إذ كيف يلتئم أن يكون من كان في أثناء الحياة النبويّة شبه المحتلم ويجتمع به النّبي صلّى الله عليه وسلم ويسأله أن يكون في آخرها شيخًا كبيرًا مسجونًا في جزائر البحر موثقًا بالحديد يستفهم عن خبر النّبي صلّى الله عليه وسلم هل خرج أو لا ؟ ، فالأوْلى أن يُحمل على عدم الاطلاع أمّا

---

[1]) فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، ج13 ، ص 32 ، دار الفكر .

[2]) ولذلك أقسم عمرٌ من أنّ ابن صيّادٍ هو الدجّال كما في حديث جابر ، وكان هذا الالتباس هو ما جعله يجزم بأنه هو.

[3]) المرجع السابق ، ج 13 ، ص 226 .

[4]) والقصّة بتمامها رواها ابن طاهر المقدسي في كتابه : البدءُ والتاريخ ، ج2 ، ص 192 .

عمر فيُحتمل أن يكون ذلك منه قبل أن يسمع قصّة تميم ، فلمّا سمعها لم يعد إلى الحلف المذكور[1] .

وقد ذكر ابن دقيق العيد قاعدةٌ أصوليّةٌ مهمّة ترفع اللُّبس عن مسألة سكوت النبّي عند جزم عمر بأنّ ابن صيّاد هو نفسه المسيح الدّجال ، وهي : (إذا أُخْبِرَ بحضرة النّبي[2] صلى الله عليه وسلم عن أمر ليس فيه حكم شرعي فهل يكون سكوته صلى الله عليه وسلم دليلاً على مطابقة ما في الواقع كما وقع لعمر في حلفه على ابن صيّاد هو الدجّال فلم ينكر عليه ، فهل يدلُّ على عدم إنكاره على أنّ ابن صيّاد هو الدجّال كما فهمه جابر حتّى صار يحلف عليه ويستند إلى حلف عمر أو لا يدلّ ؟) ، قال ابن دقيقٍ العيد في ذلك : (فيه نظر ، والأقرب عندي أنه لا يدلُّ لأنّ مأخذ المسألة و مناطُها هو العصمة من التقرير على باطلٍ وذلك يتوقف عل تحقّق البطلان ولا يكفي فيه عدم تحقّق الصحّة إلاّ أن يدّعي مُدّعٍ أنه يكفي في وجوب البيان عدم تحقق الصحّة فيَحتاج إلى دليل وهو عاجز عنه ، نعم : التقرير يُسَوِّغ الحلف على ذلك على غلبة الظن لعدم توقف ذلك على العلم انتهى ملخّصًا) .

وقد اسْتشكل العلماء قصّة ابن صيّاد قال النّووي [3] : (قصّة بن صيّاد مُشْكَلَة وأمره مشتبه لكن لاشك أنّه دجّال من الدجاجلة والظّاهر أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلم لم يُوحَ إليه في أمره بشيءٍ وإنّما أوحي إليه بصفات الدجّال وكان في ابن صيّاد قرائنُ محتملة فلذلك كان صلّى الله عليه وسلم لا يقطع في أمره بشيءٍ ، بل قال لعمر : لا خير لك في قتله) .

وقد أخرج أبو نعيم الحافظ عن كعب الأحبار : (أنّ خبر الدجّال لم ينزل في التوراة والإنجيل وإنما هو في بعض كتب الأنبياء) [4] .

---

[1]) المرجع السابق ، ج 13 ، ص 327 .

[2]) المرجع نفسه، الجزء والصّفحة نفسيهما.

[3]) المرجع نفسه، الجزء والصّفحة نفسيهما .

[4]) المرجع نفسه ، ج 13 ، ص 328 ، و329 .

قال الحافظ ابن حجر عقب هذا الكلام : (وأحلف بهذا الخبر أن يكون باطلاً فإنّ الحديث الصّحيح أنّ كل نبيّ قبل نبينا أنذر قومه الدجّال) .

ومن الجدير بالذّكر أنّ الذّين أخرجوا الحديث الصّحيح كالبخاري لم يرووا حديث الجسّاسة إلاّ مسلمًا في صحيحه ؟ ، لأنّ البخاري سلك في ذلك مسلك المرجِّح ، إذ روى حديث جابر عن عمر في صائف بن صّياد ولم يخرج قصّة الجسّاسة ، والسبب في ذلك كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح [1] : (وأقرب ما يُجمع به بين ما تضمّنه حديث تميم وكون بن صيّاد هو الدجّال، أنّ الدجّال بعينه هو الذي شاهده تميمٌ موثوقاً ، وأنّ ابن صيّادٍ شيطانٌ تبدَّى في صورة الدجّال في تلك المدُّة إلى أن توجّه إلى أصبهان [2] فاستتر مع قرينته إلى أن تجيء المدّة التي قدّر الله تعالى خروجه فيها ، و لشدّة التباس الأمر في ذلك سلك البخاري مسلك الترجيح فاقتصر على حديث جابر عن عمر في بن صيّاد ولم يخرج حديث فاطمة بنت قيس في قصّة تميم وقد توهّم بعضهم أنّه فردٌ وليس كذلك ، فقد رواه مع فاطمة بنت قيس أبو هريرة وعائشة و جابرًا ، أمّا أبو هريرة : فأخرجه عنه أحمد في مسنده من رواية عامرٍ الشّعبي عن المحرّز بن أبي هريرة عن أبيه بطوله ، وكذلك ابن ماجه ، وأخرجه أبو يعلى من وجه آخر عن أبي هريرة) .

[1]) المرجع السابق ، ج 13 ،ص 328-329.

[2]) والقصّة المشهورةٌ : أنّه في فتح خراسان رأى الصحابة بأصبهان ابن صائدٍ في قريةٍ تسمّى" اليهودية " .

مظانُّ قصّة الجسّاسة :

إضافةً إلى رواية مسلم الّتي أخرجها في الجامع الصّحيح ، والرّواية التي أخرجها ابن طاهرٍ المقدسي في كتابه : " البدءُ والتاريخ " ، فلحديث الجسّاسة شواهدُ كثيرة ، فقد روى هذه القصّة المثيرة كلٌّ من : ابن سعد في الطبقات (ج 1، ص 343-344) ، في باب : " ذكرُ وِفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم " تحت عنوان : " وفْدُ الداريين " ، ورواه أحمد بن حنبل في مسنده من طريقين : (ج 6 ، ص 373 برقم 27145 ، و 27146 و، 27390 ، ص374) [1] ، الأوّل : بسندٍ جيّد عن عامر بن فاطمة بنت قيس ، و الثّاني : عن عامرٍ الشعبيِّ عنها ، و أخرجه البيهقي في كتابه : " دلائل النبوّة " ، وفي كتاب : " معرفة أحوال صاحب الشريعة " [2] ، في باب : " قُدومُ تميم الدّاري على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وإخباره إيّاه بأمر الجسّاسة ، وما سُمع من الدجّال في خروج النّبي صلى الله عليه وسلم وإيمان من آمن به " (ج5 ، ص 416) ، عن غيلان بن جرير عن عامرٍ الشّعبي ، وفي : (ج 5، ص 417) عن أسباط بن محمّد القرشي ، عن الشّيباني ، عن عامر الشعبي ، عن فاطمة بنت قيس ، قال الشّعبي : فلقيتُ محمّد بن محرّز بن عبد الرحمن بن أبي بكر فحدّثتُهُ ، فقال : " صدقت وأشهد على عائشة أنّها حدّثتني بهذا الحديث..، " ، قال البيهقي : ورُويَ ذلك أيضًا عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن فاطمة بنت قيس ، رواه الحافظ الكبير أبي نُعيم الأصبهاني في : " دلائل النبوّة " [3] في (الفصل التاسع والعشرون) ، باب : " ما جرى على يد أصحابه بعده " (ج2 ، ص 583) رقم الحديث (533) ، تحت عنوان : " ما ظهر على يد تميم الدّاري " .

[1]) مسند الإمام أحمد ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.ط .

[2]) دلائل النبوة للبيهقي ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط 1 ، 1988 .

[3]) دلائل النبوة للأصبهاني ، دار النفائس ، بيروت ، ط 3 ، 1991 .

وأخرجه ابن كثير في : "السّيرة النبويّة " [1] باب : " قدوم تميم الدّاري على رسول الله وإخباره إياه بأمر الجسّاسة ، وما سُمع من الدجّال في خروج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وإيمان من آمن به " .

وقال ابن كثير : (وقد رَوى هذا الحديث الإمام أحمد ومسلم وأهل السّنن ، من طرقٍ عن عامر بن شراحيل الشّعبي عن فاطمة بنت قيس ، وقد أورد له الإمام أحمد شاهدا من رواية أبي هريرة وعائشة أمّ المؤمنين ، وقد ذكرنا الحديث بطرقه وألفاظه في كتاب الفتن[أي : في البداية والنهاية] .

وذكر الواقدي وفد الدّاريين من لخم وكانوا عشرة [2] ، وأخرجها أبي عمرو عثمان بن سعيد الدّاني (ت سنة 444 هـ) في كتابه : " السنن الواردة في الفتن وغوائلها و السّاعة و أشراطها " في باب : " ما جاء في الدجّال " رقم الباب 106 ، ص 218 ، حديث (رقم 625) ، وفيه قالت الجّساسة لهم : " فادخلوا القصر " [3] ، وقد روى القصّة أيضًا ابن حبّان في صحيحه : (ج 15 ، ص 196 و 198) [4] ، والمقدسيُّ في : " الأحاديث المختارة " (ج 9، ص 151) [5] .

ورواه الترمذي في : " سننه " (ج4 ، ص 521) [6] ، برقم 2253 ، وابن حجر الهيثمي في : " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد " (ج7 ، 346) [7] .

وأبو داود في: " سننه " (ج4 ، ص 118 برقم 4325 و 4326، ج 4 ، ص 119 برقم 4327 و4328) [8] .

---

[1]) السّيرة النبوية ، ابن كثير ، ج 4 ، ص 168 ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1987 .

[2]) القصّة في باب السّيرة النبويّة من الطبقات الكبرى لابن سعد ج1 ، ص343-344 .

[3]) حقّقه : محمّد بن إسماعيل الشافعي ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ،1997 م .

[4]) صحيح ابن حبّان ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسّسة بيروت ، ط 2 ، 1993 م .

[5]) تحقيق : عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة الجديدة ، مكّة المكرّمة ، ط 1 ، 1410 هـ .

[6]) تحقيق : أحمد شاكر و آخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت.ط.

[7]) طبعة : دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي ، القاهرة – بيروت ، ط 7 ، 1457 هـ .

[8]) تحقيق : محمّد محي الدّين عبد الحميد ، سيّد كسروي حسن ، دار الفكر ، د.ت.ط .

و أبي شُعيب النّسائي في : "سننه الكبرى" (ج 2 ، ص 481 برقم 4257 و4258 و4259) [1] .

وابن ماجه في : "سننه " (ج 2 ، ص 1355) [2] .

و أبي بكر بن أبي شيبة في : " مصنّفه " (ج7 ، ص 497 برقم 37250 وبرقم 37636) و (ج 7، ص 510 و511) [3] .

و في : " مسند أبي حنيفة " (ج 1 ، ص 256) [4] .

ورواه إسحاق بن راهويه صاحب " السّيرة النبويّة " الشّهير ، في كتاب : " مسنده " (ج1، ص220 ، 221، 222) [5] .

و أبي القاسم الطّبراني في : "المعجم الأوسط" (ج2 ، ص 382 برقم 2289) و (ج5 ، ص 125 برقم 4859 ، وص 126 برقم 4860) [6] .

ورواه أبو يعلى الموصلي (ت 307 هـ) في : " مُسنده " [7] ، (ج 1، ص 145 ، و(ج1 ، ص 235 باب الكاف برقم 287) .

والرُّوياني في مسنده المعروف : بمسند الرُّوياني أو " مُسند الصّحابة " [8] تحت عنوان : " مسند المقلِّين من الصّحابة " (ج2 ، ص 324) .

والرُّوْياني كذلك في : "مسنده" (ت 307 هـ) [9] ، (ج 2 ، ص 510) .

---

[1]) تحقيق : عبد الفتاح سليمان البنداري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1991 م .

[2]) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت.ط .

[3]) تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط1 ، 1409 هـ .

[4]) تحقيق : نظر محمّد الفارابي ، مكتبة الكوثر ، الرياض ، ط1 ، 1415 هـ .

[5]) تحقيق : عبد الغفور البلوشي ، مكتبة الإيمان ، المدينة المنورة ، ط1 ، 1995 .

[6]) تحقيق : طارق الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة ، ط 1415 هـ .

[7]) تحقيق : إرشاد الحق الأثري ، إدارة العلوم الأثرية ، فيصل آباد ، ط 1 ،1407 هـ .

[8]) تحقيق : أيمن علي أبو يماني ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، ط1 ، 1416 هـ .

[9]) تحقيق : صلاح محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1997 م .

والحُميدي في : " مسنده " [1] ، (ج 1 ، ص 177) برقم 364 بسندٍ جيّد .

وأبو داود الطاليسي في : " مسنده " [2] ، (ج1 ، ص 228 برقم 1646) ، و(ج4 ، ص 119 برقم 2164) ، و (ج4 ، ص 120 ، وج4 ، ص 129 برقم 2178 ، و ج4 ، ص 142 برقم 2200 ، كلّها عن جابر بن عبد الله الصّحابي .

والطّبراني أيضًا في : " المعجم الكبير" (ج 2 ، ص 55) ، وفي (ج 24 ، ص 371 برقم 922) و في (ج24 ، ص 372 برقم 923) ، و في (ج 24 ، ص 385 ، برقم 956) ، وفي (ج 24 ، في صفحات : 389 و ص390 وص 391 برقم 959 ، وص 392 برقم 360 ، و في رقم 394 و في ص 395 برقم 962 ، وفي ص 396 برقم 363 ، و في ص 397 برقم 364 ، و 968 ، وفي ص 401 برقم 969 و 970، و في ص 403 برقم 976، و 977 .

و الحافظ ابن مَنْدَه في كتاب : " الإيمان " (ج2 ، ص 951 ، و 952 [3] ، وص 953 ، وص954 ، و955 ، و956) .

كما أورده المبارك بن محمّد ابن الأثير الجزري في : "جامع الأصول في أحاديث الرّسول " بعنوان: "في الدّجال " [4] (برقم 7838) .

كما وردت قصّة الجسّاسة مشفوعةً بأمر الدجّال في كثير من كتب التفسير وشروح الحديث، أحصيتها وهي كثيرة جدّا ، منها على سبيل المثال لا الحصر ما ذكره القرطبي في تفسيره (ج11، ص42) ، و (ج13 ، ص 235) وقد أورد فيها أقوالاً جيّدة [5] .

---

[1]) تحقيق : حبيب الرحمان الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، مكتبة المتنبي ، بيروت –القاهرة ، د.ت.ط .

[2]) مسند الطيالسي ، دار النشر ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت.ط .

[3]) بالأرقام : (1058 ، 1059 ، 1060) .

[4]) جامع الأصول ، مصطفى أحمد الباز ، مكة المكرمة ،تحقيق : محمد بشير عيون ، ج10،ص332 ، الفصل 2 .

[5]) تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، ط2 ، 1272 هـ .

أمّا كتب التواريخ ، والتراجم ، والطبقات ، وشروح الحديث وعلله ، ومعاجم البلدان ، وغيرها فإنّني قد عثرت فيها على ثلاثٍ وسبعين موضعًا يتكلّم فيه عن القصّة وحيثياتها وزوائدها ، وشروح خفاياها وبيان الصّحيح فيها من غير الصّحيح .

بين يديّ القصّة :

لابدّ من ذكر أنّ معاجة القصّة في السّنة النّبويّة ، أو السّيرة تخضع في معالجتها لنفس قواعد النّظر في القرآن الكريم ، باعتبار أنّ السنّة النبوية جزءٌ لا يتجزّأ من الوحي ، لذلك وضع له علماء الإسلام قواعد للتحقّق من صحيحه وزائفه ، سمّيت بأصول الحديث ، وأهمّ فنونه قواعد التّصحيح والتّضعيف ، بخلاف القرآن المحفوظ بين دفّتي المصحف ، والذّي لا يحتاج إلى نظرٍ في صحّة آياته.

والقصّة هي الخبر عن حادثةٍ غائبةٍ عن المخبَرِ بها [1] ، قال الشيخ محمّد الطّاهر بن عاشور : " و لذلك نرى أن القرآن الكريم يأخذ من كل قصّةٍ أشرف مواضيعها ويعرض عمّا عداه ليكون تعرّضه للقصص مُنزلها عن قصد التفكُّه بها " .

وكذلك جاءت قصّة الجسّاسة ، فلم تكن للتفكُّه بدليل أنّها لم تجيء في أسلوب القصّاصين في سوق القصص لمجرّد معرفتها بل جاءت في مناسبة إسلام تميم الدّاري وحكايته عن الجسّاسة كدليلٍ استخدمه في إقناع الحضور بأنّ إسلامه كان مبنيًّا على أمور طرأت له ، من معرفة سابقة بالتّوراة والإنجيل ومن رؤيته للدّجال ومحاورته له والتّي أكّدت معرفته السّابقة بقصّة النبوّة الخاتمة الواردة في العهدين القديم والجديد ، فجاءت في مناسبتها ، والقصّة إذا كانت في مناسبتها اكتسبت صفتين، هما: " صفة البرهان " ، و" صفة التبيان " [2] ، ومن مميّزات الجسّاسة كقصّة أنّها جاءت على أسلوب الإيجاز ، وإذا نُسجت القصّة على الإيجاز كان غرضها للتّذكير والإعلام والبيان أقوى من غرض القصص ذاته ، الذي هو التفكّه والإمتاع .

[1]) التحرير والتنوير لابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، 1984 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ج 1 ، ص64 .

[2]) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

وقد جعل محمّد الطّاهر بن عاشور في مقدّمة كتابه : " التّحرير والتنوير " عشُر فوائدَ للقصّة الواردة في القرآن– والسنة– منها :

الفائدة الأولى : أنّ قَصارى علم أهل الكتاب في ذلك العصر كان معرفة أخبار الأنبياء وأيّامهم وأخبار من جاورهم...، وبذلك انقطعت صفة الأميّة عن المسلمين في نظر اليهود [1] – أي : كانوا أحقّاء بأن يوصفوا بالعلم الذّي وصفت به أحبار اليهود – .

الفائدة الخامسة : أنّ في حكاية القصص سلوك أسلوب التّوصيف والمحاورة وذلك أسلوب لم يكن معهودًا للعرب [2] .

وهو نظير ما جاء في الجسّاسة . إلاّ أنّ أصحاب النبّي صلّى الله عليه وسلّم لم يكونوا طرفا في المحاورة مع الدّجال وإنّما تميمٌ وأصحابه قبل إسلامهم .

الفائدة السادسة : فكان في ذكر قصص الأمم توسيع لعلم المسلمين بإحاطتهم بوجود الأمم ومعظم أحوالها .

ولا يتأتّى ذلك إلا بالإطّلاع على حكايا التّوراة والإنجيل التي كانت متوافرة آنذاك من خلال نقلها من علماء أهل الكتاب اليهود والنّصارى ككعب الأحبار وعبد الله بن سلاّم، وتميم الدّاري وغيرهم..

الفائدة الثامنة : أن يَنشىء في المسلمين همّة السّعي إلى سيادة العالم كما ساده أمم من قبلهم، ليخرجوا من الخمول الذي كان عليه العرب...فكان مُنتهى السيّد منهم أن يَغْنَمَ صُرَيمةً ، ومُنْتهى أمل العاميِّ أن يرعى غُنيمة .

وفوائد القَصَصْ تجتلبها المناسبات فتذكر القصّة كالبرهان على الغرض المسُوقة [3] ، وكذلك الجسّاسة ذكرت برهانًا لغرضٍ مَسُوق .

---

[1]) المرجع السابق ، ج 1 ، ص 65 .

[2]) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[3]) المرجع نفسه، ص 69 .

ومن الجدير بالذّكر أنّ ألفاظ الجسّاسة جاءت بأسلوبٍ بسيط ، إذ لا خصائص مميّزة لألفاظها ، فالدّجال هو الدّجال كما تعرفه الأمّة الإسلامية و من قبلها الأمّتين اليهودية والمسيحية ، وذلك قبل أن تطرأ عليهما الزيادات والتحريفات ، وأسماء الأماكن كالطّبرية و نخل بِيسان وعين زُغَر لها رمزيتها الدّينية لدى شعوب المنطقة من السُّرْيان والآشور والكلدان و العرب النّصارى والأنباط في فلسطين والأردن .

ولقد حاولتْ مدرسة "مولر" استخدام التّحليلات اللُّغوية لتفسير الأساطير وتأويلها على أساس دراسة خصائص الألفاظ ، كما فعلوا في تفسير أسطورة (أبوللو) ، (ودافيني) [1] ، ثم جاء رائد المنظور الأنثربولوجي في النظر إلى أصول الدّين ، وهو : السير : (إدوارد تايلور) (1832م-1917م) عالم الأنثربولوجية الشهير بجامعة أوكسفورد، ونشر كتابه الرّئيسي: "الثّقافة البدائية"[2]، والذّي قام بتصنيف الأساطير وترتيبها إلى أنواع متميّزة ، وقسّمها بصفة عامّة إلى بابين كبيرين هما: (الأساطير النقيّة) و (الأساطير غير النقيّة) .

الأولى : تنبعث من المخيّلة وحدها .

والثّانية : تجمع في تكوينها بين الحقيقة والخيال ، أي : أنّها تقوم على عناصر موضوعيّة مستمدّة من العالم الخارجي إلى جانب العناصر الذاتيّة المستمدّة من المخيّلة.

وقصّة الجسّاسة تجمع في تكوينها بين الحقيقة المقرّرة في كتب الأديان السّماوية عن الدّابة – أو الجسّاسة – والمسيح الدجّال ، بغضّ النّظر عن توظيف دوره في : – عقيدة المسيح المخلّص مثلاً –

وبين الحقيقة المعاشة ، والتّي عايشها تميمٌ الدّاري رضي الله عنه وأصحابه في رحلتهم البحريّة لرؤية نبيّ آخر الزمان ، وهو الباحث عن الحقيقة و العالمٌ النّصرانيٌّ .

[1]) الذّي يُلفت النّظر أنّ أيّ تفكيرٍ إنسانيٍّ في أيّ عقيدةٍ له أمثلةٌ سابقةٌ عنه من تفكيرٍ إنسانيٍّ آخر، في عقيدة أخرى .

[2]) معجم ديانات وأساطير العالم ، ج1 ، ص 17 .

وقصّة الجسّاسة أُلّفت حول مضمونها إلى غاية كتابة هذه الأسطر كتبٌ كثيرةٌ ، وروايات عدّة، منها على سبيل المثال كتاب : (المسيح الدّجّال حقيقةٌ لا خيال) ([1]) ، و كتاب : (المسيح الدّجّال ومثلّث برمودا ، و الصحون الطائرة) ([2]) .

[1]) تأليف : عبد اللّطيف عاشور ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، 1988 .

[2]) ألّفهُ أحد اللّوردات بالسّويد ، وقد تمّت تصفيته هو وعائلتهُ ، ترجمه : أحمد نوفل .

الخاتمة

الخـاتــمـة

في ختام هذا البحث أذكر أهمّ النتائج المستخلصة ، والتّي تضمّنتها ثنايا الفصول والمباحث والمطالب المكوّنة للبحث ، وهي كالآتي ذكره :

- لقد تأثّر علماء الاجتماع بشكل واضح في تحديد مفهوم الدّين باتّجاهاتهم الدّينية الخاصّة .
- لقد تأثّرت اليهودية المفلسفة بشكلٍ كبيرٍ وواضح بأديان الشرق الكبرى وتأثّرت هذه الأخيرة كذلك باليهودية .
- لقد خرجت المصادر اليهودية الأولى (التوراة) عن كونها المصدر الوحيد الرّسمي والمعتمد لهذا الدّين واتسعت دائرة المرجعية إلى كتب الأنبياء و الأبوكريفا وغيرها .
- لقد انحرفت المسيحية عن وظيفتها التي رسمها لها السيّد المسيح بعد إدخال القديس بولص مفاهيم جديدة إليها ، وأهمّها مفهوم (نبوّة المسيح) وبعدها التثليث .
- بعدما كانت المسيحية الأولى دينًا جديدًا مستقّلًا ، ومصحّحًا لانحرافات اليهودية أضحى تابعًا لها ، بل أصبحت اليهودية من أصول المسيحية .
- إنّ مسلمة أهل الكتاب ككعب الأحبار وتميم الدّاري..، لم يتعرفوا على ثقافاتهم الدّينية من خلال قراءتهم لشروح الكتب المقدسة ، بل أخذوا من معين تلك الكتب مباشرة دون وسيط ، بل وقع بين أيديهم النّص الأصلي لتلك الكتب .
- إنّ الأثر الفكريّ الدّيني الإسلامي على اليهودية لم يكن معروفًا على عهد كتابة التوراة أو بعدها في القرون الإسلامية الأولى ، بل ظهر جليًّا في القرون الوسطى لاسيّما عند موسى بن ميمون Maimonide في الأصول الثلاثة عشر التّي تبيّن إحدى أهمّ الخطوات المتأخّرة جدًّا لما انتهت إليه اليهودية بعد قرون من الاختلاط بالمسيحية والإسلام ، لاسيما منها فلسفة الأشاعرة .
- لقد تمّ توظيف مفهوم البعث في المسيحية بحيث أدّى إلى إخراج عيسى من عالم الأموات، وانتدابه لإحلال مملكة الله التي تعني اليوم عند أكثر الغربيين (المسيح المخلص) وانطلاقًا من هذه العقيدة

تشنُّ الحكومات الغربيّة حروبًا ، ظنًّا منها أنّها تمهّد لخروج المسيح المخلّص ليقوم بمعركة Armajdon أرمجدون التّي كانت الشّرارة الأولى لصراع الحضارات، ولقد لعب القدّيس أوغسطين دورا مفصليًا في نشر هذه الفكرة خدمةً للملحمة الكبرى " أر مجدون " .

- إنّ إلصاق تهمة التحريض على الحروب الصّليبية بنصوص الكتاب المقدّس غير المحرّف لم يثبت، إنمّا شروح العهدين القديم والجديد هي التّي أضافت ذلك ، وهو ما صرّح به : (الحكيم: السّمؤل المغربي) .
- لم ينفرد الإسرائيليّون بالمزامير بل وُجدت عند البابليّين وقدماء المصريّين وقد انتقلت مع الأدب البابلي إلى فلسطين قبل السّبي البابلي، وكذلك الأمر في قصّة بعل بابل، وهذه كلّها من اقتباسات اليهودية من الأديان الوضعيّة .
- لقد تروّمت المسيحية بحسب قول القاضي عبد الجبار المعتزلي ، إذ أنّها أخذت من الوثنيّة الرّومانية والفلسفة اليونانية فكرة عقيدة التثليث .
- تميم الدّاري من علماء أهل الكتاب وهو حبْر كبير من أحبارهم كما صرّح بذلك غير واحد من علماء التاريخ والسّير كابن عبد البّر الأندلسي .
- لقد تكوّنت لتميم الدّاري شخصيّة مسيحيّة إسلامية نادرة ، وباعثة للتأمّل ، لأنّه ظل متمسّكًا بتراثه وماضيه المسيحي حتّى بعد إسلامه .
- بما أنّ الثقافة تمتاز بخاصيّة التراكم وخاصيّة الانتقال والتكيّف ، فإنّ ثقافة تميم المسيحية التّي أخذها من أصفى منابعها بيت لحم – مهد المسيحية الأولى– ومصدرها الموثوق ، سمحت له أن ينتقل بها إلى أن يكون مسلمًا وشخصيّةً إسلاميّةً كبيرة كونه صار من حواريي النبّي الكبار.
- قد ينفعل الفرد بالثّقافة الطارئة عليه حين تبدأ عمليات الصّراع بين ثقافته الأصيلة والأخرى الدّخيلة .
- قد تسقط فكرة الصّراع ، إذا توافرت الشّروط " الشّخصية " التّي توافرت لتميم ، وهو مؤشّرٌ قويٌّ على أنّ فكرة الصّراع الثّقافي والحضاري لم تكن قائمةً في عصر الإسلام الأوّل .

فإذا بُني حوار الحضارات على القواعد التي أسّسها تميم مع النّبي ثمّ مع أبو بكر وعمر اللّذان سمحا له بممارسة القص- الحكاية- عن ماضيه المسيحي ومحاسن وتعاليم المسيحية الأولى ، ثم إقرارهم ملكيته لمدينتي-حبرى (الخليل) وبيت عينون، إذا رعيت هذه القواعد تنجح فكرة الحوار، أمّا القواعد الإقصائيّة فإنّها تنتج حوار مآله الاضمحلال والفشل والضمور .

- إنّ اللّغة من أهمّ العناصر الواجب توفّرها في بناء الشّخصية ، لأنّها آليّة تجميع وتسجيل الثقافة والانتقال بها وهو ما توفّر لتميم .

- لم يصعب على تميم الدّاري الانتقال من ثقافته الأصيلة إلى أخرى دخيلة ، وذلك لأنّ لغته لم يطرأ عليها تغيير ، فالمتغيّر هو دينه ، أمّا الثّابت فهو لسانه- أي لغته - ، فلمّا كانت اللّغة متقنةً سهل التوصّل إلى حوار .

- يملك تميم قدرةً كاملةً على إنتاج ثقافة جديدة وشخصيّة متميّزة ، وذلك متجذِّرٌ فيه ، في سلوكه الاجتماعي وتكوينه الفردي ، فهو ذو شخصية فذّة مسيحيًّا لما كان ومسلمًا لما أصبح، وهذا يؤكّد أنّ السّلوك الاجتماعي أقدم من الثقافة .

- اللّغة أسلوبٌ من أساليب الفعل ، وليست مجرّد دليلٍ على وجود الفكر ، باعتبارها مفتاح المجتمع ومدخل الثقافة ، وللوصول إلى باطن ميثولوجيا الشّخص يجب معرفة المعاني التّي تحملها لغته ليتمّ الكشف عن تراثه الفكريّ كما أعلن (فتجنشتين) .

الملخصات

الملخص

تتناول هذه الأطروحة أثر الأديان السّماوية في عملية تحديد هويّة مسلمي أهل الكتاب حديثي العهد بالإسلام ، والذّين تبوّؤا مكانة مرموقة في المجتمع المسلم آنذاك.

وقد أخذت شخصية الصحابي الكبير تميم الدّاري رضي الله عنه و اللّذي أسلم عام الوفود كنوذج، وهو شخصية فذّة و فيلسوف ومفكّر لاهوتي بارز في عصره .

تشكّل مسألة التأثيرات بين الأديان لبنة مهمّة في بناء الهوية الرئيسية لمسلمي أهل الكتاب ؛ ويتجلّى ذلك عندما يحصل تحوّل الشخص النموذج إلى الإسلام ، إذ يمكن للمهتدي في المجتمع الدّيني المقارن أن يستوعب بسهولة فكرة كونه مسلمًا ، كما يمكنه أن يحافظ على الهويّة السابقة ، وذلك يرجع إلى عدم تناقض أهداف الرّسائل السماويّة .

يمكن استخدام مناهج الاستقراء. والمقارنة والتحليل في دراسة مثل هذه الحالة ، و لإثبات أن الحوار الحضاري ممكن من حيث الشروط المتوفّرة في شخصيّة تميم الدّاري .

Résumé

La présente thèse porte sur les effets de religions monetheist sur le processus de l'indentité

la formation ou les religions socio-culturelles de perensona christian; musulmans et juifs.

Nous avons utilisé Tamim- Edhari comme étude de cas.

Thes cas de ce grand philosophe et penseur théologie, Pose la question de l'influence inter-religions peuvent ancien clés Chistian de son jew d'identité anciennes religions; quand il obtient converti à l'Islam surthermore; peuvent les hommes religions communauté facilement accueillir le nouveau musulman de Boim, qui peut conserver son ancien indentité.

Le mémoire utilise; induction; déduction; discours

Et comparaison des analyses afin de prouver que la

Le dialogue entre grative civile est possible, dans des conditions dispayer par le cas de Tamim-edhari.

Abstract

This present dissertation deals with the affects of monetheist religions on the process of the indentity formation or the socio- cultural religions perensona of christian ; muslims and jews .

We utilized Tamim- Edhari as a case study.

Thes case of this Great philosopher and theology thinker

Poses the question of inter-religions influence can former

Chistian jew keys his former religions identity ; when he gets

converted to islam surthermore ; can the men religions community easily welcome the new boim muslim;who can preserve his former indentity.

On dissertation uses ; induction ; deduction; discourse

Analyses and comparison in order to prove that the

Dialogue between civil grative is possible;under conditions dispayer by the case of Tamim-edhari.

قائمة المصادر والمراجع

قائـــمـــة المـــصادر و المـــراجـــع

1) القرآن الكريم ، برواية ورش عن نافع .

2) الكتاب المقدّس ، طبعة الملك جيمس ، قرص مضغوط .

كتب ومعاجم الأديان

3) الدّين ، عبد الله دراز ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الأولى 1400هـ-1980م .

4) الدّين والبناء الإجتماعي ، محمد توفيق نبيل السّمالوطي، دار الشروق ، جدّة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ،1981م .

5) معجم ديانات وأساطير العالم ، أ.د إمام عبد الفتاح إمام ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، دون تاريخ طبع .

6) الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ، د .محمد البهي، دار الفكر، بيروت ، 1979م .

7) الفصل في الملل والأهواء والنِّحل ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الخامسة 1405هـ-1985م .

8) مسلمو أهل الكتاب و أثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية ، رسالة دكتوراه ، للدكتور : محمد بن عبد الله السحيم ، الطبعة الأولى 1417هـ-1997م ، دار الفرقان ، الرياض ، السعودية .

9) موسوعة الأديان السّماوية والوضعية ، الجزء الأول "ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة"، ويليه : معجم المعبودات القديمة ، تأليف : حسن نعمة ، الطبعة الأولى 1994م ، دار الفكر اللّبناني ، بيروت .

10) منهاج الصّواب في قبح استكتاب أهل الكتاب ، لمؤلّف مغربي مجهول في القرن الحادي عشر الهجري ، تحقيق : داود علي الفاضل ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى 1982م ، 1402هـ .

11) العبادات في الأديان السماوية " اليهودية – المسيحية – الإسلام " ، تأليف : عبد الرزاق رحيم صلال الموحي ، دار الأوائل ، دمشق ، الطبعة الأولى 2001م .

12) أديان العالم : تأليف : البروفيسور والناسك الروحي د . هوستن سميث ، دكتور الفلسفة وعلم الأديان في عدة جامعات بالولايات المتحدة الأمريكية ، ترجمة : سعد رستم ، الطبعة الثالثة، دار الجسور الثقافية . حلب . 1428 هـ ، 2007م .

13) الدّين والظّمأ الأنطولوجي ، عبد الجبّار الرّفاعي ، الطبعة الثانية 2017 م ، مركز دراسات فلسفة الدّين بغداد .

14) العلمنة و الدّين ، محمّد أركون ، الطبعة الثالثة 1996 دار السّاقي. بيروت ، لبنان .

15) نيتشه و الإسلام : تأليف : روي جاكسون ، ترجمة : حمّود حمّود ، الطبعة الأولى ، يناير 1915 ، طُبع في لبنان ، جداول للترجمة والنّشر والتوزيع ، بيروت .

16) المعتقدات الدّينية لدى الشعوب : جفري بارندر ، ترجمة د . إمام عبد الفتّاح إمام ، سلسلة عالم المعرفة عدد رقم 173 ، مايو 1993 ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت .

كتب التّفسير

18) عمدة التفاسير ، لأحمد شاكر ، دار الوفاء ، دار ابن حزم ، ط1 ، 2003 .

19) التّحرير و التنوير ، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر 1984م ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر .

20) تفسير القرطبي ، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، الطبعة الثانية 1372هـ .

21) تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير (ت774هـ) ، دار الأندلس ، بيروت ، الطبعة الثانية 1400هـ-1980م .

22) جامع البيان في تأويل القرآن ، محمّد ابن جرير الطبري (ت310هـ) ، دار الفكر، بيروت ، 1398هـ-1978م .

كتب الحديث {الصّحاح و السّنن والمجامع والمصنّفات و المسانيد وغيرها}

23) مسند الإمام أحمد ، تحقيق : أحمد شاكر، دار صادر ، بيروت ، د.ت.ط .

24) جامع المسانيد و السنن ، لابن كثير، دار الكتب العلمية ، د.ت.ط .

25) الجامع الصحيح ، مسلم بن الحجّاج النّيسابوري ، شرح الإمام شرف الدين يحي بن زكريا النّووي ، دار المعرفة ، بيروت، 1996 م .

26) السّنن الواردة في الفتن وغوائلها والسّاعة و أشراطها ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444هـ) ، تحقيق : محمد بن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م .

27) صحيح ابن حبّان البُستي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسّسة الرّسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية 1993م .

28) الأحاديث المختارة ، للمقدسي ، تحقيق : عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة الجديدة ، مكّة المكرّمة ، الطبعة الأولى 1410هـ-1990م .

29) سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد شاكر و آخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت.ط.

30) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي ، دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي ،القاهرة ، بيروت ، طبعة 1457هـ .

31) سنن أبو داوود السّجستاني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، سيّد كسروي حسن، دار الفكر، بيروت ، د.ت.ط .

32) السنن الكبرى للنّسائي ، تحقيق : عبد الغفار سليمان البُنداري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1411هـ-1991م .

33) سنن ابن ماجه القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر، بيروت، د.ت.ط.

34) مصنّف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى 1409هـ .

35) المسند ، لأبي حنيفة ، تحقيق : نظر محمد الفاريابي ، مكتبة الكوثر ، الرياض ، السعودية ، الطبعة الأولى 1415هـ .

36) مسند إسحاق بن راهُويَه ، تحقيق : عبد الغفور البلوشي ، مكتبة الإيمان ، المدينة المنوّرة ، الطبعة الأولى 1995هـ.

37) المعجم الأوسط ، لأبي القاسم الطّبراني ، تحقيق : طارق الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة ، طبعة 1415هـ .

38) المسند ، لأبي يعلى الموصلي (ت307هـ) ، تحقيق : إرشاد الحق الأثري ، إدارة العلوم الأثرية ، فيصل آباد ، الهند ، الطبعة الأولى1407هـ .

39) مسند الرُّويَاني (ت307هـ) ، تحقيق : أيمن علي أبو يماني ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1416هـ .

40) مسند الصحابة ، للرُّوياني ، تحقيق : صلاح بن محمد عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1997هـ .

41) مسند الحُميدي ، تحقيق : حبيب الرحمان الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، مكتبة المتنبي ، بيروت ، القاهرة ، د.ت.ط .

42) مسند الطيالسي ، لأبي داود الطيالسي ، دار النشر، دار المعرفة ، بيروت ، د .ت . ط

43) جامع الأصول ، لابن الأثير ، تحقيق : بشير محمد عيون ، المكتبة التجارية ، مصطفى أحمد الباز ، مكة المكرّمة ، 1412هـ-1991م .

كتب الأنثروبولوجيا

44) الشخصيّة : ريتشارد لازاروس ، ترجمة : د. سيّد محمد غنيم ، دار الشروق ، القاهرة ، ط3 ، 1989 م .

45) الشخصيّة وسماتها ، د. عبد المنعم الميلادي ، الطبعة الأولى 2006م ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، مصر .

46) السّلوك وبناء الشخصية بين النظريات الغربية وبين المنظور الإسلامي ، د. إبراهيم محمد السّرخسي ، الطبعة الأولى 1423هـ - 2002م ، وزارة الإعلام والثقافة ، مصر.

47) محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية ، د.أحمد أبو زيد ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1978م .

48) المجتمع والثقافة والشخصيّة – دراسة في علم الاجتماع الثقافي - ، د. عبد العاطي السيّد، دار المعرفة الجامعية 1999م .

49) الشخصيّة ، ريتشارد لازاروس ، ترجمة : د. سيّد محمد غنيم ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1989م .

50) الأنثروبولوجية الثقافية ، د. عاطف وصفي ، دار المعرفة الجامعية ، 1997م .

51) الأنثروبولوجية الثقافية مع دراسة ميدانية للجالية اللبنانية بمدينة دربون الأميركية ، د. عاطف وصفي ، دار النهضة العربية ، بيروت، الطبعة الأولى 1971

52) الأنثروبولوجية العامة ، د. قباري محمد إسماعيل ، منشأة المعارف ،الإسكندرية .1971

53) نحو علم الإنسان الإسلامي.تعريف ونظريات واتجاهات ، د. أكبر.س.أحمد ، المركز القومي للعلوم الاجتماعية والإنسانية بإسلام آباد ، ترجمه عن الإنجليزية : د. عبد الغني خلف الله، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، هيريندن- فيرجينيا ، الولايات المتحدة الأميريكية ، دار البشير، الطبعة الأولى 1410هـ-1990م .

54) الدّين والبناء الإجتماعي ، محمد توفيق نبيل السّمالوطي، دار الشروق ، جدّة ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ،1981م . { مكرّر}

55) الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة للأديان، كلود ريفيير،ت:أسامة نبيل،ط1،2015،المركز القومي للترجمة، القاهرة ، مصر .

كتـــب اليهوديّـــة والـرّدود علـيها

56) الفكر الدّيني اليهودي ، أطواره و مذاهبه ، د . حسن ظاظا ، دار القلم دمشق ، الدار الشّامية بيروت ، الطبعة الرّابعة 1420هـ .

57) التّوراة الهيروغليفية ، د. فؤاد حسنين علي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، د.ت.ط

58) بذلُ المجهود في إفحام اليهود ، للحكيم السّموءل بن يحي بن عبّاس المغربي المتوفى عام 570هـ ، من أعاظم أحبار اليهود قبل إسلامه ، تقديم وتعليق : عبد الوهاب طويلة ، دار القلم دمشق ، الدّار الشّامية بيروت ، الطبعة الأولى 1410هـ-1989م .

59) الرّسالة السّبعية بإبطال الدّيانة اليهودية ، للحبر الأعظم : إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي ، تقديم و تعليق : عبد الوهاب طويلة ، دار القلم دمشق ، الطبعة الأولى 1410هـ-1989م .

60) يهود الأندلس والمغرب ، حاييم الزّعفراني ، الجزء الأوّل ، ترجمة : أحمد شحلان ، الناشر: (مرسم) ، الرّباط سنة 2000 .

كتب المسيحـيّـة و الرّدود علـيها

61) المسيحيّون الأوائل ، تأليف : إبرهارد أرنولد ، تقديم : نيافة الحبر الجليل : الأنبا أنطونيوس مرقس ، أسقف عام شؤون أفريقيا ، مكتبة المنار ، القاهرة ، ط1 ، مايو2000 .

62) الإسلام و المسيحيّة : تأليف د . أليكسي جورافسكي ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد 215 ، نوفمبر 1996.

63) المسيحيّة : نشأتها وتطورها ، شارل جنيفر، ترجمة : عبد الحليم محمود ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت،د.ت.ط .

64) محاضراتٌ في النّصرانية ، محمد أبو زهرة ، شركة الشهاب الجزائر، د.ت.ط .

معاجم اللُّغــة

65) القاموس المحيط للفيروز آبادي ، دار إحياء التراث العربي ، دار صادر، القاهرة ، د.ت.ط.

66) القاموس المحيط للفيروز آبادي ، دار العلم للجميع ، بيروت ، لبنان ، د ت ط .{مكرّر}

67) تاج العروس من جواهر القاموس ، دار العلم للجميع ، بيروت ، د ت ط .

68) مُجمل اللّغة لأبي الحسين أحمد فارس بن زكريا اللّغوي المتوفى سنة 395هـ ،

تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان ، الطبعة 2 ، مؤسسة الرسالة ، 1986 م .

69) الأساس للزّمخشري ، نسخة إلكترونية .

كتب التّراجم والسيّر والطّبقات و الجرح والتّعديل والأنساب ومعاجم البلدان

70) تميم بن أوس الدّاري رضي الله عنه : راهب أهل عصره ، وعابد فلسطين. تأليف : محمّد محمّد حسن شراب . سلسلة أعلام المسلمين . دار القلم .دمشق .الطبعة الأولى (1410هـ/1990م) .

71) اللُّباب في تهذيب الأنساب ، لابن الأثير الجزري (ت630هـ) ، دار صادر، بيروت ، 1400هـ-1980م .

72) تحرير تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة، بيروت ، الطبعة الأولى 1418هـ- 1997م .

73) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، للحافظ الذهبي، تحقيق : عزت علي عيد عطية و آخرون ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1392هـ-1972م .

74) رجال صحيح مسلم ، لأبي بكر بن مَنجُوَيْه الأصبهاني (347-428هـ) ، تحقيق: عبد الله اللّيثي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى1407هـ-1997

75) تاريخ الإسلام ، للحافظ الذهبي ، تحقيق : عمر تدمري ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية 1410هـ- 1990م .

76) تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبد الله الليثي ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى 1407هـ-1987م .

77) الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) ، مؤسّسة التاريخ العربي- دار إحياء الترث العربي، بيروت ، الطبعة الأولى 1416هـ-1996م .

78) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البرّ القرطبي (ت 463هـ) ، تحقيق: علي محمّد معوّض وآخرون ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى 1995م .

79) أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة ، لعزّ الدّين ابن الأثير (555هـ-630هـ) دار صادر، بيروت، د.ت.ط .

80) التّاريخ ، للإمام يحي بن معين (ت233هـ) ، تحقيق : د. أحمد نور سيف ، جامعة الملك عبد العزيز ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، السعودية ، الطبعة الأولى 1399هـ-1979م .

81) الثّقات ، للإمام الحافظ محمد بن حبّان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي (ت 354هـ-965م) ، طُبع بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند ، مؤسّسة الكتب الثقافية ، بيروت ، د.ت.ط .

82) تهذيب الكمال في أسماء الرّجال ، لأبي الحجّاج يوسف المزّي (654هـ-742هـ)، تحقيق : بشّار عوّاد معروف ، مؤسّسة الرّسالة ، الطبعة الأولى1983 .

83) الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم الرّازي (ت327) ، دار الكتب العلمية د.ت.ط .

84) المعجم الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (260هـ-360هـ)، حقّقه وخرّج أحاديثه : حمدي عبد المجيد السّلفي، مطبعة الزّهراء الحديثة ، الموصل، العراق ، د.ت.ط .

85) معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626هـ) ، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى 1410هـ -1990 .

86) الطّبقات الكبرى لابن سعد ، دار صادر، بيروت ، د.ت.ط .

87) التّاريخ الكبير للبخاري (ت 256هـ-869م) ، دار الكتب العلمية ، د.ت.ط .

88) لُبّ اللّباب في تحرير الأنساب ، للسيوطي ، تحقيق : محمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ،1991 .

89) سيّر أعلام النّبلاء ، شمس الدّين محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبي (ت748هـ-1374)، حقّق نصوصه وخرّج أحاديثه ، وعلّق عليه : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة، 1406هـ-1986م .

كتب التّاريخ والسّيرة النّبويّة والدّلائل والشمائل النّبويّة

90) السّيرة النّبوية لابن هشام ، تحقيق : حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ت.ط

91) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النّبوي و الخلافة الرّاشدة ، محمد حميد الله ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة السادسة 1407هـ-1987م .

92) التّاريخ الكبير للبخاري (ت 256هـ-869م) ، دار الكتب العلمية ، د.ت.ط .{مكرّر}.

93) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (630هـ-711هـ) ، تحقيق مأمون الصّاغرجي وآخرون ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة الأولى 1404هـ-1984م . {مكرّر}.

94) التّاريخ ، للإمام يحي بن معين (ت233هـ) ، تحقيق : د. أحمد نور سيف ، جامعة الملك عبد العزيز ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، السعودية ، الطبعة الأولى 1399هـ-1979م .{مكرّر}

95) تاريخ الإسلام ، للحافظ الذهبي ، تحقيق : عمر تدمري ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية 1410هـ- 1990م .

96) البدءُ و التّاريخ ، للمطهّر بن طاهر المقدسي ، مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت.ط .

97) دلائل النبوّة ، لأبي بكر البيهقي (384-458) ، وثّق أصوله و خرّج أحاديثه : د. عبد المعطي قلعجي ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1408هـ- 1988م .

98) دلائل النبوّة ، لأبي نُعيم الأصبهاني (336- 430هـ) ، حقّقه : د. محمد روّاس قلعجي و عبد البرّ عباس ، دار النفائس ، بيروت ،1412 هـ- 1991م .

99) السّيرة النّبوية ، لابن كثير ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1407هـ-1987م .

100) السّيرة النّبوية من الطبقات الكبرى لابن سعد ، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ، الطبعة الأولى 1409هـ-1989م .

101) قصّةُ الحضارة ، وول . ديورانت ، ترجمة : محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر. د.ت.ط .

كتب التّخريج و الشّروح الفقهيّة

102) العبادات في الأديان السّماوية " اليهودية – المسيحية – الإسلام " ، تأليف : عبد الرزاق رحيم صلال الموحي ، دار الأوائل ، دمشق ، الطبعة الأولى 2001م .{مكرّر}.

103) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي ، دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي ،القاهرة ، بيروت ، طبعة 1457هـ . {مكرّر}.

104) الأحاديث المختارة ، للمقدسي ، تحقيق : عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة الجديدة، مكّة المكرّمة ، الطبعة الأولى 1410هـ-1990م .{مكرّر}.

105) السّنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة و أشراطها ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444 هـ) ، تحقيق : محمد بن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م . {مكرّر}.

106) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، دار الفكر، بيروت ، د.ت.ط .

107) عون المعبود شرح سنن أبي داوود ، شمس الحق العظيم آبادي ، دار الكتب العلمية ، د.ت.ط .

108) المعلم بفوائد مسلم ، للمازري (ت 536هـ-1141م) ، تحقيق : محمد الشاذلي النيفر ، الدار التونسية للنشر ، 1407هـ-1987م .

109) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ ابن حجر الهيثمي ، مكتبة القدسي ، القاهرة، د.ت.ط {مكرّر}.

110) الأموال ، لأبي عبيد القاسم بن سلاّم ، تحقيق : محمّد خليل هراس، دار الفكر، القاهرة، 1401 - 1981.

الدّوريات والأرشيف والمجلّات والمقالات

111) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النّبوي و الخلافة الرّاشدة ، محمد حميد الله ، دار النفائس، بيروت ، الطبعة السادسة 1407هـ-1987م . {مكرّر}.

112) مجلّة العربي الكويتية ، العدد 551 ، شعبان 1425هـ ، أكتوبر 2004م .

113) الأرشيف العثماني ، دفتر " طابو " رقم 522 ، مؤرخ في 980 للهجرة ، 1572 ميلادي، وقف نبوي في فلسطين . أحمد آق كوندوز ، ترجمة : الجمعية الدولية للمترجمين واللّغويين العرب .

114) التصوّف في الدّيانات السّماويّة ، مقال للأستاذ . أحمد عاشوري ، جامعة تلمسان . نسخة إلكترونيّة.

115) اليهود القرّاؤون وتأثُّرهم بالفكر الإسلامي، رابح بوترفاس،جامعة تلمسان ، نسخة إلكترونيّة.

مواقع إلكترونيّة

116) http://www.osmanli.org.tr/dosyaara.php?bolum=2&id=369

قنوات فضائيّة

117) قناة الجزيرة القطرية .

رسائل جامعيّة

118) مسلموا أهل الكتاب و أثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية ، رسالة دكتوراه ، للدكتور : محمد بن عبد الله السحيم ، الطبعة الأولى 1417هـ-1997م ، دار الفرقان ، الرياض ، السعودية .{مكرّر}.

كتبٌ متنّوعة

119) الفصل في الملل والأهواء والنِّحل ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الخامسة 1405هـ-1985م .

120) فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الإتصال : ابن رشد القرطبي ، تحقيق: لجنة التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، الطبعة الأولى 1402هـ- 1982

121) الأموال ، لأبي عبيد القاسم بن سلاّم ، تحقيق : محمد خليل هراس، دار الفكر، القاهرة، 1401- 1981.{مكرّر}.

122) رسالة الإسلام ، العماد طلاس ، دار الشورى ، بيروت ، الطبعة الأولى د.ت.ط .

123) قصّةُ الحضارة ، وول . ديورانت ، ترجمة : محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر. د.ت.ط . {مكرّر}.

124) صبح الأعشى في صناعة الإنشا : لأبي العباس أحمد القلقشندي . طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت . ط .

125) نيتشه و الإسلام : تأليف : روي جاكسون ، ترجمة : حمّود حمّود ، الطبعة الأولى ، يناير 1915 ، طُبع في لبنان ، جداول للترجمة والنّشر والتوزيع ، بيروت . {مكرّر}.

126) ما المواطنة ؟ تأليف : دومينيك شنابر وكريستيان باشولييه ، ترجمة : سونيا محمود نجا ، الطبعة الأولى 2016 ، المركز القومي للتّرجمة . القاهرة .

127)

Encyclopidia of religious rites . rituales . and festivals . Frank A Salamone . routeledge . new york – london . 2004 .

الملاحق

جدول بأسماء بعض أهمّ الأمم و الإثنيات و الطّوائف والألفاظ غير المبيّنة في البحث

الحثيّون: أو الكشّيّن قومٌ من آسيا احتلّوا بابل بعد موت حمورابي عاصمتهم بوغاز كوى شرق الأناظول
المديانيّون: أو الطورانيون جنس آري استوطنوا جنوب غرب العراق ،احتلّهم الآشوريون ،وهم الأذريون.
الدّوريّون : أقلية من سكان قبرص وهم أسبرطة .
الآخيّين : أمّة يونانية هلّينيّة 1100-1300.ق.م. جدها آخيوس،ذكرتهم الإلياذة والأودسة
الهيلّينيستي: نسبة لهيلّن ابنة رب الأرباب زيوس حضارة يونانية 323-146 ق.م.أسّسها الأسكندر
الفرّيجيّة : إقليم في الأناضول ، ومنه لغة قديمة هندو أروبية 730ق.م.أقرب إلى الفرع اليوناني .
الكلدانيّة : طائفة عرقية دينية سامية مسيحية كاثوليكية ظهرت بالعراق وسوريا وتركيا وإيران .
كورينثيا : مدينة في اليونان بمقاطعة كينتريكي ، في شبه جزيرة البيلوبونيز ، عصمتها كورنيثيوس .
حبرونَ : من قرى الخليل،أسّسها الكنعانيون ، ضمّتها اليونسكو في 2007 إلى التّراث العالمي .
بيت عنيون : من قرى الخليل ، أدرجتها اليونسكو في 2007 ضمن التّراث العالمي في قمّة بولندا .
الرّطوم : أو المرطوم من قرى الخليل ، أدرجتها اليونسكو في 2007 ضمن التّراث العالمي في بولندا .
الآريّين : أمّة ساميّة قديمة أصلها من شرق أوروبا ، استوطنوا شمال غرب إيران ، بيض البشرة .
الصّائبة : أو المانداييّون ، ديانة إبراهيميّة موحّدة يعتقد أتباعها أنّها أقدم ديانة سماوية .
المانداييّة : لغة طقسية للدّيانة المندائيّة أو الصّابئيّة ، تعتبر يحي نبيًّا لها ، يقدّسون النّجوم والكواكب.

كاثوليك : علمانيّون ذوو خلفيّة تراثيّة ، يترأّسهم أسقف روما ، أكبر طائفة مسيحية في العالم .
بروتستانت : اِنشقّوا عن الكاثوليك في القرن16، يؤمنون بالعقائد الأساسيّة للمسيحيّة .
البراهمة : طبقة هندوسيّة ، حسب كتاب الفيدا هم بشر خلقوا من جوهر رأس الإله كريشنا .
الحاميّن: نسبة إلى الإبن الرّابع والأصغر لنوح عليه السلام وأحد ثلاثة آمنوا بدعوته وركب السّفينة .
الأريسيّن : طائفة مسيحية موحّدة إصلاحية شمال أفريقية ، نسبة لآريوس 250-336 م .
الدّيموطيقي : ثالث خطوط اللّغة المصريّة بعد الهيروغليفيّة والهيراطيقية أُستخدم في تدوين النّص الديني .
الأيونيين : قبائل يونانيّة قديمة .
الأتروسك : وهم شعبٌ قديمٌ جاء من ليديا على الشاطئ الشرقي من بحر إيجة .
الميتيّة : أسطورة شنتوية تقول بإبادة الأجساد الميتية ، ومنها الوضعية الميتية { آرما وايتسلاند }.
الميسيتيّة : أثرٌ هندي في التصوف قدّم التناسخ والتقمص للعالم المسيحي والإسلامي . ومنه ميستّي .
السّيتيون : أمّة من آسيا ، استوطنوا جنوب شرق بحر قزوين ، احتلّهم الفرس ثمّ الإسكندر وهم التتر.
الآشوريون: نسبةً لإلههم آشور ، أسّسوا مملكةً سنة 300 ق.م، لغتهم قريبة إلى البابليّة،احتلّها الحثيّون.
الأخمينيّة : أو هخامنشيان أسرة ملكية فارسية أسّسها كوروش سنة 559 .ق.م

المصادر المعتمدة: نفس مصادر البحث.

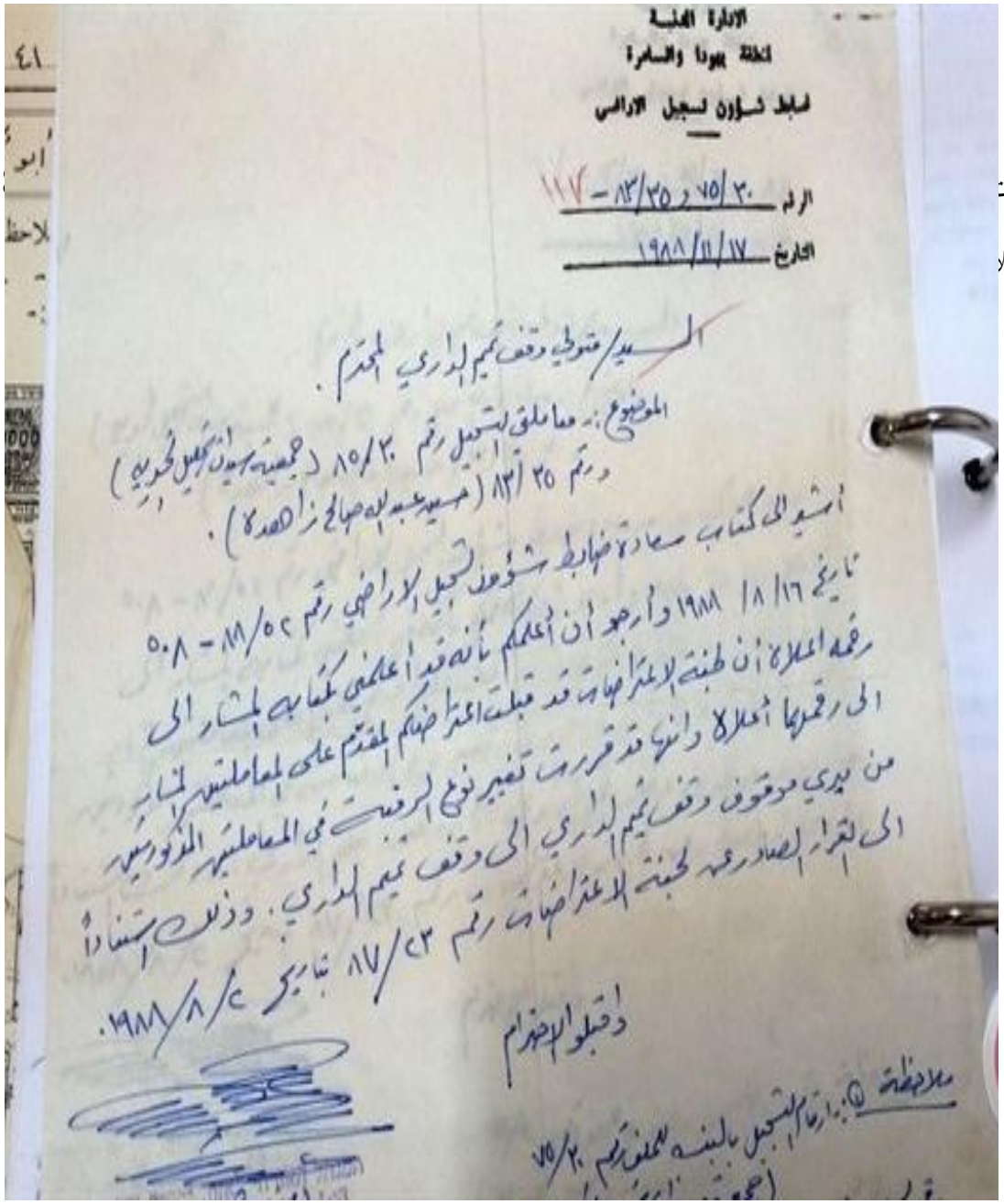

الادارة العامة
لمنطقة بيوتا والسامرة
قسم شؤون تسجيل الاراضي

الرقم ٢٠/٧٥ و ٣٥/٨٣ - ١١٧
التاريخ ١٩٨٨/١١/١٧

السيد/ متولي وقف تميم الداري المحترم.

الموضوع: معاملتي التسجيل رقم ٢٠/٨٥ (جمعية سيون الخيرية)
ورقم ٣٥/٨٣ (سعيد عبد الله صالح زاهدة).

أشير الى كتاب سعادة ضابط شؤون تسجيل الاراضي رقم ٥٠٨ - ١١/٥٢
تاريخ ١٦/٨/١٩٨٨ وارجو ان اعلمكم بأنه قد اعلمني كتابة بالمشار الى
رقمه اعلاه أن لجنة الاعتراضات قد قبلت اعتراضكم المقدم على المعاملتين المشار
الى رقميها اعلاه وانها قد قررت تغيير نوع الرقبة في المعاملتين المذكورتين
من يدي موقوف وقف تميم الداري الى وقف تميم الداري. وذلك استنادا
الى القرار الصادر عن لجنة الاعتراضات رقم ١٧/٢٣ تاريخ ٢/٨/١٩٨٨.

واقبلوا الاحترام

ملاحظة: ارقام التسجيل بالبنسه للملف رقم ٢٠/٧٥

ثبت

ميلا

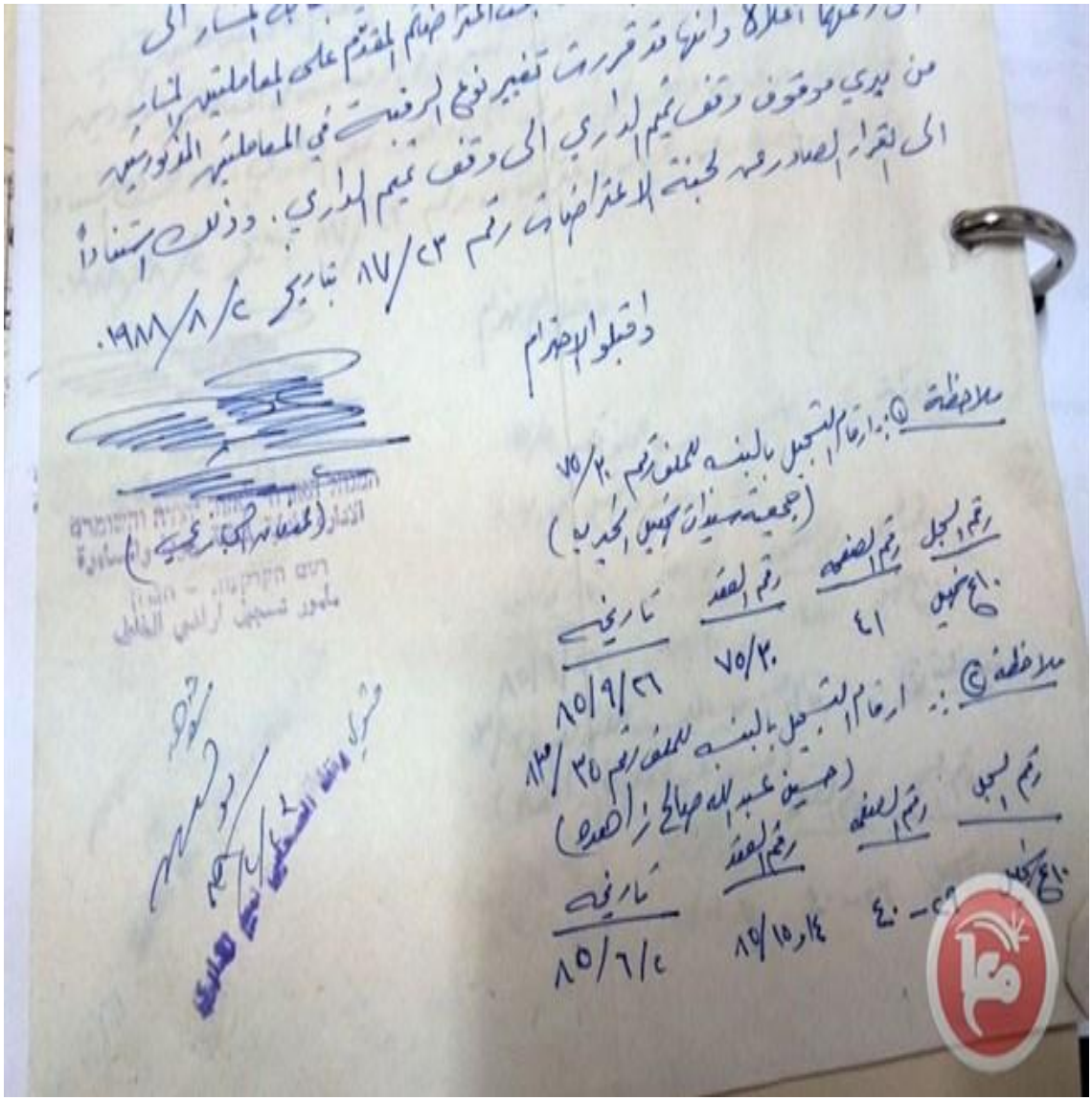

نسخة من تسجيل الطابو لدى وزارة الأوقاف بمدينة الخليل سنة 1985 ميلادي.

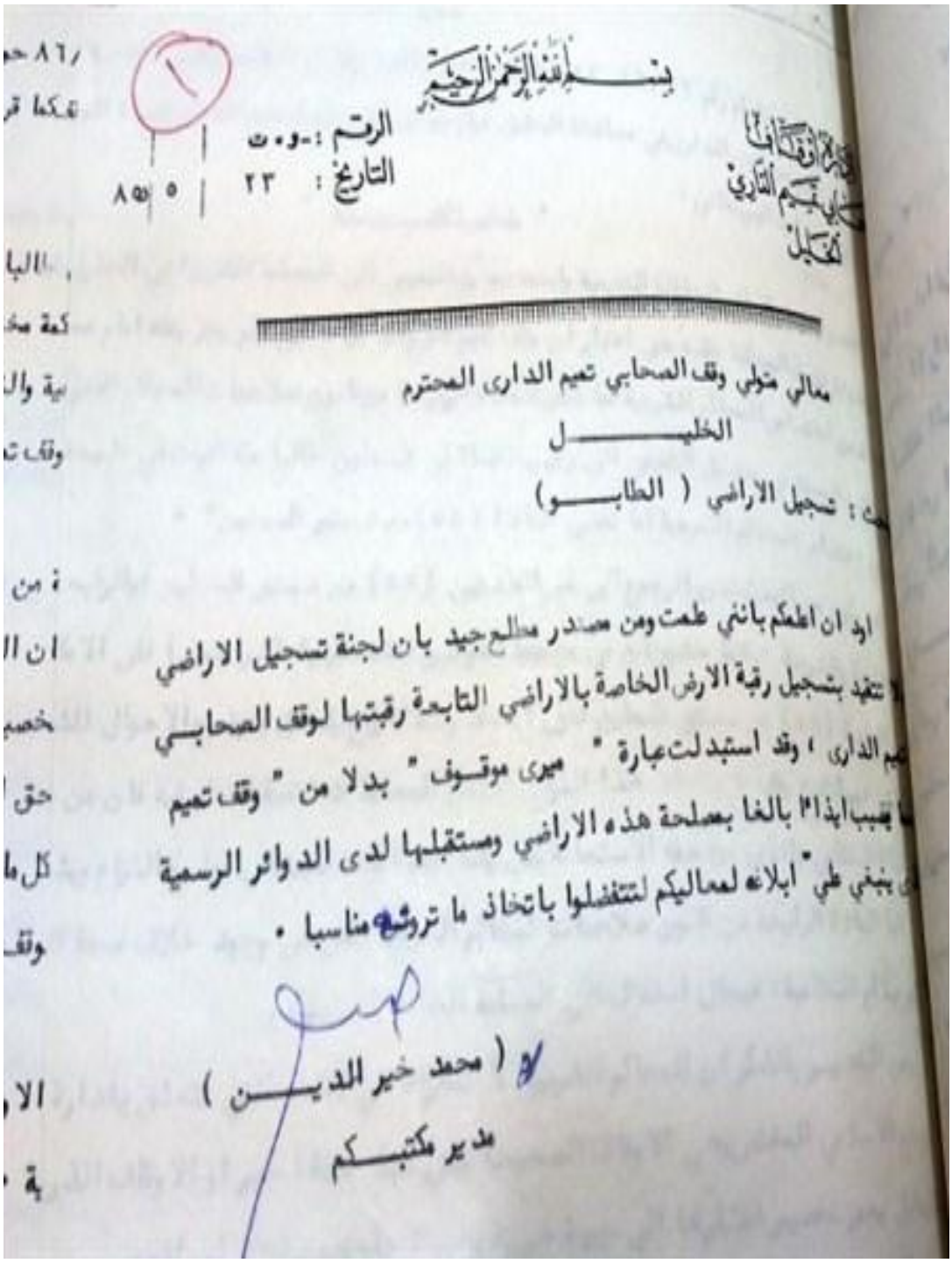

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم :-و.ت
التاريخ : ٢٣ / ٥ / ٨٥

معالي متولي وقف الصحابي تميم الداري المحترم

الخليـــــل

ث : تسجيل الاراضي (الطابـــو)

اود ان اطلعكم بانني علمت ومن مصدر مطلع جيد بان لجنة تسجيل الاراضي
لا تتقيد بتسجيل رقبة الارض الخاصة بالاراضي التابعة رقبتها لوقف الصحابي
تميم الداري ، وقد استبدلت عبارة " ميري موقوف " بدلا من " وقف تميم
الداري بسبب ابداء بالغا بمصلحة هذه الاراضي ومستقبلها لدى الدوائر الرسمية
التي ينبغي علي ابلاغه لمعاليكم لتتفضلوا باتخاذ ما ترونه مناسبا .

(محمد خير الديـــن)
مدير مكتبـــكم

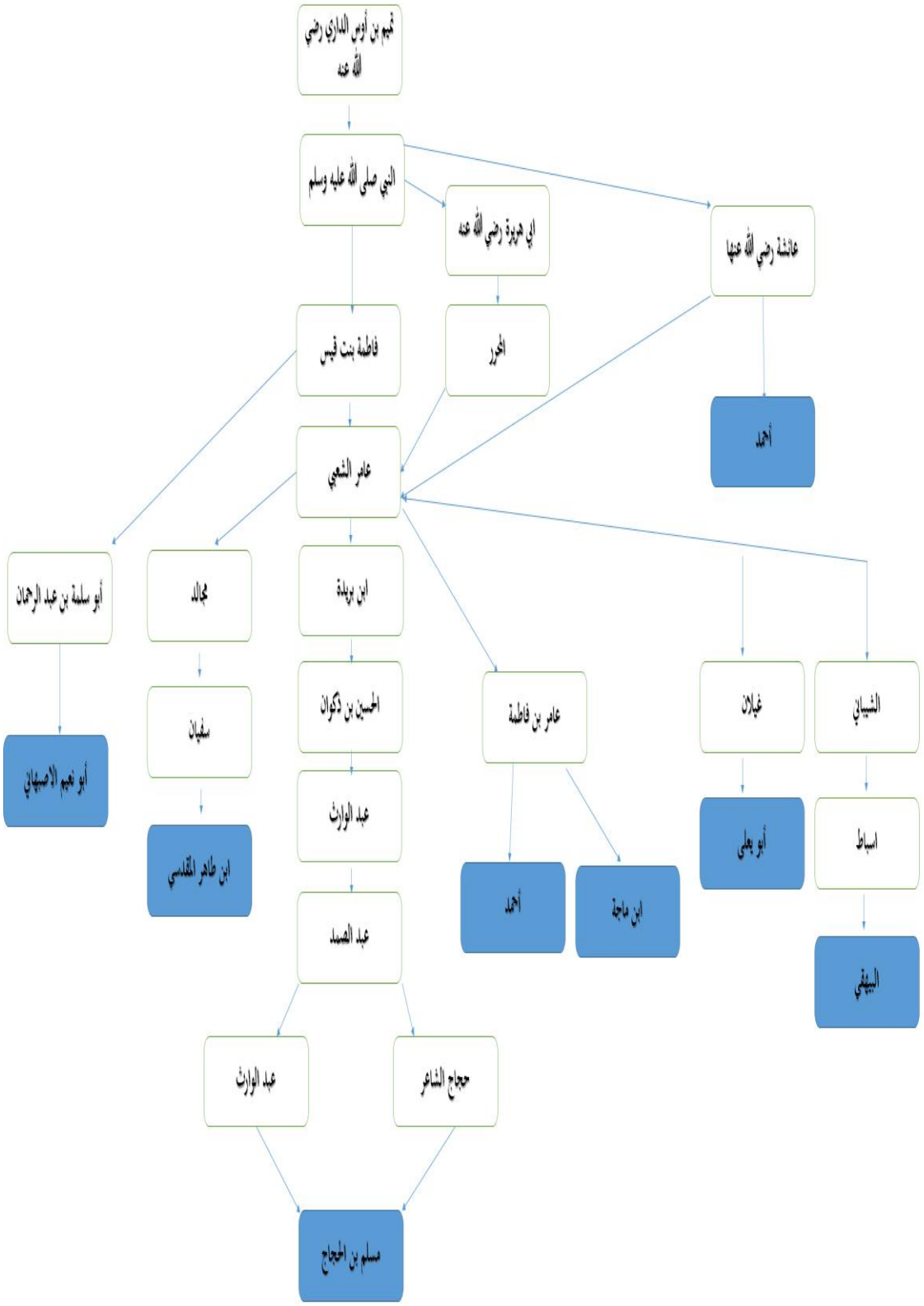
تميم بن أوس الداري رضي الله عنه
النبي صلى الله عليه وسلم
ابي هريرة رضي الله عنه
عائشة رضي الله عنها
فاطمة بنت قيس
الحر
أحمد
عامر الشعبي
أبو سلمة بن عبد الرحمان
مجالد
ابن بريدة
عامر بن فاطمة
غيلان
الشيباني
أبو نعيم الاصبهاني
سفيان
الحسين بن ذكوان
أبو يعلى
اسباط
ابن طاهر المقدسي
عبد الوارث
أحمد
ابن ماجة
البيهقي
عبد الصمد
عبد الوارث
حجاج الشاعر
مسلم بن الحجاج

شجرة إسناد حديث الجسّاسة .

نسخة

فهرست
الموضوعات

فهرست الموضوعات

الموضـــــــــوع	الصّـفحة
الإهداء	
المقدّمة	أ
الفصل الأول: الأسس المنهجيّة للدّراسة .	07
أوّلاً : إشكاليّة البحث	08
ثانياً :تساؤلات البحث	10
ثالثاً : أهداف الدّراسة	11
رابعاً : الدّراسات السّابقة	13
خامساً : أسباب اختيار الموضوع	14
سادساً : المنهج المستخدم	15
سابعاً تحديد المفاهيم الواردة في البحث	17
1/ الأثر	17
2/ الدّين	18
3/ الشّخصية	26
4/ الدّيانات السّماويّة	28
5/ أهل الكتاب بين الفلسفة والدّين	30
الفصل الثّاني : نشأة الأديان السّابقة للأديان السّماويّة	33
العصر الفرعوني	37
العصر الإغريقي أو " اليوناني "	44

العصر الرّوماني 52
العصر البابلي 55
الفصل الثّالث : نشأة الأديان السماوية..... 84
المبحث الأوّل : نشأة اليهوديّة 86
العهد القديم .....
أقسام العهد القديم 89
أ– التّوراة 89
أولا: سفر التّكوين 89
ثانيا: سفر الخروج 90
ثالثا: سفر اللّاوين 90
رابعا: سفر العدد 90
خامسا: سفر التّثنية 91
ب–الأنبياء **91**
ج– الكتب 94
الكتب الغير القانونيّة 96
الوصايا العشر 100
أصول العقيدة اليهودية 103
أثر الأديان الوضعيّة في المفاهيم الدّينيّة والثقافية عند اليهود 106
تأثير الأديان الوضعية في اليهودية 107

أمثلةٌ أخرى 109
المبحث الثّاني : نشأة المسيحيّة 110
البيئة التي نشأت فيها المسيحيّة 114
الأصول اليهوديّة للمسيحيّة 117
المسيحيّة في القرون الوسطى 122
المبحث الثالث : نشأة الإسلام 124
الفصل الرّابع : القسم التطبيقي 131
المبحث الأوّل : الخلفيّة الثقافيّة لشخصيّة أهل الكتاب وعلاقتها
بالمعتقدات 133
نظريات والتعريف المبسّط للثقافة 133
ثانيـًا : المفاهيم الثقافية بين الاستعارة والاستحداث والتوظيف 137
أثر الفكر اليوناني في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام 137
في مفهوم الشّخصيّة 146
أوّلاً / تعريف الشّخصيّة 146
ثانيًا: سيرة تميم الدّاري 149
سيرتُه الذّاتيّة 149
كتاب الإنطاء 151
مناقبه 155
وصف عبادته 155

وفاته 162
المبحث الثّالث : شخصيّة تميم الدّاري 163
المبحث الرّابـــع : رواية الجسّاسة 167
مظانُّ قصّة الجسّاسة 175
بين يديِّ القصّة 179
الخاتمة 184
الملخصات باللّغات الثلاث 188
قائمة المصادر والمراجع 192
الملاحق 208
جدول بأسماء بعض الأمم والاثنيات والطّوائف والألفاظ غير المبيّنة في البحث **209**
فهرست الموضوعات 217

الملخص

تتناول هذه الأطروحة أثر الأديان السّماوية في عملية تحديد هويّة مسلمي أهل الكتاب حديثي العهد بالإسلام ، والّذين تبوّؤا مكانة مرموقة في المجتمع المسلم آنذاك، وقد أخذت شخصية الصحابي الكبير تميم الدّاري رضي الله عنه و الّذي أسلم عام الوفود كنموذج ، وهو شخصية فذّة و فيلسوف ومفكّر لاهوتي بارز في عصره، تشكّل مسألة التأثيرات بين الأديان لبنة مهمّة في بناء الهوية الرئيسية لمسلمي أهل الكتاب؛ ويتجلّى ذلك عندما يحصل تحوّل الشخص النموذج إلى الإسلام ، إذ يمكن للمهتدي في المجتمع الدّيني المقارن أن يستوعب بسهولة فكرة كونه مسلمًا ، كما يمكنه أن يحافظ على الهويّة السابقة ، وذلك يرجع إلى عدم تناقض أهداف الرّسائل السماويّة، يمكن استخدام مناهج الاستقراء. والمقارنة والتحليل في دراسة هكذا حالة ولإثبات أن الحوار الحضاري ممكن من حيث الشروط المتوفّرة في شخصيّة تميم الدّاري .

الكلمات المفتاحية: الأديان السماوية– أهل الكتاب– حوار الحضارات – تميم الداري– الشخصية

ABSTRACT

This present dissertation deals with the affects of monetheist religions on the process of the indentity formation or the socio - cultural religions perensona of christian ; muslims and jews. We utilized Tamim- Edari as a case study. Thes case of this Great philosopher and theology thinker Poses the question of inter-religions influence can former. Chistian jew keys his former religions identity ; when he gets converted to islam surthermore ; can the men religions community easily welcome the new boim muslim;who can preserve his former indentity. Analyses and comparison in order to prove that the Dialogue between civil grative is possible;under conditions dispayer by the case of Tamim- edhari.

Keys Word : socio - cultural religions perensona- affects of moncetheist religions- Tamim- Edhari- inter-religions influence- cifilisation Dialogue- identity.

RESUME

La présente thèse porte sur les effets de religions monetheist sur le processus de l'indentité. la formation ou les religions socio-culturelles de perensona christian; musulmans et juifs. Nous avons utilisé Tamim- Edari comme étude de cas. CETTE cas de ce grand philosophe et penseur théologie Pose la question de l'influence inter-religions peuvent ancien clés Chistian de son jew d'identité anciennes religions; quand il obtient converti à l'Islam surthermore; peuvent les hommes religions communauté facilement accueillir le nouveau musulman de Boim, qui peut conserver son ancien indentité.

Le mémoire utilise; induction; déduction; discours Et comparaison des analyses afin de prouver que la. Le dialogue entre grative civile est possible, dans des conditions dispayer par le cas de Tamim-edari.

Mots Clé : les effets de religions moncetheist- socio-culturelles de perensona christian- l'influence inter-religions- indentité- Tamim-edhari- induction; déduction; discours